النُسخة الفَريدة الكاملة والمُحققة والمهذبة لكتابَ

دَعوةُ المقاوَمةِ الإسلاميّةِ العَالميّةِ

من أجل الجيل الثالث من الجهاديين

تأليف

الشَّيخ عُمَر عبدُ الحَكِيم أبو مُصْعَب السُّوريّ

"فك الله أسره"

حقَّقَهُ وهَذَّبَهُ

أبو العباس القلموني



مكتبة الجيل الثالث

النسخة الإلكترونية

٢٠١٨م - ١٤٣٨هـ

النسخة الكاملة الفريدة المنقحة والمحققة

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

النسخة الإلكترونية الأولى

مكتبة الجيل الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

الجزء الأول

(الجُذور والتَّارِيخُ والتَّجَارب)

بِقلَم الفَقِيرِ إِلى رَحْمَةِ الله

الشَّيخ عُمر عبدُ الحَكيم أبو مُصْعَب السُّوري

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد:

فلقد اشتهر وانتشر بين عموم المجاهدين وقادتهم ذكر الشيخ أبي مصعب السوريّ -رعاه الله- وما ذهب إليه من دراسات وتنظيرات وتصويبات للتيار الجهادي عبر كتبه ومقالاته وتسجيلاته، وغدا هذا الإرث الطيب المبارك مرجعًا لجيل الجهاديين الثالث، ذاك الجيل الذي قصده أبو مصعب في توجيهاته وهو الآن يعيش وتدبّ أقدامه في ساحات الجهاد، ولكنّا وبعد القراءة والتمحيص وجدنا بعض الملاحظات في أبواب ما وسع الشيخ أن يتوسع فيها نظرا للأولويات التي كان يوليها، كتخريج الأحاديث وضبط النّصوص وفهرسة المراجع والمصادر، ووفاءً منَّا لشيخنا الجليل ولجيل النَّصر القادم بإذن الله قمنا بهذا التَّحقيق المختصر المتواضع، وفق الخطة التالية:

١- قسمت الكتاب إلى أقسام على النحو التالي:

أ- المقدمة بالإضافة إلى الفصل الأول والثاني.

ب- الفصل الثالث.

ت- الفصل الرابع والخامس والسادس والسابع.

ث- الفصل الثامن والتاسع.

ج- مسك الختام وأحاديث الساعة والوصية.

٢- عدلت في غلاف الكتاب مع مراعاة ما أراده الشيخ من نسق الشعار والدلالات.

٣- ضبطت كثيرًا من علامات التَّرقيم ونسق الصفحات وتقسيم الفقرات ونوع الخط ولونه وحجمه.

٤- صححت كثيرا من الأخطاء الإملائية والنحوية وهذبت بعض العبارات الركيكة بما لا يغير المعنى ولا يحوله، ولاتزال الأخطاء الاملائية بحاجة إلى مزيد من التصحيح نظرا لكثرتها.

٥- أعدت تخريج الآيات من جديد لوقوع بعض الأخطاء في النسخة التي اعتمدنا عليها في هذا التحقيق، وهي الطبعة الأولى لـ/ ٢٠٠٤م/ مع تنسيقها ورسمها برسم المصحف العثماني وباللون الأحمر في النسخة الملونة.

٦- قمت بضبط عبارة الأحاديث وحذف تخريجها من متن الكتاب، لتعدد الأخطاء في تخريجها والحكم عليها، وهذا عائد لقلة المصادر التي كانت متوفرة لدى الشيخ حيث أنه كان مطاردا مشردا وقد ذكر هذا في مواضع من كتابه، ووضعت التخريج في الحاشية مع الحكم على الحديث وفق الآتي:

- ما كان من صحيحي البخاري ومسلم أو أحدهما اكتفيت بذكر رقم الحديث حسب ترقم محمد فؤاد عبدالباقي .
- ما كان في السنن وغيرها عزوته إلى مصدره مع ذكر حكم الشيخ الألباني أوالشيخ شعيب الأرنوؤط كلاهما أو أحدهما إن وجد.
- ما لم يرد فيه حكم للألباني أوالأرنؤوط ذكرت حكم المحدثين فيه حسب التوفر كالشيخ مقبل بن هادي الوادعي بتعقيباته على أوهام الحاكم أو أحمد شاكر رحمهم الله أو غيرهما.
- مالم أجد له حكما عند المحدثين المتأخرين نقلت فيه قولا للمتقدمين إن وجد أو ذكرت علته الظاهرة..
- الحديث الموضوع وضعت تحته سطرا وذكرت أنه موضوع فيُنْتَبهُ لذلك.
- ماكان من حديث مكرر كثيرًا ربما خرجته في جميع المواضع أو اكتفي بتخريجه مرة بحسب الحديث والموضع.

٧- قمت بتخريج وتشكيل غالب النصوص الفقهية والآثار وعزوها إلى مصدرها مع إيجاد فهرس في نهاية الكتاب لأهم المصادر والمراجع التي عدت إليها في التحقيق.

٨- قمت بتنسيق بعض اللواحق كالصلاة على النبي ﷺ أو قول رَحِمَهُ ٱللَّهُ أو السلام على الأنبياء والترضي عن الصحابة، مع تمييز هذه العبارات بلون خاص في النسخة الملونة.

٩- أعدت فهرسة الكتاب وضبط العناوين وتبويبها وترقيم الصفحات .

تنويه :

هناك نسخة قيد التنسيق لأجل المطابع سيتم إخراجها إن شاء الله، وقد سارعنا إلى اخراج النسخة الالكترونية نظرا لضيق الوقت وتسارع الأحداث ولأن الفائدة في انتشار النسخة الالكترونية أعم وأسرع، ولأن العمل جاري على إخراج الطبعة الثانية من الكتاب الكامل المحقق وكذلك الطبعة الثانية من المختصر الذي صدر مسبقاً وبهذا يكون كتاب الشيخ أبي مصعب «دعوة المقاومة» قد خُدم خدمة جيدة -بفضل الله وكرمه -منَ التحقيق والاختصار والتهذيب.

وأسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.. وأسأله أن يرضى عني وعن والديَّ وكل من له حق عليَّ، وأسأله أن يفك أسر إخوة وأحبة لي في سجون الطواغيت والظلمة إنَّه وليّ ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان وما كان من خير فمن الله والله أعلم.

أبو العباس القلموني

أعوذُ بالله من الشيطان الرَّجيم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ
رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ
أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن
دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾

[آل عمران]

رَوَى أَبو دَاود والتِّرمِذيّ من حَديث أبي ثَعلبة الخُشَنيّ رضي الله عنه قَال: سَألتُ الرَّسُول ﷺ عَن هَذِهِ الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فقال رَسُول الله ﷺ «بَل ائتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنكرِ، حتَّى إذَا رَأَيتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كلّ ذِي رَأْيٍ برأْيِه، فعليكَ بخاصّةِ نفسِك ودَع عَنْكَ أمرَ العوامّ، فإنَّ مِنْ وَرائِكم "أيّام الصَّبرِ"، الصَّبرُ فيهنَّ مِثلُ قبضٍ عَلى الجمرِ، للعَامل فيهنَّ أجرُ خَمسينَ، قلتُ يا رَسُول الله: أجرُ خَمسينَ منهُم، قَالَ: أجرُ خمسِينَ مِنكُم»[1].

---

(١) أبو داوود (٤٣٤١)، التِّرمِذِيّ (٣٠٥٨)، ابن ماجه (٤٠١٤)، وقال الألبانيّ: ضعيف لكنّ فقرة أيّام الصّبر «فإنَّ مِنْ وَرائِكم " أيّام الصَّبرِ" ...» صحيحة ثابتة (السلسة الضعيفة ١٠٢٥).

الإهداء

إلى رجالٍ مُؤمنينَ، وشَبَابٍ صَادِقِينَ، أَرَاهُم يَنظُرونَ إلى قوى الكُفرِ الصَّليبيّةِ الصُّهيونيّةِ الزَّاحِفَةِ، وقَد تَدَاعت عَلينا بقيادةِ أمريكا تَدَاعِي الأكلةِ إلى قَصعَتِها، تُزهِقُ الأرواحَ، وتَنتَهِكُ المُحرَّماتِ، وتَحتلُّ المُقدَّسَاتِ وتَدُوسُ البلادَ وتَنهَبُ أَقوَّاتَ العِبَادِ.

فَيملأُ الحزنُ قلوبَهم، ويخنقُ القَهرُ حناجِرَهم، ويحبِسُ كبرياءُ الرّجُولةِ دُموعَ الألمِ في عُيونِهم، وتُدوّي في خواطِرِهم آياتُ الله تُنَادِيهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ﴾ [النساء: ٧٥].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [التوبة] فيملأُ الأسَفُ والحسرةُ نُفوسَهم، ويتَسَاءَلُونَ! وماذا عَسَى أَحَدُنَا أن يفعلَ أمامَ هذا الطُّوفَانِ الزّاحِفِ منَ الصّليبيّينَ واليَهُوْدِ وحُلَفَائِهم مِنَ المُرتَدّينَ والمُنَافِقينَ بَينَ أَظهُرِنَا؟!

فيَأتيهِمُ الرَّدُّ الحَاسِمُ مِنْ كِتَابِ الله:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ [النساء]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾ [التوبة: ١١١]

فَيُرَفرِفُ الأملُ في أَرْوَاحِهِم، ويُشرِقُ العَزمُ في نُفُوسِهِم، وتَنعَقِدُ النيَّةُ في قُلُوبِهِم، ويجأَرُونَ إلى ربّهم: لبّيكَ اللّهُمَّ لَبيّك، لَبيّكَ لَاشَرِيكَ لكَ لبيَّك، بِعنا يَاربُّ بِعنا، لانَقِيلُ ولانَسْتَقِيلُ.

إلى هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ المُتحفِّزينَ للدِّفَاعِ عَن دِينِ الله والمُستَضعَفِينَ مِنَ المُؤمِنِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

أُهدِي هَذا الكتابَ..

ليكونَ دَليلاً لَهُم وَمَعْلَماً عَلى طريقِ الجِهَاد في سَبيلِ الله، وزاداً يُعينُهُم عَلى البَلاغِ بِعَونِ الله، وسِفراً يَربطُهم فِكراً ومَنهَجاً بأسلافِهم مِنْ قافِلَةِ الغُرَباءِ الظَّاهِرينَ عَلى الحَقِّ الفَرَّارينَ بِدينِهِم، ولِيُعَرِّفَهُم بتَاريخِ مَنْ سَبَقَهُم في دربِ النّورِ، مِمَّنْ قَضَى نَحبَهُ ومِمَّنْ يَنتَظر، مِنَ الّذينَ هَاجَرُوا وجَاهَدُوا وآوَوا ونَصَرُوا، مِنْ رُوَّادِ التّيَّارِ الجِهاديّ والصَّحوَة الإِسْلَاميّةِ المُبَارَكَةِ في هَذَا الزَّمَانِ.

وليقدِّمَ لَهُم مَنهَجَ جِهَادٍ، وفكرةَ حَركةٍ، وطريقةَ عملٍ، بَرنَامَجَ عَمَلٍ مُتَكَامِلٍ يُسَاعِدُهم عَلى التَّخَلُّصِ مِنْ أَوزَارِ القُعُودِ، وكُرُبَاتِ الهَمِّ والحَزَنِ، وأَثقالِ العَجزِ والكَسَلِ، وحَسَرَاتِ قَهرِ الرِّجَالِ.

فَإِلى هَؤُلَاءِ المُجَاهِدِينَ القَادِمِينَ، الّذينَ ألمحُ أَطيافَهُم في الأُفُقِ، يَحملونَ راياتِ لَاإِلَهَ إِلَّا الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله، تَخْفِقُ بِالعِزِّ والنَّصرِ وتَدحَرُ قُوَى الكُفرِ والطّغيان، وتُحَكِّم شَريعةَ الله في الأَرضِ.

إِليهم وَإِلى سَلَفِهم مِنْ مُجَاهِدِي هَذَا الزّمَانِ، مِنَ الشُّهَدَاءِ والأَسْرَى والمُشرَّدِين الّذينَ رَسَمُوا لجيلِ الجِهَاد والمُقاوَمَةِ القَادِمِ، بِدِمَائِهم وآهَاتِهِم وعَنَاءِ نِسَائِهم وأَطفَالِهِم مَعالِمَ الطّريقِ..

إلى هَؤُلَاءِ وَأُولَئِكَ أُهدِي هَذَا الكِتَابَ...

رَاجياً مِنَ الله الحَليمِ الكَريمِ، العَليِّ العَظيمِ، الغَفُورِ الرَّحِيمِ، الحَنَّانِ المَنَّانِ، أن لايَحرِمَني صُحبَتَهُم في الرَّفيقِ الأَعلى مَعَ النَّبيّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ والصَّالحينَ، أَمَلي بِالله كَبيرٌ، وبِبُشرى حَبيبِهِ المُصطَفَى ﷺ؛ أنّ الدّالَّ عَلى الخيرِ كَفَاعِلِه، وأنَّ العَالِمَ والمُتعلِّم شَريكَانِ، وأنَّ المَرءَ يُحشَر مَعَ مَنْ أَحَبَّ.

عُمَر عَبد الحكِيم
أَبُو مُصعَبٍ السُّورِيّ

هذا الكتاب

بفضل ما يَسَّرَ اللهُ بعونِهِ، وَوَفَّقَ إليهِ بفضلِه، يحتوي هَذا الكِتَابُ عَلَى مَوَادٍّ كثيرةٍ، مِنها مَاهُوَ سَردٌ لِمَسَارِ التّاريخِ، لَا تَخلُو مَادّتُهُ مِنْ إمتَاعٍ وعِبْرَةٍ، ومِنها مَاهُوَ تَحليلاتٌ سِياسِيّة، وفِكريّة لِذَلك التَّاريخِ ومَسارِه، ولا تَخلُو تِلكَ الفُصُولُ مِنْ فَائدةٍ وفِكرةٍ، ومِنها ماهُوَ سَبَحاتٌ فِكريّةٌ وفَلسَفِيَّةٌ، لَا تَخلُو أيضاً مِن دُرُوسٍ ونَظرَةٍ، وفِيهِ فُصُولٌ نَقديّةٌ لِمَسارِ الصَّحوَةِ وتَجارُبِ الجِهَادِ عَبرَ العُقُودِ المُنصَرِمَةِ، وفي الكِتَابِ فُصولٌ تربَويَّةٌ، وأحكامٌ فقهيَّةٌ، ودُرُوسٌ شَرعيّةٌ، وتَوجِيهاتٌ مَنهجيَّةٌ وأُصُوليَّةٌ، وفيه موادٌّ تربَويَّةٌ، ودروسٌ في الأخلاقِ والرَّقائقِ، ونُصوصٌ شَرعيّةٌ في مَسائِلِ الجِهادِ والتَّحريضِ عَليهِ، وفي غيرِ ذَلِك، وفِيهِ خُلاصَةُ دُروسِ تَجارب جهاديّةٍ كثيرةٍ، عَسكَريّةٍ وسِيَاسِيّةٍ وحَرَكِيَّةٍ وأَمنيَّةٍ..إلخ.

فقد لخّصتُ فيه خُلاصَةَ تَجارُبي وخبرةَ رُبعِ قَرنٍ مِنْ مُوَاكَبَةِ الصَّحوَةِ الإِسْلَامِيّةِ والعَمَلِ وَسْطَ التَّيَّارِ الجِهَادِيّ وَسْطَ الأَعَاصِيرِ الدَّاخليَّة والخَارِجيَّة الّتي عَاشَهَا خِلَالَ الفَترَةِ الوَاقِعَةِ بَينَ (١٩٨٠- ٢٠٠٤م) عَمِلَت خِلَالَها مَيْدانياً في مُختَلَفِ وُجُوهِ النَّشَاطِ والمُسَاهَمَةِ فِكرِيّاً وأَدَبِيّاً وعَسكَرِيّاً وسِيَاسِيّاً وأَمنِيّاً، في عِدّةِ سَاحَاتٍ وقَضايا سَاخِنةٍ وأَسأَلُ اللهَ القَبُولَ.

ولَقَدْ تَطَوَّرَتْ أفكارُ هَذا الكِتابِ ونَضَجَت عبرَ أَربَعَة عَشَرَ عَاماً مُنذُ قِيَامِ النِّظَامِ العَالَمِيِّ الجَدِيدِ وغَزوِ أَمريكا لِلشَّرقِ الأَوسَطِ إبَّانَ حَربِ الكُوَيت سَنَةَ ١٩٩٠م، وخُطّت مُسوداته في (كَابُل[1]) خِلالَ عَهدِ الطَّالِبَان (١٩٩٧-٢٠٠١) م، وكُتِبَ بِشَكلِه النِّهَائِيِّ خِلالَ ثَلاثِ سَنَواتٍ عِجَافٍ قَضَينَاهَا مُطَارَدِين مِنْ قِبَلِ الأَمريكانِ وأَعوانِهِمُ المُرتدّينَ، نَتَنَقَّلُ بينَ المَخابِئِ والمَلاجِئِ خِلالَ (٢٠٠١- ٢٠٠٤) م، إلى أنْ صَارَ إلى النَّصِّ الّذي بينَ أَيديكُم، ولله وَحدَهُ الحَمدُ والشُّكرُ والفَضلُ والمِنَّة.

---

(١) كَابُل : عَاصِمَةُ أَفَغانِستَان وأكبَرُ مُدُنِهَا وَمَركَزُهَا الاقتِصَادِيّ ، تَقَعُ عَلى ضِفَافِ نَهرِ كَابُل تُحيطُ بِهَا جِبَالُ الهِندكُوش والآن هِيَ تَحتَ سَيطَرَةِ الحُكُومَةِ العَمِيلَةِ .

وبهذا التّنوّع والسّعة في موادّ الكِتَابِ، أَرجُو أنْ يَكُون لِمُختَلَفِ صُنُوفِ القُرّاءِ، ورُوّادِ الدّعوَة الإسْلَاميّةِ مِنْ مُختَلفِ التّوجُّهاتِ، ولِرِجَالِ مُختَلفِ التّنظِيماتِ والجَماعَاتِ الإسْلَاميّةِ، وخُصُوصاً شَبابَ الصّحوةِ الجهاديّةِ، ورِجَالَ المُقاوَمة القَادِمَة بإذنِ الله، أنْ يكونَ فِيهِ مَائدةٌ واسِعةٌ ومُتَنوِّعةٌ مِنَ المَوادِ المُفِيدَةِ والمُمتِعَةِ، يَأخُذُ كلٌّ مِنهَا مَا يُنَاسِبُهُ.

ولكنّ حُصُولَ تِلكَ الفَائِدةِ والمُتعَةِ لِمَن وَجَدَهَا فِيهِ – وإنْ كُنتُ أَرجُو نَفعَهُ وأَجرَهُ عندَ الله والدُّعاء مِن إخوَاني بِظَهرِ الغَيبِ – لمْ يَكُن الهَدَفُ الأوّلُ والأَساسيُّ لِكِتَابَتِي لِهَذَا الكِتَاب الكَبير الّذي أَعتَبِرُهُ كِتَابَ العُمُرِ، وخُلاصَةَ أَمانَةِ القَلمِ والكَلِمَة الّتي وَددتُ أَدَاءَها قَبلَ أَن أَلقَى اللهَ تَعَالَى، وأَرجُوهُ الصّفحَ والمَغفِرَةَ.

فالهَدَفُ منْ هَذَا الكِتَاب هُوَ إِرسَاءُ أُصولِ دَعوَةِ عملٍ وجِهَادٍ، أَسمَيتُهَا:

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

فَهُوَ كِتَابٌ كُتِبَ لِدَلالةِ البَاحثِينَ عَن العَملِ مِنْ أَجلِ أَداءِ الفَريضَةِ، والقِيَامِ بِالوَاجِبِ فِي جِهَادِ أَعدائِنَا مِنَ الكُفَّارِ الغُزَاةِ وحُلَفائِهِم وَأوليائِهِم مِنَ المُرتَدّينَ والمُنَافِقِينَ.

وبِإمكانِ مَن أَقنَعهُ هذا الكتابُ بِدعوتِنَا أنْ يَنضَمَّ إِليهَا، مِنْ دُونِ حَاجَةٍ لأَنْ يُلاقِينَا ونُلَاقِيهِ، وفِي ثَنَايَا الكِتَابِ مَا يَلزَمُهُ لِكَي يَكونَ عُضواً كَامِلَ العُضوِيَّةِ والفَاعِلِيَّةِ كَما سَيَرَى، فَنَحنُ فِي عَالمِ اليَوْمَ وما يسَّرَهُ اللهُ مِن شَبَكَاتِ الاتّصَالِ، وطُرقِ إيصالِ الخِطَابِ، لَمْ نَعُد بِحَاجَةٍ حَتمِيَّةٍ لِلتَّواصُلِ واللِّقَاء المُبَاشَر، وصَارَ بِالإمكَانِ التَّواصُلُ والتَّخَاطُبُ وتَوفِيرُ موادِّ التَّربِيَةِ والإعدادِ مِنْ دُونِ كبيرِ عناءٍ، هذا إِذا توفَّرَ العَزمُ والإرادَةُ.

فليسَ القصدُ منْ هذا الكتاب المتعَةُ والثّقافَةُ العَامّةُ، كَما هُوَ هَدُفُ أَكثَرَ قرّاءِ الكُتُبِ والصُّحُفِ، والمُتابعينَ للفَضائِيَّاتِ والانترنت مِنَ المُسلِمِينَ فِي هَذا الزّمانِ ولِلأَسفِ.

وبهذا الفَهمِ والرُّوحِ واستِشعَارِ المَسؤُوليّةِ، مَسؤُوليّة تلقِّي دَعوةٍ جادّةٍ للجِهَادِ في سَبيلِ الله أَرجُو أَن يَتَنَاولَ القرّاءُ هذا الكتابَ ويَقرؤُوهُ بكلّ رُوح الجدّ والمَسؤوليّةِ أمامَ اللهِ، ثُمّ أمامَ الأُمّةِ، ثُمّ أمامَ أجيالِ

عشراتِ آلافِ الشُّهداءِ الّذينَ قَضوا خِلالَ هذه العقودِ الأَخيرةِ، كَي يَحيا هذا الدّينُ، وكَي تستمرَّ رايةُ الجِهَادِ تخفقُ بكلمةِ التّوحيدِ، شَهادة أن لَاإله لَّا الله إلا الله، محمّدٌ رَسُولُ اللهِ ولِتكونَ كلمةُ اللهِ هيَ العُليَا، وكَلمةُ الّذينَ كَفرُوا، كلّ الّذينَ كَفرُوا، وفي كلِّ زمانٍ ومَكانٍ هِيَ السُّفلَى.

﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ [التوبة]

ولا غالبَ إلّا اللهُ، واللهُ أكبرُ وللهِ الحمدُ.

المؤلّف

﴿ تنويهٌ بشأنِ -طبعةُ ذي القعدة ١٤٢٥هـ / ديسمبر ٢٠٠٤م- ﴾

الحَمْدُ لله، والصّلاةُ عَلى رَسولِ الله، وآلهِ وصَحبِه ومَن وَالاهُ، وبعدُ:

أكتبُ هذا التَّنويهَ ونحنُ في شهرِ ذي القعدة ١٤٢٥ المُوافِق لِشَهر ديسمبرَ ٢٠٠٤م.

وقد كلَّفتُ بعضَ الإخوةِ وأجزتُهم بنشرِ هَذَا الكِتَابِ، وكُتُبٍ أُخرى ألّفتُهَا خِلَالَ السَنَواتِ الثّلاثِ العِجَافِ الماضيَةِ، بالإضَافةِ لنَشرِ مَا أعتَزِمُ إصدارَهُ مِن البَيَاناتِ وغيرَ ذلكَ، إنْ يسَّرَ اللهُ وأعانَ.

فقد كانت المادّةُ الرَّئيسيَّةُ لِهَذَا الكتاب، مُسجّلةً في بعضِ أشرطةِ الكاسيت والفيديو ومحفوظةً لدى بعضِ الإخوةِ، وقد كانت مَسألةُ تحويلها إلى كتابٍ، تُشَكِّلُ حُلماً لديَّ لم أستَطِع تحقيقَهُ رَغمَ العزمِ مِراراً لمّا كنّا في أفغانستان لانشغالِنا في أمورِ الإعدادِ والجِهَادِ معَ الإمارةِ الإِسْلَاميّةِ، نسألُ اللهَ الإخلاصَ والقَبُولَ.

فلمّا آلَ بِنَا الحالُ لِمَا هُوَ مَعروفٌ، وحُصرَ أو طُورِدَ مَنْ نَجى مِنّا مِنَ القَتلِ والأَسرِ، بَعدَ أحداثِ سِبتَمبر ٢٠٠١م، كانَ همّي الأكبرُ هوَ إنجازُ هذا الكتاب الّذي أعتبرُه كتابَ عُمُري، وخُلاصَةَ تجربَتِي وفِكري ومُعتَقَدي، والّذي لخّصتُ فيهِ مَا علينا فِعلُه كي نُحافظَ عَلى رايةِ الجِهَادِ عاليةً، ونحفظَها بعونِ الله منَ السُّقوطِ أو الاندثارِ أو الانحرَافِ، وخُلاصة الأمانة الّتي يُثقِلُ كاهِلي الشُّعورُ بوجوبِ تسليمِهَا للجيلِ الجِهاديِّ النّاشِئ، والّذي وَقعت عليهِ مَهمّةُ مُوَاجَهةِ هذا البَلاءِ النّازلِ في الأُمّة عَلى يدِ اليَهُوْدِ والصّليبيّينَ وحلفائِهم المُرتَدّينَ والمُنَافِقينَ مِنْ أبناءِ أمَّتِنا.

ورغمَ أنّنا مَررنَا – معشرَ مَن أسمَوْنَا بالمُجَاهدينَ الأفغان العَرَب، ثمّ عمّموا عَلينا مُسمَّى القَاعِدَةِ، ثُمَّ وصفُونَا بالإرهَابيّين – وما زِلنا نَمرُّ بظروفٍ بالغةِ الصّعوبةِ والتّعقيدِ ليسَ هُنَا محلّ ذكرها، وهي أهوالٌ ومحَنٌ مِن ظُروفِ الحِصارِ والمُطَارَدَةِ، لا يَعلم ببَأسَائِها وضَرّائِها إلا اللهُ، ثمّ مَنْ أنعمَ الله عليه بأن يُقَاسِها من هَؤُلَاءِ الفرّارين بدينِهم في هذا الزّمان، ووالله إنّهُ لفخرٌ لا نَقيلُ بيعهُ ولا نَستقيلُ، إنْ شاءَ اللهُ.

أقولُ رغمَ ذلك، فقد استفدتُ من ظروفِ الإقامةِ الجبريّةِ وقلّةِ الحَرَكَةِ، ومَا وفَّرَتْهُ لي مِنْ وقتٍ، وانهمكتُ في تأليفِ هذا الكتاب وعكفْتُ عَلى ذلك لَيلاً ونهاراً منذُ مَطلَعِ سنةِ ٢٠٠٢م، أي منذُ ثلاث سَنَوات (رمضان ١٤٢٣هـ/ ديسمبر ٢٠٠٢م) - (ذي القعدة ١٤٢٥هـ/ ديسمبر ٢٠٠٤م).

ورغمَ أنّي تنقّلتُ في أنحاءَ شتّى، وفي ظروفٍ شَتّى، إلّا أنّي أحمدُ اللهَ أنْ ألبسَني ثوبَ الهِمّة لإنجازِه، وأسألهُ ضَارِعاً أنْ يمنَحنِي الإخلاصَ والسَّدَادَ، ويُتمّمَ فَضلَه بالقبولِ.

ونتيجةَ تعقّدِ الأوضاعِ الأمنيّةِ، وخَشيتِي أن أتعرّضَ لما يحولُ بيني وبينَ نشرِ هذا الكِتابِ، قرّرتُ نشرهُ الآن رغمَ أنّي لم أُنجِز كافّة التّصحيحاتِ والمراجعاتِ الّتي أردتُها لَهُ، وآسفُ لعددٍ منَ الأمورِ الّتي حَصَلَت لهذه النّسخة، رغم أنّي أعتقدُ أنَّ فصولَه الرَّئيسيَّة وأفكاري الأساسيَّةُ، وما أعتبرُهُ أمانتي في جِهَادِ الكلمةِ والقلمِ، قد عُرِضَت فيهِ بشكلٍ وافٍ وكافٍ.

وسأذكرُ هنا ما أعتبرهُ نَقصَاً وخللاً فيها كنت أتمنّى تَلافِيه، وآملُ أن أستطيعَ تَلافيه في الطّبعة التّالية (طبعة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م) الّتي سأحاولُ أنْ لا تَتأخّرَ إنْ شاءَ الله.

وقد زادَني قناعةً بهذا القرارِ، قرار تعجيلِ نشرِ هذا الكتاب، ما اطّلعت عليهِ مُؤخّراً، وهو ما أعلَنَهُ وزيرُ الخارجيّةِ الأمريكيّ (كولن بَوْلْ)، في العِشرين من نوفمبر ٢٠٠٤م، من أنّ حكومَتهُ المُجرِمَة قد رصدَتْ لِمَن يُدلي بمعلوماتٍ للقبضِ عَلى شخصي الضّعيف عِدّةَ ملايينٍ مِنَ الدّولاراتِ!! ولا أدرِي لماذا أستحقُّ هذا الكرمَ الإجراميّ حقيقةً!! وأسألُ اللهَ أنْ يعني هذا أنّني في موطئٍ يغيظُ الكفّارَ، وأرجُو أن يكتبَ لي بِهِ عملاً صالحاً، بعد أن قَصُرَت همّتي عن إدراك سعي الصّالحين، فبقيتُ حثالةً، بعد أن اصطفى اللهُ الشّهداءَ، وأرجو الله أن أُدرِكهم برحمةٍ منهُ تُدركُني، فهوَ الحليمُ الكريمُ وحُقَّ لنا الطّمعُ.

فخشيتُ أن يسبقَ لي قدرٌ يَمنعُني مِنْ نشرِ الكتابِ وأداءِ الأمانةِ، فأخسرُ بلاغَهُ للأمّةِ بسببِ الحِرصِ عَلى تصحيحِهِ وإخراجِه كما أحبّ لهُ من التّمامِ والكمالِ إن استطعتُ، وكما قالوا فَما لا يُدركُ جُلّهُ لا يُترَكُ كُلّهُ، وأما ما أعتبره خللاً أو نقصاً في هذه النّسخة، أو فكرة في حسنِ إخراجِه لم أحَقّقهَا، فأهمّ ذلكَ ما يَلي:

١- بعضُ الأخطاءِ المطبعيّة، وربّما الإملائيّةُ والنَّحويّةُ، وأرجُو أن لا يَكون قد وَقعَ مثلُ ذلكَ في النّصوصِ القرآنيّةِ والحديثيّةِ، وقد راجَعتُهَا عَلى عَجَلٍ، وكذلكَ ضبطُ علاماتِ التّنقيطِ والفَواصِل، وأجيزُ من يحصلُ عَلى هذه النّسخة منَ الكتابِ (طبعة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) من أهلِ الكفاءةِ بذلك أنْ يُصلِحَ هذهِ الأخطاء في نسختِه قبلَ أن يَنشُرَهَا.

٢- عدمُ إعطاءِ بعضِ الأفكارِ حقَّها من التَّفكّرِ الأخيرِ قبلَ إخراجِ الكتابِ.

٣- عدمُ تمكّني من التّعليقِ عَلى الأحاديثِ الواردَةِ في مسكِ الختَامِ، عن أحداثِ الملاحِم والفِتنِ، ولديَّ معلوماتٌ وأفكارٌ كثيرةٌ كنتُ أودُّ تسجيلَها خلالَ النّصوصِ.

٤- عدمُ التّعليقِ عَلى الشَّواهدِ والنُّصوصِ الّتي جمعتُها واستشهدتُ بها في بابِ التّربيةِ السُّلُوكِيَّةِ والأخلاقِ والعِبَاداتِ.

٥- عدمُ شرحِ فصلِ المحاذِيرِ والاقتصارُ عَلى ذكرِها في الفَصلِ التّاسِعِ.

٦- حذفُ فقرةِ (ردودٌ عَلى شُبهاتٍ) يثيرُها أعداءُ الجِهَادِ والمُجَاهدينَ، ولاسيَّما من علماءِ الاستعمارِ والسَّلاطين وفقهاءِ البنتاغون[1]، وقد جَمعتُها في خمسة عشرَ شُبهةٍ واهيةٍ هيَ كلُّ بضاعتِهم الضّالَّة، وسأُفردُ إن شاءَ اللهُ لها كتابًا مُلحقًا.

٧- عدمُ وضع شواهدَ كثيرة لديّ، توفّرت من الإنترنت تقوّي بعض فُصولِ الكتاب.

٨- عدمُ التَّمكنِ من كتابةِ رسالة المَدخَل إلى دعوةِ المُقاوَمةِ الّتي تُلخّصُ أهمّ أفكارِ الكتابِ وخُلاصة الدّعوة، دعوة المُقاوَمةِ الإِسْلَاميّةِ العَالَمِيّةِ، الّتي أنشدُ إطلاقَها والتّأسيس لَهَا، إنْ شَاءَ اللهُ.

٩- عدمُ تمكُّنِي من عادةٍ لازَمْتُها في أكثرِ، أَو كلِّ كتاباتي، وهي إطلاعُ بعضِ الأكفاءِ ومن أثقُ بهم عَلى ما كتبتُ ومشاورَتهم فيه، فأكثر مَن عَنَيْتُ من إخوانِنا قد قُتِلَ أو أُسرَ، والباقي مُختَفٍ يتَعذَّرُ الاتّصالُ معهُ، وكم كُنتُ أتمنّى أنْ يَطّلعَ عَلى هَذا الكتاب قبلَ نشرهِ، أخي وصَديقي؛ رمزُ جِهَادنا

---

(١) البِنتَاغُون: وِزَارَةُ الدِّفَاعِ الأَمريكيّة في وَاشُنطن وسُمِّيَت بِنتَاغُون نِسبةً لشكلِهَا المُخَمّس، ويَقصُدُ: الفُقهاءَ الّذينَ يُفتُونَ ويُشَرعِنُون للحكَّام العُملاءِ للغَربِ.

الشَّيْخ المُجَاهِدُ، شمسُ الأُمّةِ أُسَامَةُ بن لادن حَفظه الله(١)، ومتّعَ الأُمّةَ بسلامَتِهِ، ولا شَفى منهُ صدرَ عدوٍّ، وكذلكَ أخي وصَديقي، وشَيخي، المُجَاهد القدوة، درّة أرضِ الكنانَة مصر، الدّكتور أَيمن الظّواهريّ حَفظهُ اللهُ ورَعاهُ(٢)، ومتَّع الأُمّةَ ببقائِه، وكذلك أخي وصديقي، المُجَاهد القدوة، بقية الصّالحين من ليبيا كَما أحسَبه ولا أُزكّيه عَلى الله، الشَّيْخ أبو اللَّيث اللِّيبيّ(٣) حفظهُ اللهُ ونكأ بِهِ أعداءَه، وكذلكَ أخي وصديقي، ورفيق دربِي ومَساري، الصّابرُ المصابرُ، المُجَاهدُ الشَّيْخ أبو خَالد السُّوريّ حفظهُ اللهُ(٤) وأمتعنَا والأُمّة بِهِ وبأمثالِهِ، وما عُدتُ أعرفُ لأمثالِ هَؤُلَاءِ إِلَّا القليلَ، فهَؤُلَاءِ

---

(١) هو الشَّيْخ الإِمَامُ المُجدّدُ الغَنِيُ عن التَّعريفِ أُسَامَةُ بن مُحَمَّد عوض بن لَادن، من مَواليدِ الرِّياضِ ١٠مارس ١٩٥٧م اغتالتهُ يدُ الإجرامِ الأمريكيّة في مَدينةِ أبوت آباد الباكستانيَّة بعدَ عمليَّةِ انزالٍ واشتباكٍ في ٢مايو ٢٠١١م ﷺ، ويُعتَبرُ المُؤسِّس لتنظيم القاعدة أعزَّها اللهُ وخلِفهُ على قيادةِ التَّنظيمِ الشَّيْخ أَيمَن الظَّواهريّ حفظه الله.

(٢) الدَّكتُور أَيمَن الظَّوَاهِريّ حَفظَهُ اللهُ: هوَ الإمامُ أبُو عَبد الرَّحمن؛ أَيمن بن مُحمَّد ربيع الظَّواهريّ، وُلدَ في ١٥/ رمضان/ ١٣٧٠ هـ، بحيٍّ "المعادي" بالقاهرة، كانَ جدُّه :"الظَّواهريّ" أحدُ شُيوخِ الجَامعِ الأزهرِ، وجدُّه لأمِّهِ: هو الدُّكتور عبدالوهَّاب عزَّام أستاذُ الآدابِ الشَّرقيَّة وعميدُ كليَّة الآدابِ ورئيسُ جامعةِ القَاهِرةِ، والده: هو الدُّكتُور مُحَمَّد ربيع الظَّواهريّ، الأستاذُ بكليَّةِ الطّبّ بجامعةِ عين شمس وأحدُ أشهرِ أطباءِ مصر، وخالُه سالم عزَّام: أمينُ المجلسِ الإسلاميّ الأوروبيّ، وخاله الآخر: محفُوظ عزَّام نائبُ رئيسِ حزبِ العملِ المصريّ، نشأَ الشَّيْخ نشأَةً جهاديّةً فمنذُ ١٩٦٦م انضمَّ إلى الحَرَكَةِ الإسلاميّة في بداية تأسيسهَا، وسُجن إثرَ اغتيالِ السَّاداتِ ثلاثَ سنواتٍ، ثمَّ هاجرَ والتحقَ بالرَّكبِ الأفغانيِّ وأسَّس مع الشَّيْخ أسامةَ ١٩٩٨م الجبهة الإسلاميَّة العالميَّة، ولا يزال الشَّيْخ منذُ نصفِ قرنٍ شوكةً في حلوقِ الصَّليبيّينَ وطواغيتِ العالمِ ، ولهُ نِتَاجٌ ضخمٌ من التَّحريضِ والكُتبِ والتَّوجيهِ نسألُ اللهَ أن يمدَّ في عُمرهِ ويَحفظَهُ ذخرا للأمَّة، وسيأتي الشَّيْخ أبُو مُصعب على ذِكره في التَّجربة الجهاديَّة المِصريَّة

(٣) الشَّيْخ أبو اللَّيثِ اللِّيبيّ ﷺ: قتلَتهُ طائراتُ التَّحالُفِ الصَّليبيِّ على ثَرى وزيرستانَ ٢٨ يناير ٢٠٠٨م بعدمَا قَضى عُمُرَهُ مُهَاجِرَاً في سبيلِ الله مُصابرَاً في السُّجونِ مُرابطاً مُدرِّباً داعياً إلى الله وقائداً ميدانيَّاً، ﷺ .

(٤) الشَّيْخُ أبو خالدِ السُّوريّ ﷺ: (مُحَمَّد بَهايَا) شيخٌ مُصابرٌ وقائدٌ فذٌّ وقُدوةٌ ورَمزٌ من رُموزِ المُجاهدينَ وُلدَ في حلب ١٩٦٣م، والتحق بصفوفِ الطَّليعة المُقاتلة في سورية ١٩٧٩م وفي ١٩٨٢م عُيِّنَ مسؤولاً للدَّعم اللُّوجستيّ في تركيا وفي ١٩٨٧م هاجرَ إلى أفغانستان وعملَ أميرًا ومدرِّبًا ثمَّ عادَ ١٩٩٤م إلى تركيا وتردَّد إلى إسبانيا مرَّات عديدة مع الشَّيْخ أبي مصعب ثمَّ عادا إلى أفغانستان ١٩٩٧م أيّام إمارة الطَّالبان كان فيها مُرافِقًا للشَّيخ أسامة ﷺ وبعدَ السُّقوطِ انحازَ

وبعضُ القليلِ الآخرينَ ممَّن بقيَ لَنَا، هُم منَ الأكفاءِ الَّذينَ وددتُ لو حَظيَ الكتابُ بملاحظاتِهم قبل نشرِه، ولكنّ تفرُّقَنا في الدُّنيَا وتَقَطُّعِ السُّبلِ حالَ دونَ ذلك، وأرى أنَّ وقتَ نشرِهِ قد أزِفَ، وأخشى فواتَ ذلكَ، لا قدّر الله، وأسألهُ كلَّ خير.

ولذلكَ فإنَّ ما جَاءَ في كتابي هذا من أفكارٍ ومبادئ هو مسؤوليّتِي وحدي، ويُعبِّرُ عن آرائي الخَاصّة، وإن كنتُ أعتقدُ أنَّ جلّهَا، وأكثرها، وغالبيّتها السَّاحقَة تشكّلُ - والله أعلمُ - قاسِماً مُشتركاً لَدى عمومِ الجهاديّينَ، كما علمتُ حالَهم، وأنا بفضلِ اللهِ منهُم، وأرجو أن يَلقى الكتابُ دعمهُم وتأييدَهم ورضاهُم بعد رضَا الله سُبحانَه.

١٠- وأخيرا آسفُ لعدمِ إخراجِه إخراجاً فنيّاً يُناسبُ مُستواهُ الّذي وَفّق اللهُ إليهِ، وحسبُنا اللهُ عَلى مَنْ ظلَمَنَا ونِعمَ الوَكيلُ.

وكما قلتُ، فإنّي أعتذرُ عَنِ الخللِ والنّقصِ، وأستغفرُ اللهَ العظيمَ وأتوبُ إليهِ عن كلّ زَللٍ وخطأ، وأنا عائدٌ عنه سلفاً ومتبرئٌ من كلِّ ما لا يُرضي اللهَ تباركَ وتَعالى، ورسولَه الكريم ﷺ ممَّا قد يكونُ قد زَلّ بِهِ القلمُ، أو شطحَ بِهِ الفكرُ والخاطرُ، وحسبيَ أنّي لمْ آل جُهدًا، والنّقصُ في ابنِ آدمَ أصلٌ وطبيعةٌ، والأملُ في عفوِ الغفورِ الرّحيم.

وأسألُ كلّ من يقرأ هذه السُّطُور من المُسلِمِينَ، أن يدعوَ لي بظهرِ الغيبِ، وأن يسألَ الله ليَ صَلاحَ ديني ودُنيايَ وعاقبةَ أمري وحسنَ الخَاتمةِ، والثّباتَ عَلى الحقِّ، وأن يجمعَ لي شرفَ جِهَادِ السّيفِ والقلمِ، ويتقبَّلَ منِّي ويغفرَ زللي، وأن ألقاهُ شهيداً في سبيلِه مُقبِلاً غير مُدبرٍ، فألقاهُ فيمنْ قَالَ ﷺ

لباكستانَ ووقعَ في الأسرِ في ٢٠٠٥م ثمَّ سُلِّمَ لسوريّا وبقيَ في الانفراديّة ٧ سنواتٍ إلى أن فرَّج اللهُ عنهُ في ٢٠١١م والتحقَ بصفوفِ أحرارِ الشَّام بدايةَ تأسيسها وعُيِنَ أميراً لحلب وسَعى في مهمَّةٍ أوكلها لهُ الشَّيْخ أيمن للصّلح والجمعِ بينَ الفَصَائِلِ إلى أن قَتَلَه رَحِمَهُ الله ثلاثَةٌ من الغَادِرينَ من خوارجِ العَصرِ (جماعة دولة البغدادي) وذلك بعد إصداره بياناً بحقِّهم وقد رثاه قادةُ المجاهدينَ في شتَّى الأنحاءِ .

عنهم: «أولئكَ يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ»(١)، فما أَهونَ وأسهَلَ ما نُلاقي إنْ جَعلَنَا فيهم، وعافيَتُهُ وسعَت كلَّ شيءٍ، وصلّى اللهُ وسلّمَ وباركَ عَلى حبيبِهِ المُصطَفى، وعَلى آلِهِ وصَحبِهِ وسلّم، وآخرُ دعوانا أنِ الحَمْدُ لله ربِّ العَالَمِيّن.

الفقيرُ لرحمةِ ربّه وعفوه:

(أبُو مُصْعَبٍ السُّورِيّ)

ذو القعدة١٤٢٥هـ/ ديسمبر٢٠٠٤م

---

(١) رواه أحمد (٢٢٤٧٦) وقال الأرنؤوط: إسناده قوي، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٣٧٤٠).

فهرس

الجزء الثاني: (الدّعوة – المنهج – الطَّريقة)

الفصل الثامن: نظرَيَّات المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة.

الفصل التاسع: وصايا وبشائر.

مسك الختام.

﴿ الفهرس المُفَصَّل لفقرات الكتاب ﴾

الفهرس التّفصيلي للجزء الأوّل

****

****

****

****

****

الفهرس التفصيلي للجزء الثّاني

البخل

الظُّلم

حب السُّلطَان والإمارة

الكذب

الغيبة

النميمة

ذو الوجهين

إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا

شهادة الزور

الفحش والبذاءة

لعن الإنسان والدواب

سب المسلم بغير حق

الإيذاء

الحسد

التجسس والتسمع إلى كلام من يكره ذلك

سوء الظن بالمُسلِمين

احتقار المُسلِمين

إظهار الشماتة بالمسلم

الغش والخداع

الغدر

المن بالعطية

الافتخار والبغي

هجران المسلم فوق ثلاث بغير سبب شَرعِيّ

الرّقائق والزهد وأمراض القلوب

ذكر الموت وقصر الأمل

ذكر الجنّة والنار

المراقبة والمحاسبة

الخوف

الرجاء

التوبة

البَاب السَّابع: نظريَّة تمويل سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة

البَاب الثَّامن: نظريَّة الإعلام والتّحريض في دعوة المُقَاوَمة

****

****

وهذه وصيّتي

****

﴿ تمهيدٌ ﴾

- تعيشُ الأُمّةُ الإِسْلَاميّةُ مطلعَ القرنِ الحادي والعشرين الميلاديّ وقائعَ الغزوِ الأمريكيِّ الصُّهيونيِّ الصّليبيّ الغَربيّ، ووقائعَ التَّحالفِ الكامِلِ الّذي تُبديه الأنظمة الحاكمةُ وقُوى النِّفَاقِ في العالَمِ العربيّ والإِسْلَاميِّ في تعاونِها مع قوى الكفرِ الغازيةِ.
- لقد تَفانَت كثيرٌ من كوادرِ التّيارِ الجهاديِّ وانقرضَت شريحةٌ كبيرةٌ من قواعدِه، بفعلِ الهجمةِ العسكريّةِ الأمنيّةِ لهذا الحلفِ، وأصبحَ التّيارُ الجهاديُّ مُهدَّداً في استمراريَّتهِ، وفي الحفاظِ عَلى تراثهِ الفقْهيِّ والمنهجيِّ الأَصيل.
- كما تعيشُ الصّحوةُ الإِسْلَاميّةُ تردِّياتٍ فكريّةٍ وشرعيّةٍ بفعلِ جهودِ المُنَافِقينَ من عُلماءِ السُّلطَانِ وضلالاتِ المُنهزمينَ من قياداتِ الصّحوةِ الإِسْلَاميّةِ، تردّياتٍ تُهدّدُ الصّحوةَ في قواعدها وجُمهورِها، وتهدّدُ الأُمّةَ في عقيدتِهَا وهَويَّتها ووُجودِها.
- ربَّما لاينصرمُ العقدُ الأوّلُ من القرنِ العِشرين إلَّا وقد بدأت حربُ الأفكارِ الأمريكيّةِ، والهجمةُ عَلى المناهجِ التّعليميّةِ والثّوَابتِ الأساسيّةِ للأمّةِ تُؤتي أُكلَها إذا استمرَّت الأحوال عَلى ما تبدو عليه الآن، وهناكَ ضرورةٌ لحفظِ الهويّة العَقديّة والفِكريّة والثّقافيَّة للأُمّة، ولحفظِ الفِكرِ والمَنهجِ في الصَّحوةِ الإِسْلَاميّة وطليعتها الجِهاديّةِ.
- أعتقدُ أنّه وبفعلِ هذهِ الظّروفِ، ستنبعثُ في هذهِ الأُمّةِ الحيّةِ نُوَيّاتُ المُقاوَمةِ وستكونُ متبعثرةً لا يجمعُها شيءٌ من فكرٍ أو مَنهجٍ أو هَويّةٍ، إلا هدفُ دحرِ العُدوانِ.
- وربَّمَا ستتولّدُ ردودُ أفعالٍ ناتجة عن الجهالةِ والاضطرابِ في أوساطِ مختلفِ أشكالِ المُقاوَمةِ التّي سيُبديها المُسلِمُونَ، وسيستغلّ حلفُ الأَعدَاءِ تلكَ الأخطاءِ لتشويهِ الجِهَادِ، ولدقِّ الإسفين بين المُقاوَمةِ وجمهورها في الأُمّةِ، ومن ثمّ دفعها في طريقِ التّبعثرِ والهزيمةِ.

- وبفعلِ تتابعِ سقوطِ الشّهداءِ من القياداتِ والكوادرِ الّتي تربّتْ وأُعِدّتْ منهجيّاً عبرَ وقتٍ طويلٍ، ستبقى أكثر مجموعات المُقاوَمةِ والجِهَادِ مفتقرةً إلى منهجٍ تربويٍّ سياسيٍّ شَرعِيٍّ وفكريٍّ يكونُ مَرجِعَاً لها، وسبيلاً لإعداد كوادِرها الجَدِيدة عبر المسارِ، ودُسْتُوراً ترجعُ إليه في اختلافِها، وهويَّة ثابتةً تُعَرّفُ به عن نفسِها للأصدقاءِ والأعداء عَلى حدٍّ سواء.

من أجلِ ذلكَ كتبتُ هذا الكتاب لكي يكونَ بإذنِ الله وعونِه سِفْراً:

يحتوي خُلاصةَ الأساسِيَّاتِ السّياسيّةِ الشَّرعيَّةِ والفكريّةِ المنهجيّة الّتي تربّى عليها التّيارُ الجهاديُّ منذُ نشأتِه وعبرَ مسارِه الطّويل.

- كما يضمُّ تاريخَ التَّجَارب الجهاديّةِ وخُلاصةَ الدُّروسِ المستفادةِ منها كي يبني الجيلُ الجهاديُّ القادم عليها ويستفيدَ من دُروسٍ وتجاربٍ دفعنا زكيَّ الدَّمِ، وعناءَ الطَّريقِ ثمناً لها.
- كما يتضمَّن خُلاصةَ مسارِ الصِّرَاعِ بين المُسلِمِينَ والرُّومِ عبرَ القرونِ ولا سيَّما الرُّومِ المعاصرينَ [الأمريكان والأوربِّيين] ومؤامراتهم في القرنينِ الماضِيَيْنِ لإبعادِ المُسلِمِينَ عن دينِهم وأسبابِ قوّتِهم وانتصارِهم.
- لتُكَوِّنَ تلك المعلوماتُ أرضيّةً فكريّةً توفِّر للمُجَاهِدِ أساسِيَّاتٍ لفهمِ مسارِ هذا الصِّرَاعِ الدّائرِ اليَوْمَ وجُذُوره، وطريقةُ الأَعدَاء في إدارتِهِ.
- كما يحتوي بعدَ ذلكَ دليلاً للمُجَاهدينَ والمقاومينَ لأَفضَلِ السُّبلِ لمقاومةِ هذهِ الحَمَلاتِ الغَازِيَة، كما تصوُّرتُها من خلالِ ما فتحَهُ اللهُ عليَّ من خلالِ الدّراسةِ والتَّفكيرِ، وتراكمِ التَّجَاربِ ومواكبةِ المسارِ.
- ويرسمُ للعازمينَ عَلى السَّيرِ في هذا الدّربِ المنيرِ منهجَ التّربيةِ المُتكامِلةِ الّتي تُؤَهِّل المُجَاهِدَ للعزمِ ثمّ السّيرِ ثمَّ الثّباتِ، وتزوِّدُهُ بما نَرجُوا أن يعينَه عَلى عملٍ مقبولٍ عندَ الله في الآخرةِ، مؤهّل للنّصرِ والنَّجَاحِ في الدُّنيَا.
- وبهذا أرجو أن يكونَ هذا الكتاب قَد ضَمَّ بينَ دفَّتيهِ بمجموعِ فصولِهِ ورسائِلِه، منهجاً متكاملاً وهويّةً فكريّةً سياسيّةً شرعيّةً تكون مرجعاً بين قيادات الجِهَاد والمُقاوَمة وقواعِدها، ودُستوراً

يضبطُ حركَتَهَا، ومحوراً للّقاء بين مُختَلف فصائلِ الجِهَادِ والمُقاوَمةِ الّتي أرى أطيافَ جُموعِها تتكوَّنُ في رحمِ هذهِ الأُمّةِ المِعطاءَة الّتي مازالت طَائفةٌ مُجاهدةٌ منها عبرَ الأزمانِ تثبتُ أنَّها خير أمّة أُخرِجَت للنَّاسِ، وأسأَلُ اللهَ تعَالَى أن يرزقني فيه الإخلاصَ والقَبُولَ، ويجعلَه موطئاً يغيظُ الكفّارَ، وينفعُ المُؤمِنِينَ، وأن يكتبَ لي بهِ عَملاً صالحاً، وعلماً نافعاً لا ينقطعُ أجرُه، وأسأله أجرَ الدّالِّ عَلى الخيرِ، وأن يرزقَنِي الصِّدقَ والثّباتَ ويجمعَ لي أجرَ الجِهَادِ بالسَّيفِ والقلمِ، ويختِمَ لي بالشَّهَادةِ في سبيلِه، إنّهُ حليمٌ كريمٌ، وأستغفرُ اللهَ العظيمَ وأتوبُ إليه، وصَلّى اللهُ عَلى رَسُولِه الأمين، وآلِهِ وصَحبِهِ الطّيبينَ الطّاهرينَ، والحَمْدُ لله ربِّ العَالَمِيِّن.

مُقدِّمة

الحَمْدُ للهِ وحده، أهل الحمد والثَّناء، الحَمْدُ لله وحده، ربّ الأرض والسّماء، اللّهم لكَ الحمدُ كلّه، ولكَ المُلكُ كلّه وإليكَ يرجعُ الأمرُ كلّه ربّ الطّيبين وَوَلِيِّ الصّالحين لك الحمدُ يَا مَن لَهُ الخلقُ والأمرُ وَحده.

الحَمْدُ للهِ وَحدَهُ، صدَق وعدَهُ، ونصرَ عبدَهُ، وأعزّ جندَهُ، وهزمَ الأحزابَ وحدَهُ، لا شيءَ قبلَه ولا شيءَ بعدَهُ، مخلصين لَهُ الدّينَ ولو كرهَ الكافرُونَ.

والصّلاة والسَّلام عَلى سيّدنا وحبيبنا وقرّة أعيننا، قائدنا وشفيعنا إلى ربنا، نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، اللّهم صلِّ وسلِّم وبارك وأنعِم عليه، واجزه خيرَ ما جزيت نبيّاً عن أمّته، فقد أدّى الأمانة وبلّغَ الرّسالة ونصحَ الأُمّة، وجاهدَ في الله حقَّ جِهَاده حتَّى أتاهُ اليقين.

فصلِّ اللّهمّ وبارك عليه وعلى آلهِ وأزواجه الطّيبين الطّاهرين، وعلى أصحابه وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدّين، صلاةً تشملُنَا بها برحمتِك وكرمِك وعفوِك وسترِك، وترزُقنا بِهَا الشَّهَادة في سبيلك يا أرحم الرَّاحمين، وبعدُ:

فلقد أَعلنت الحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية المعاصرة بقيادة أمريكا، عَلى العالم العربيّ والإِسْلَاميّ أهدافها بكل جلاء، وهي أهداف تشمل كافّة مقوّمات الوجود الحضاريّ والدّيني والسّياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ والثقافيّ للمسلمين، ولقد أعلنت إدارة بوش جلاء أن أهدافهم تشمل خلال العشر سنين القادمة:

١. **تغيير الخارطة السّياسيّة في الشّرق الأوسط والعالم العربيّ الإِسْلَاميّ أي تغير الأنظمة وإعادة تركيبها أو تبديلها أو صياغتها من جديد.**

٢. **تغيير الخارطة الجغرافيّة لبعض البلدان بما يخلق مزيداً من التّشرذم والنّزاعات المحليَّة الدّينيّة والعِرقيّة والسّياسيّة.**

٣. **تغيير مقوّمات الهويّة الثّقافيّة والتكوين الاجتماعيّ بإزاحة الأسس الدّينيّة والفكريّة والأخلاقيّة لشعوب المنطقة وإعادة صياغتها بحسب أسس الفكر الغربيّ ولا سيّما الأمريكيّ والصّهيونيّ.**

٤. **السّيطرة عَلى مصادر الثّروة في المنطقة ولا سيّما النّفط والغاز والثّروات المعدنيّة وسواها من المصادر الزراعيّة والحيوانيّة لضخّها في شريان المحتلّ الغازي القادم من وراء البحار، وفي شريان الكيان الصّهيونيّ المزروع في قلب المنطقة، وتحويل المنطقة إلى سوق لتصريف المنتجات الاستعماريّة عبر ما يُسمّى باتّفاقيّاتِ الشّراكة والتّجارة الحُرّة في الشّرق الأوسط.**

ولقد كشفت وسائل الإعلام المختلفة عن أن أمريكا وحليفتها بَرِيطَانيَا ومن ورائِها إسرائيل، يعاونها كافّة دول النّاتو وأوروبّا الدّائرين في فَلكها طوعاً أو كرهاً، كشفت عن أنّها استباحت كلّ الوسائل العسكريّة والاستخباراتيّة والاقتصاديَّة والإعلاميَّة وغيرها لتحقيق هذه الأغراض.

و باختصارٍ: فإن العالم يشهد أعتا وأشرس هجمةٍ استعماريّة بربريَّة عرفها في تاريخه عَلى أيدي الحضارة الغربيّة الّتي آلت قيادتُها لشرذمةٍ من المُتطرّفين الصّليبيّين المُتَصَهينين في الإِدارة الأَمريكيّة.

ويمكن القول أن هذه (**الحملات الصّليبيّة الثّالثة**) إن جاز التَّعبير هيَ استمرار بشكل شرس ومنظَّم للحملتين السّابقتين اللتين قامتا قبلاً، الأولى خلال القرنين الحادي عشر والثّاني عشر الميلاديّ، والثّانية الّتي قامت منذُ القرن السَّابع عشر إلى منتصف القرن العِشرين.

أنّنا أمام عدوان عسكريّ مسلّحٍ بأحدث الآلات العسكريّة والتكنولوجيّة العلميّة، ومجهّز بأفتك المخطّطات الاستخباراتيّة والأمنيّة والأجهزة البوليسيّة، حيث تحمل إلينا دبّاباتهم بَرامج تغير اجتماعيّ ودينيّ وثقافيّ، تشتمل عَلى مناهج لتبديل مفاهيم الدّين الإِسْلَاميّ وتفكيك المكوّنات القوميّة للعرب والمُسلِمين، وبَرامج إعادة صياغة المجتمعات، والمكوّنات الفكريّة والثّقافيَّة، والمناهج الدراسيّة والتّعليميّة وبَرامج وسائل الإعلام، وتعيد صياغة كلّ شيء حتّى خطب الجمعة عَلى منابر مساجد المُسلِمين، بما فيها أكبر مراكز الإشعاع الدّينيّ والفكريّ كالمسجد الحرام في مكّة، والمسجد النّبويّ في المدينة المُنوَّرَة، والجامع الأزهر في القاهرة، وما يعادلها في التّأثير من مساجد المُسلِمين، في كلّ بلدٍ ومدينةٍ وقريةٍ وزاويةٍ من بلاد المُسلِمين.

باختصارٍ: لقد اتّسع الخرق عَلى الرَّاقِعِ، ونحن مطالبون بوقفة تفكّر في أساليب مُوَاجَهة هذه الحملة بعيداً عن تأثيرات العَوَاطِف السّطحيّة الفارغة، أو ردود الأفعال المُتَشَنّجَة.

إنّ هذه المصيبة الطّامّة تبلغ ذروتها المأساويّة إذا علمنا أنّه ولأوّل مرّة في تاريخ المُسلِمِين وربما تاريخ الشّعوب المُستَعمرة والمُتَعَرِّضَة للغزو، يرتكز فيها المُستَعمر الهاجم بكلّ هذه القوّة وأدواتها عَلى طابور خامس هائل منزرع في مختلف مكوّنات المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة.

فالهجمة الأمريكيّة اليَوْم تعتمد بكل بساطة مهما تكن هذه الحقيقة مفجعة، عَلى تعاون كامل من قبل الغالبيّة السَّاحقَة إن لم تكن كافّة الأنظمة الرَّسميَّة الحاليّة في بلاد العَرَب والمُسلِمين، هذه الأنظمة الّتي التقت أسباب بقائها وحماية مصالحها وعروش فراعنتها مع مخطّطَات المُستَعمر الأمريكيّ وأعوانه، فانضوت - بكل ما لهذه الكلمة من معنى- تحت قيادة الجُيُوش الغازية تنفذ أفكارها وتحارب دين شعوبها ومقوّمات وجودهم وكافّة مصالحهم، وقد جندت بالتّالي هذه الأنظمة كافّة أجهزتها الأمنيّة والإعلاميَّة والسّلطويّة لسحق أي بذور مقاومةٍ لهذا الغزو، بدءاً من قمع أي شكلٍ من أشكال التَّغيير والتّظاهر والرّفض السّلميّ، وانتهاءً بقتل وسجن وتشريد كلّ من تُسوّل لَهُ نفسُه أي شكلٍ من أشكالِ المُقاوَمة ولا سيّما بذور المُقاوَمة المُسلّحة والجِهَاد المشروع.

وتبلغ المصيبة بعدها المأساويّ عندما ترى معظم علماء المُسلِمِين قد استجرّتهم أبواب السّلاطين وسيفه وذهبه، للعب الدَّور الأبشع لصالح المُستَعمر الغازي بإصباغ الشَّرعيَّة عليه ونزعها عن المُقاوَمة! وجعل جنده وعسكره في حكم المعاهدين والمُستأمنين وصَوْن دمائهم وأموالِهم وعتادهم، والحكم عَلى من جاهدهم واعتدى عليهم بأنّهم مُفسدون في الأرض جزاؤهم أنْ يُقتّلُوا أو يُصَلَّبُوا أو تُقَطّع أيديَهم وأرجلَهم من خلافٍ أو يُنفَوا مِنَ الأرض!!

وليت المصيبة انتهت بتحالف الأنظمةِ الحاكمة وأجهزتها الدّينيّة والإعلاميَّة والأمنيّة مع العدوّ الغازي، فالمصيبة أكبر، لأنّ شرائح لا يستهان بها من مكوّنات المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة قد تمَّ مسخها فكرياً وثقافيّاً وسياسيّاً، لتكون في خندق المحتلين، حتّى وإن كانَ بعضها في القطّاع المعارض للأنظمة الحاكمة المارقة، فإنَّ هذه المعارضات تُقدّم نفسها عَلى أنّها أكثر منها استعداداً لخدمة المُستَعمر

الغازي، حتّى أنّ كثيراً منها يتحالف مع العدوّ لإسقاط تلك الأنظمة، لا لأنّها عميلة للمُستَعمر خائنة لشعوبها، ولكن لعرض خدماته وكفاءاته المخلصة عَلى المُستَعمر ذاته، عَلى أنه سيكون أكثر إخلاصاً وخدمةً لأمريكا من الفراعنة الّذين عبدوها عشرات السّنين، وعبّدوا شعوبهم لها ولهم وللشّيطان، حيث أصبح النّموذج الأفغانيّ وَالعراقيّ للمعارضة العميلة مثلاً ناجحاً يُحتذى.

وهكذا تصطف الخيارات والبدائل العميلة أمام أمريكا في عقر دارنا، من قبل أبناء جلدتنا الّذين يَتَسَمّون بأسمائِنا، ويلبَسُون لباسنا ويتكلّمون بألسنتنا، تَعرُض خدماتها عَلى المُستَعمر لاغتيال أمّتها وهزيمة دينها، وقتل أبنائها وإزالة كافّة مكوّناتها الحَضَاريَّة، ولا تقتصر هذه الفئات العميلة عَلى تيّار فكريّ بعينه، ولا زمرة عرقيّة أو دينيّة معيّنة، ففي هذا الطّابور الخبيث من يرفع رايات من مختلف الشّعارات والهويّات، بدءاً من الإِسْلَاميّة المزعومة، ومروراً بكامل ألوان الطّيف العلمانيّ والسّياسيّ في بلادنا سواءً من الشّعوب العربيَّة أو غيرها من الشّعوب الإِسْلَاميّة.

ومن بعض أبعاد الكارثة، أن كثيراً من الطيبين من علماء الإِسْلَام ودعاته وقيادات أحزابه وتجمعاته، قد سحقتهم الهجمة الإعلاميَّة، فراحوا يروجون للانبطاح وعدم إمكانية المُقاوَمة، وينساقون في طرق رسمها العدوّ ذاته، من طلب العيش السّلميّ، والتّبادل الحضاريّ، والحوار الهادئ، والتّفاهم الفكريّ مع المُستَعمر الّذي يدكّنا صباحَ مساء بقنابله وصواريخه الذّكيّة، ويفتك بنا جنودُه وعبيدهم من أبنائنا الأغبياء، كلّ ذلك بدعوى الوسطيّة تارة، والاعتدال أُخرى، والحكمة مرّة، وعدم المجازفة والانتحار بلا جدوى مرّة أُخرى.

وهكذا يُهجر دين الله تَعَالَى وما يأمر به بكل جلاء، من وجوب جِهَاد هذه الهجمة وقتال أعداء الله بكل مُتَيَسّر، والإِعداد لهم بكلّ ما استطعنا من قوّة، ومقاومتهم حتّى الرّمق الأخير، وهكذا انقمعت الصّيحات المخلصة المنبعثة هنا وهناك من الشّرفاء، من مختلف شرائح المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة، وتخامدت صيحات الاعتراض والتّظاهرات في المُسلِمِين، تحت ضربات عصيّ (قوى الخوف) المدعوّة (قوى الأمن)، وقنابلها المُسِيلَة للدّموع، وتحت وطأة الآلة الإعلاميَّة المدجّجة في طليعتها بأخبث فتاوى وآراء علماء السُّلطَان وفُقهاءِ القعود ودُعَاة الانبِطَاح والخِزْيِ والعار.

ولم يبق في الميدان إلّا بعض القلوب الطّاهرة، والسّواعد المُجَاهدة، والعزائم المؤمنة، تقاوم المُستَعمر هنا وهناك، شراذم مُستضعَفَة يسقط شهداؤها بلا مردود ولا جدوى في أكثر الأحيان، اللّهمَّ إلا فوزاً شخصيًا ونصراً ذاتياً يحمل صاحبه من بين هذا النّتن والعفن الطَّاغي عَلى الأرض، وظلمات الظُّلم والقهر فيها، إلى جنّات الخلد ورضوان الله ربّ العَالَمِيّن بإذن الله.

ولا شَّكَّ أنّنا مهدّدون إن بقي الحال هكذا.

لا أقول مهدّدون بالزَّوال والاندثار، لأنَّ الله تَعَالَى، وكذلك رسوله ﷺ بشّر هذه الأُمّة بالبقاء والظّفر والنّصر.

ولكنَّنا مهدّدون بمزيدٍ من القهر والعناء والعذاب، ولباس الجوع والخوف والقتل والذلّ والعار.

ولا بُدَّ أن تُقدِم الفئةُ المُجَاهدة والنُّخبَة المثقفة المخلصة الشّريفة في هذه الأُمّة، عَلى التَّفكير في سبيل إنهاض المُقاوَمة، وتوسيع رقعتِها، كي تنهض الأُمّة وتنخرط في مقاتلة أعداء الله، وتحافظ عَلى مكوّنات وجودها ودينها وحضارتها.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

﴿ محاور المُقاوَمة ﴾

أعتقد – وهذا حال لا يخفى عَلى أي متبصر – أن حجم النُّخبَة المُقاوَمة للأعداء الغُزَاة، المُجَاهدة في سبيل الله، صغيرٌ ومحدودٌ في الأُمّة بشكلٍ مخيفٍ ومرعبٍ، لا أقول بسبب شراسة هجمة الأَعدَاء فقط، ولكن بسبب ما يبدو من الغثائيّة والانهيار والقابليّة الذاتيّة للاستعمار والهزيمة في الأُمّة هذه الأيّام، ولا أدلّ عَلى ذلك من متابعة نشرات الأخبار ووسائل الإعلام الّتي تحمل صباح مساء ما يملأ النّفس حسرةً وألماً، وما يحطّم العزائم، ويحمل الخور إلى الهمم.

وأعتقد أنه لابدَّ من أجل خوض هذه الحَرب طويلة الأمد كما تبدو ملامحها، من برنامج متعدّد المناحي لتوسيع القَاعِدَة البشريّة المولّدة لبذور المُقاوَمة في الأُمّة.

فحمل السّلاح والاستعداد للجِهَاد في سبيل الله ومقاومة الأَعدَاء، هو في النّهاية ثمرة للمناخ العام، الّذي يجب أن ترتفع فيه حرارة الوعي والعاطفة، وترسخ وتتّضح فيه مفاهيم العَقِيْدَة القتاليّة، كي يصل إلى ما يمكن دعوته بـ(**المناخ الجهاديّ الثّوريّ**) الّذي يُولّد بشكل تلقائي آليات المُقاوَمة.

وأظنّ أنّ الأمر أوسع بكثيرٍ من أن يقع عَلى عاتق النُّخبَة المُجَاهدة حالياً، لا سيّما وأنّها تعرّضت إلى ما يقارب الانقراض في ظلّ هجمة مكافحة الإِرهَاب العَالَمِيّة الّتي شنّتها أمريكا بالتّعاون مع حُكّام الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة ذاتها، فضلاً عن حلفائها في الغرب وباقي دول العالم، منذُ عام ١٩٩٠م وإطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، لتصل ذروتها بُعَيد أحداث سِبتَمبر ٢٠٠١م، حيث صارت حرباً عالميّة ضروساً بكل معنى الكلمة تدور رحاها في كافّة أنحاءِ المعمورةِ.

وقد أسفرت هذهِ الهجمةُ باستغلال أمريكا لأحداثِ سِبتَمبر، عن استهلاكِ كثيرٍ من كوادرِ وعناصرِ وجماعات الجِهَاد في العالم، وكثيرٍ من شرائحِ الصّحوة الإِسْلَاميّة المؤيدةِ للجِهَادِ.

وأعتقد أنّ عَلى النُّخبَةِ المؤمنةِ والواعيةِ والمثقّفةِ، من مختلفِ القوى الغيورةِ الشّريفةِ في الأُمّةِ أن تَعملَ الآن في ثلاثةِ مَناحي:

أولاً: المَنحى الدّينيّ والثّقافيّ: بوضع بَرَامج عمل وتوعية ومناهج، للحفاظ عَلى الهويّة الدّينيّة، والمكوّنات الفكريّة والثّقافيّة والاجتماعيّة الأصيلة، للشّعوب العربيَّة والإِسْلَاميّة.

ثانياً: المنحى السّياسيّ والفكريّ:

بوضع بَرامج عمل ومناهج فكريّة لتنشيط الدّعوات السّياسيّة، والمؤسّسات الأهليّة، والهيئات الاجتماعيَّة المدنيّة، والنَّشَاط الإعلاميّ السّلميّ الّذي يغذّي الوجود الفكريّ والثّقافيّ للأمّة العربيَّة والإِسْلَاميّة.

ثالثا: المنحى العسكريّ:

بالعملِ عَلى وضعِ بَرامج ومناهجَ عملٍ دعويّة ومنهجيّة، في مجال العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة، والإِعداد في مختلف مناحيهِ التربَويّة والنّفسيّة، وبَرامج التّدريب والعلوم العسكريّة الّلازمة، من أجل إطلاق **(مقاومةٍ إسلاميّةٍ عالميّةٍ)** ووضعها موضع التّنفيذ فوراً، لتُواجه أمريكا وحلفاءَها في أرضِ بلادنا العربيَّة والإِسْلَاميّة أولاً، وفي عقر دارها ودار حلفائها وفي كلّ العالم ثانياً.

إنّ هذه الأطر الثّلاثة الّتي أضعها في هذه المقدِّمة جديرة بالتّفصيل والشّرح، ولكنّي لا أريد أن تخرج المقدِّمة وعموم الرّسائل عن الاختصار الممكن، رغم أنّها ستستغرق مئات الصّفحات، وسأترك ذلك لمجال آخر خاصّ بهذه الفكرة وتفصيلاتها إن شاءَ الله، ولكن ضمن ما تحتمله هذه المقدِّمة ألخّص **بعض التّفاصيل في نقاط موجزة:**

١. **إن العمل العسكريّ والفعل الجهاديّ الثّوريّ المُسلّح للمقاومة، هو الّذي سيجبر العدوّ عَلى التّقهقر، ويقود هذه الأُمّة إلى النّصر إن شاء الله، وبدون المُقاوَمة العسكريّة، فإن كلّ عمل سلميّ مهما بلغ من الأهمّيّة في مجالات الدّعوة والخطابة والكتابة والتّأليف، أوفي أعمال التّظاهر والعمل السّياسيّ والإعلاميّ وسوى ذلك، ستذهب آثاره أدراج الرّياح، ولن يغير من واقع الأمر شيئاً من دون عمل عسكريّ مقاوم.**

ومادام المُستَعمر الغازي الصّليبيّ الصّهيونيّ الكافر جاثمٌ عَلى صدورنا وأرضنا، ستبقى الأُمّة بكاملها آثمةً ومسؤُولةً أمامَ الله تَعَالَى، عن عدم قيام الكفاية بدفع العدوّ.

إنّنا أمام فرض عينٍ ليس أوجب بعد توحيد الله منه، كما نقل العُلَماء الإجماعَ عَلى ذلك، ويزيد هذا الفرض تأكيداً وقد دخل الصّائل علينا في عقر دارنا.

٢. **إنّ فعل الجِهَاد والمُقاوَمة المُسلّحة، لا يأتي من فراغٍ ولا يتحولُ إلى ظاهرةٍ بالحجم المطلوب ما لم يولّده مناخ جهاديّ ثوريّ، يعمل عَلى إنشائه جهود كثيرة في مجالات العمل غير القتاليّ**، من الدّعوة والإعلام والتّربية والحفاظ عَلى مكوّنات الدّين، ومن العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة وأحكام الشّريعة الّتي تملأ قلب المؤمن بالقناعة بواجبه القتاليّ كفرضٍ شَرعِيّ دينيّ.

٣. **إنّ تكوّن الخلفيّة الفكريّة والوعي السّياسيّ والمنهجيّ والحَركيّ، أساس لازم إلى جانب المعتقد الدّيني في ذهنيّة الفرد المسلم وضميره، كي يتحوّل إلى الممارسة الفعليّة للقتال والمُقاوَمة**، كفرد مُجاهد يحمل عَقِيْدَة جهاديّة وإِرادَة قتاليّة وعاطفة دينيّة تحمله عَلى مباشرة الفعل والصّبر عَلى متابعته ونشره بين النّاس ودعوتهم إليه عَلى بصيرة.

٤. إنّ الإقدام عَلى الجِهَاد اليَوْم، وحمل السّلاح في وجه أمريكا وحلفائها، وما يتبع ذلك من الاصطدام بطليعتها في بلادنا والمكونة من السُّلطات الكافرة العميلة الخَائِنة وأجهزة إعلامها وأمنها وعسكرها من المُنَافِقين أولياء الكفّار، لا يقوم به في العادة إلا نسبةٌ من الأُمّة وَصَلَ لديها الإيمان والعزيمة والقناعة والإِرادَة، لحدّ مباشرة الفعل، في حين أن ثمّةَ قطاعٌ كبيرٌ من الأُمّة مقتنعٌ بحكم الواقع بالمُوَاجَهة، ولكنّ عزيمته مازالت دون الوصول إلى حدّ نقله إلى ذروة سنام الإِسْلَام، وقد يكون كثيرٌ من هَؤُلَاءِ من النِّسَاء والشُّيُوخ والمعذورين شَرعاً عن القِيام بفريضة القِتَال، أو العاجزين عنها لسببٍ مشروعٍ وحقيقيّ، أو لسبب موهوم مَظنُونٍ، نتيجةَ الضّعف في اليقين أو الإمكانيّات، فما دور هَؤُلَاءِ في هذه المُوَاجَهة ؟!

لا شَكَّ أنَّ لهم دوراً مُهِمّاً بالغ الأهمّيّة، يؤدونه في مجالات الجِهَاد السّلميّ، وهو العمل في المجالات الّتي أشرتُ إليها في الفقرة [١ و٢].

٥. **إذا لم تقم النُّخبَة الفاهمة لدينها المدركة للواقع، بعمل يحبط بَرَامج العدوّ في تحطيم البنية الدّينيّة والحَضَاريَّة ومكوّنات الوعي في الأُمّة، والّتي وضعها العدوّ أصلاً لاجتثاث مقوّمات المُقاوَمة من جُذُورها، فإنّ النُّخبَة الجهاديّة ستـنـقـرض بفعل العمل العسكريّ والأمنيّ للعدوّ نسأل الله ألّا يكون لهم ذلك.**

ولن تولِّد الأُمّةُ مع الوقت عوضاً عنها، وستذوب في بَرَامج العدوّ الإعلاميَّة والتربَويّة الّتي رسمها، والّتي طالت حتّى مناهج الأطفال التّعليميّة، وطالبت حتّى بتعديل وتشويه نصوص القرآن والسّنّة الّتي

تتحدّث عن الجِهَاد ومناحي الاعتقاد، وقد جرى أكثر ذلك بأيدي كثيرٍ من علمائِنا وللأسف، واشتملت الخطّة الخبيثة للعدوِّ، عَلى وضعِ مئاتِ الخُطباء والوُعّاظ في كلّ بلدٍ إسلاميٍّ، في دورات للتّأهيل ضدّ (التّطرّفِ)! لحقنهم بالمُورّثات الجينيَّة (للوسَطِيّة) المصنَّعة في أمريكا، من أجل استنساخ (مَشَايخ البنتاغون) و(فُقَهَاء الاستعمار) المناسبين.

٦. **إن العمل في مجال الحِفَاظ عَلى الدّين والمكوّنات الحَضَاريَّة في الأُمّة، يحتاج لبَرَامج عمل قد يضطّر القائمون عليها في بعض البلاد إلى النّشر والتّربية السّريّة إن لزم الأمر،** كما حصل في نظام الحُجرات السّريّة الّتي حافظ فيها المُسلِمُون عَلى دين أبنائهم تحت الاحتلال السُّوفيتيّ وبَرَامجِه في محوِ الهويّة في الجمهوريّات الإِسْلَاميّة، وكذلك ما فعله المُسلِمُون في الصّين تحت الحكم الشُّيُوعِيّ وثورته الثّقافيَّة.

وقد تُمكِّن أجواءُ (الدِّيمقراطيَّة المزعومة) الّتي تحملها أمريكا إلى بلادنا عَلى فوّهات المدافع، قد تُمكِّنُ من تأسيس الجَمعِيّات الأهليّة وغير الحُكُوميّة وتُمكِّنُهَا منَ القيام بأعمال التّربية والتّعليم والتّثقيف عَلى غرارِ ما فعله الشَّيْخ (ابن باديس)[1] وجَمعيَّة العُلَماء المُسلِمِين في الجَزَائِر، عندما قاوم بنجاحٍ (خُطّة الفَرَنْسَة) ومسخ الهويّة الّتي وضعتها فرنسا لمسح العروبة والإِسْلَام من الجَزَائِر، وقد كانت خُطّةً ناجحةً عندما وجد الشَّيْخ المُجَاهد ابن باديس أنّ بذور المُقاوَمة وجُذُورها قد وهنت، فعمد إلى الحفاظ عَلى جُذُورها وأرضيّتها وبَذْرها من جديدٍ، وهكذا وفّرَ هذا العمل التّربويّ المجيد خلال الثّلاثينيّات والأربعينيّات والخمسينيّات، بذور المُقاوَمة وأجيالاً قُدّمت وقوداً للثّورة والمُقاوَمة ضدّ فرنسا فيما بعد.

ويجب أنْ يكون للمساجد والكتاتيب والزّوايا الدّينيّة دورٌ كبيرٌ في هذا المجال، كما أنّ لحلقات التّدريس والتّعليم الدّينيّ المنزليّ دورٌ هامٌّ، وللنّساء والدّاعيات وسط الأسر ومن خلال البيوت، دورٌ كبيرٌ في الحفاظ عَلى دينٍ ولغةٍ وثقافةِ الأجيال.

---

(١) ابن باديس : عبدالحميد بن محمد المصطفى بن المكي بن باديس الصنهاجي الجزائري المالكي ١٨٨٩م-١٩٤٠م، الموافق : ١٣٠٧-١٣٥٨هـ ، مؤسس جمعية العلماء المسلمين في الجزائر ورائد النهضة فيها ، كانَ يحارب الفرنسيين بمحاربة الجهل والتخلف ومحو الخرافات.

والعمل في هذا المجال عمل سلميٌّ لا يحمل مخاطرَ القِتَال والمُقاوَمة المُسلّحة، الّتي يجب أنْ ينخرط فيها – منذُ السَّاعة – المعتقدون العازمون عَلى التَّضحِيَة، **لأنّها فرضُ عينٍ عَلى كلِّ مسلمٍ.**

٧. أما مجالات العمل السّياسيّ والإعلاميّ والفكريّ والثقافيّ، فإنها كذلك مجالات عمل سلميّ، يستطيع العاملون فيها نشر فكر المُقاوَمة المدنيّة ومبرّراتها، ويستطيعون أنْ يُدَافعوا عنها في داخل البلاد وخارجها، كما أنَّ مجالَ التَّأليف والنَّشر والتَّظاهر والاعتصام وغير ذلكَ من أعمال المُقاوَمة المدنيّة، عملٌ ربَّما سيكون مشروعاً ممكناً ضمن ما تُتِيحهُ (الدِّيمقراطيَّة الزّائِفَةُ) للاستعمار ونوّابه الخونة في بلادنا من أجل خداع النّاس، وسيكون العاملون في هذه المجالات في مأمنٍ مِنْ وَضْعِهِم تحتَ طائلةِ تُهمَة (الإرهَاب) لأنّهم في مجال العمل السّياسيّ والإعلاميّ والمدنيّ.

وهناك ملاحظَتَيْن هامّتَيْن جدّاً للعمل في مجال المُقاوَمة السّلميّة المدنيّة سواءً في المجال الدّينيّ أو السّياسيّ أو الفكريّ وهُما:

أولاً: لا يجوز بحالٍ منَ الأحوال، ويحرمُ شرعًا، الانتساب للأجهزة السّلطويّة والحُكُوميّة تحت دعوى (المُقاوَمة السّلميّة وخدمة الدّين)، سواءً كانَ ذلك تحت إدارة الاستعمار مباشرةً – كما يحصل في العراق وفلسطين – أو تحت حكم وإدارة الحكَّام المُرتدّين الحاليّين الحاكمين بغير ما أنزلَ الله الموالين لأعداء الله المُستَعمرين – كما يحصل من كثيرٍ من الإسْلَاميّين في مختلف البلاد – ولا يجوز العمل في أي جهازٍ من أجهزتهم السّلطويّة التَّشريعيّة والتّنفيذيّة والقضائيّة، وهذا له تفصيل ودلائل سيأتي بيانها في البَاب الأوّل من الفَصل الثّاني من الجزء الثّاني إن شاء الله.

ثانياً: لا يجوزُ بحالٍ مِنَ الأحوال أنْ يقع العامل في مجال المُقاوَمة المدنيّة والدّعوة والسّياسة والإعلام، في جريمة التّشنيع عَلى الجِهَاد والمُجَاهدين والمقاومين المُسلِمِين، بدعوى دفع الشّبهة عن نفسِه ومُؤسّسته، وبدعوى زعم الوسطيّة والاعتدال، أو بدعوى الحفاظ عَلى نشاطاته وأخذ الإجازة مِنَ المُستَعمر أو نوّابه المرتدّين من الحكَّام الخونة لاستمرار عمله.

لأنّ الغرض من وجوده ومبرّر عمله في ذاك المجال هو خلق مناخ الجِهَاد ودعم المُقاوَمة، فكيف ستُوْلَدُ هذه المُقاوَمة وتستمر إذا تولّى كبارُ الدّعاة والمفكّرون والقادة والمثّقفون في الأُمّة تشويهَ الجِهَاد

والمُجَاهدين؟! وتحطيم سُمعة المُقاوَمة والمُقاوِمين؟! كما يفعل المغفّلون والفجرة والتّائهون اليَوْم، من بعض عُلماء الإِسْلَام ومثقّفي الأُمّة ومفكّريها! وفي الوقت ذاته، يجب عَلى المُجَاهدين المقاومين وإعلامهم الجهاديّ، أنْ لا ينجَرَّ للتّشنيع عَلى العاملين في مجال الدّعوة والمُقاوَمة السّلميّة واتّهامِهم بالقعود وعدم الجِهَاد – ولو كانَ هذا صحيحاً في حقِّ أكثرهم – طالما أنّهم لم يدخلوا سياق دعم المُستَعمر والاعتراف به، أو محاربة الجِهَاد والدّعاية ضدّ المُقاوَمة، لأَنّهم يؤدّون عملاً مهمّاً جدّاً لأرضيّة المُقاوَمة، ومكمّلاً لجهودها.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

﴿ مُستَوَياتُ المُقاوَمة ﴾

إنّ المشاركة في المُقاوَمة والتّدرّج في ميدان الجِهَاد في سبيل الله ومُوَاجَهةِ أعداء الله يمرّ لدى كلّ فرد في ثلاث مستويات:

العاطفة الدّينيّة الإِسْلَاميّة:

وهذه يكوّنها المفهوم العامّ للدّين، والمَورُوثات الطّبيعيّة للنّخوة والشّرف، والإباء والحميّة لدى الفرد، كردّ فعلٍ طبيعيٍّ عَلى حال الاحتلال والظُّلم، وكسر الكبرياء وهتك أستار الكرامة الدّينيّة والحَضَاريَّة والوطنيّة من قبل المُستَعمر وأعوانه، وهذه العاطفة تحمل صاحبها عَلى المشاركة في مجال المُقاوَمة المدنيّة أو ردود الأفعال العاطفيّة تجاوباً مع جَيَشَانِ هذه العَوَاطِف في قَرارة الضّمير.

إِرادَة القِتَال:

وهذه أساس تَكوُّن القدرة عَلى فعل المُقاوَمة والجِهَاد، فالإِرادَة هيَ عزم يتكوّن في العقل والقلب والنّفس للإقدام عَلى العمل، وهي أوّل مراحل العمل، وبدونها لا يقدم المرء عَلى أي عمل.

قَالَ تَعَالَى عن المُنَافِقين القاعدين عن الجِهَاد:

﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [التوبة]

فمراحل الإقدام عَلى الجِهَاد والقتال هيَ (إِرادَة – إعداد – انبعاث)، وتتكون إِرادَة القِتَال بعد نضوج العاطفة الدّينيّة والقناعة بالقتال، ويساعد عَلى تشكيلها إذا كانَ الضمير حياً والقلب سليماً ما يمارسه العدوّ من أعمال العدوان والمظالم والقتل والدمار وما يلبسه للأمة من القهر والذل والخوف والجوع، فيحمل المرء السّلاح ويقاوم.

العَقِيْدَة الجهاديّة:

وهذه لا تأتي إلا عبر التّربية والتلقي[1]، وهي أساس في أمور غاية في الأهمّيّة:

- فبالعَقِيْدَة الجهاديّة وفهم أركانها واعتقادها، يكون القِتَال جِهَاداً في سبيل الله، لأنها توضح العزم والقصد، وهو من قاتل لتكون كلمة الله هيَ العليا فهو في سبيل الله، حيث أن القتيل في ذلك هو الشّهيد وإلا فلا.
- وبالعَقِيْدَة الجهاديّة يعرف المرء أحكام هذه الفريضة وآدابها ومقتضياتها ويقدِم عَلى القِتَال عَلى بيّنة وبصيرة من ربّه ودينه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤].
- وبالعَقِيْدَة الجهاديّة وأركانها يرسُخ في نفس المُجَاهد المنهج والفكر الجهاديّ، والوعي الكامل بناء عَلى معرفة أحكام الله الشَّرعيَّة، وبناءً عَلى فهمِ مُقتضيات هذه الأحكام من فقه الواقع الّذي يدور من حوله.
- وبدون العَقِيْدَة الجهاديّة، إمّا أن يحبطَ العمل ويسوءَ المصير أعاذنا الله من ذلك، أو تنقطعَ السّبلُ بالمقاتل عَلى محنِ الطّريق ومحكَّاته من القتل والأسر والتَّشريد، فهي الضّامن بعد الله تَعَالَىٰ، في تثبيت المُجَاهد عَلى نيته وعزيمته في وجه عواصف التضليل الإعلاميّ، والفتنة والزيغ الّذي يحاوله أعداء الإِسْلَام وآلاتهم المنافقة، وخاصة علماء السوء وفقهاء الضلالة، الّذين يحاولون تلبيس الأمر عَلى المُجَاهدين، لصرفهم عن سبيل الله، فلا بُدَّ للعاملين في مجال المُقاوَمة والجِهَاد والعمل العسكريّ المباشر ضدّ أعداء الله، أن يكون لهم علماؤهم ومفكّروهم، ومثقّفوهم وآلاتهم الفكريّة والمنهجيّة، وأدوات إعلامهم، لتوجيه العَوَاطِف الجيّاشة في نفوس المُؤمِنِين، وتحويلها عبر الإعلام والدعاية الجهاديّة إلىٰ إرادَة قتال، وصقلها وترسيخها كعَقِيْدَة جهاديّة تمكن الأجيال من استمرار المُقاوَمة وتوارثها.

---

(١) سيأتي مزيد من التفاصيل في البَاب الأول من الجزء الثّاني من الكتاب إنْ شَاءَ اللهُ [المؤلف].

ولابدّ من ذكر الحقيقة المُرّة ؛ وهي أنّ عشرات الملايين من شباب المُسلِمِين المخلصين، ما زالوا إزاء هذه المدلهمّات المظلمة المتتابعة من النّوازل في هذه الأُمّة، تائهون متحيّرُون عجزة! يتردّدُون في مجال العاطفة الدّينيّة وحسب، يتجرّعون الحسرات والمرارات ويرتكبون بعض ردود الأفعال غير المجدية، ولم تتحوّل هذه العَوَاطِف إلىٰ إرادَة قتال، إلا عند النّزر اليسير من المئات هنا وهناك، وربّما العشرات أو الآحاد في بعض البلدان العربيّة والإِسْلَاميّة.

وبنظرة إلى الظَّاهِرة الجهاديّة وروّادها، منذُ انطلقت خلال العقود الأربعة الماضية كما سيأتي تفصيله في الفَصل السَّادس إن شاء الله، نجد أنّ أعدادهم لم تجاوز المئات حتَّى في دول مليونيّة كمصر وبلاد الشّام، ولم تجاوز العشرات في دول أُخرى! في حين لم تقم أي بادرة جهاديّة في أكثر بلاد المُسلِمِين، رغم ما يعتريها من حالات الاحتلال المباشر وغير المباشر من قبلِ مُختلف دول الاستعمار، وما يظهره حكامها من الكفر والرِّدَّة والخيانة، فضلاً عن المظالم والمفاسد الّتي أحالت حياة أكثر الشّعوب جحيماً.

بل إنّ الإحصائيّات المؤسفة تشير، إلىٰ أنّه ومنذ استعلن الأمريكان باحتلال جَزِيرَة العَرَب، ونزلوا فيها جهاراً سنة ١٩٩٠م وما زالوا إلىٰ يومنا هذا أي منذُ نحو ١٣ عاماً[١]، حيث يسرح ويمرح في أنحائها مئات آلاف الجنود الأمريكان والإنجليز والأوروبّيّين ويتسكّع فيها مئات آلاف المدنيين منهم بأسرهم، ويشرفون علىٰ النهب والسّلب الاقتصاديّ والفساد والإفساد، ومع ذلك لم يجاوز عدد العمليَّات الجهاديّة رغم بساطتها، لم يجاوز إلا بعض العمليَّات لم يزد فيها مجموع خسارة الأمريكان علىٰ بضع عشرات، هذا رغم أن واردات الاستعمار الأمريكيّ منها (مجموع بلدان الجَزِيرَة) تُجاوِز يوميّاً المليار دولار من النّفط فقط، هذا المُستَعمر الّذي يموت في بلده من مواطنيه جرَّاء حوادث السّير أسبوعيّاً مئات الأشخاص، عدا الآلاف ممّن يقضون في باقي الجرائم وتناول الخمور والمخدّرات! وينشر الأمريكان في منطقتنا العربيَّة والإِسْلَاميّة الّتي يسمّونها (منطقة العمليَّات الوسطى) زهاء مليون ونصف المليون جنديٍّ أمريكيّ عدا جنود حلفائه، فكيف يُغَادِر مثل هذا المحتل مثل هذه الدّولة؟! الّتي تحوي

---

(١) ومايزال إلى عهد هذه الطبعة الوضع على حاله أي منذ أكثر من ٢٧ سنة .

أقدس مقدّسات المُسلِمِين وتشكّل عقر دارهم ؟! وهذه ظاهرةٌ نادرةٌ في تاريخ الاستعمار والمُستَعمِرين علىٰ مرّ البَشَرِيّة!!

أما الأشدّ أسفا من ذلك فهو أن تقوم دار الإِسْلَام في أفغانستان أيّام طالبان، وتفتح علىٰ مصراعيها لمدّة ستة سَنَوات، وتـنشأ فيها المُعَسْكَرَات وخطوط القِتَال، وتفتح فرصة الجِهَاد تحت رايات الشّريعة، ولم يَزِد عدد من دخلها للهِجرَة والجِهَاد علىٰ ١٥٠٠ مُجَاهِدٍ، منهم نحو ٣٠٠ مُجَاهِدٍ بأسرِهم، أي نسبة واحدٍ في المليون منَ الأُمّة!! ولم يستفِدْ من فرصةِ الإعداد والتّدريب وحضور ميدان الجِهَاد إلا أعدادٌ محدودةٌ ممّن أنعَمَ الله عليهم! بل الأنكىٰ من ذلك، أنّه لم يُهاجر إليها عالمٌ واحدٌ من علماء المُسلِمِين ولاسيّما مشاهيرهم، ولا من رموز الدّعوة الّذين ملأوا الدُّنيَا زعقاً فارغاً عن الهِجرَة والجِهَاد.

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار عدد الّذين نفروا للجِهَاد لغَوْثِ إخوانهم الّذين وقعوا تحت بطش الاحتلال الصَّارِخ في أفغانستان سابقاً أيّام الرُّوس، أوفي البوسنة أو الشِّيشَان أو فِلَسطِين أو غيرها من بلاد المُسلِمِين الّتي تعرّضت للاحتلال المُعاصر، نجد أنّ النّسبة تبقىٰ في خانة الآحاد للمليون، رغم ما طبّل الإعلام وزمّر من أجل تضخيم ظاهرة الجِهَاد المُسلّح أو ما يسمّونه بـ (الإِرهَاب) من أجل تبرير أهدافهم العدوانيّة [ودع عنك الأرقام الخيالية الّتي نشرتها استخبارات أمريكا عبر وسائل إعلامها من أرقام أدخلتها تحت مسمّىٰ القَاعِدَة من أجل تحقيق أهدافها، وأنا أؤكد ما ذكرته من أرقام وبصفتي أحد الّذين خبروا هذه المَرحَلَة ميدانيّاً والحَمْدُ لله].

فإذا ما قسنا هذا الحال مع حجم النَّفِير للجِهَاد الّذي قام به المُسلِمُون عبر تاريخهم القديم وحتىٰ الحديث أيّام الاستعمار، نجد أنّ حال الأُمّة هذه الأيّام يدعو للإحباط، لولا الأمل بالله، وما تشير إليه بوادر الأمل والانبعاث في بعض شرائح الأُمّة، والّتي تحتاج إلىٰ جهود تثمّرها وتطلقها وتأصّل لها، وصولاً إلىٰ تحويلها إلىٰ (مقاومة إسلاميّة عالميّة) ناجعة تحمل عَقِيْدَةً جهاديّةً وإرادَة قتال فعليّة تغذّيها عاطفةٌ مُجْدِيَةٍ.

ومن أجل هذه الغاية وعملاً علىٰ بث بذور هذه المُقاوَمة والدّعوة لها والعمل علىٰ قيامها، وُضِعت مواد هذا الكتاب وجعلت عنوانه معبراً عن محتواه:

﴿المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة – الدّعوة – المنهج – الطَّرِيقة﴾

مُحاولاً أن أضع بحسب ما يسر الله لي ؛ وضع أسس نظَريّات عمل تسهم فيما يحتاجه الجيل الجهاديّ القادم من بعدنا، للإجابة علىٰ سؤال هام في غاية الاستراتيجيّة والأهمّيّة الدّينيّة والعمليّة، هذا السّؤال هو:

كيف نواجه النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد؟ وكيف نُجاهد أعداءَنا في عالَمِ ما بعد سِبتَمبر؟ وكيف نقاومُ الحملات الصّليبيّة الثّالثة بقيادة أمريكا؟

لقد وُضِعَ هذا الكتاب وأسس هذه الدّعوة من أجل الإجابة علىٰ هذا السّؤال، واللهُ المُستَعان.

****

من أجل الجيل الثّالث من الجهاديّين:

﴿ جيل المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة ﴾

أعتقد أنَّ جيلاً جهاديّا يُولدُ اليَوْم مع وصول حدّة الصِّرَاع إلىٰ ما وصلتْ إليه، بُعَيْد أحداث سِبتَمبر واحتلال العراق، ووصول الانتفاضة الفلسطينيّة إلىٰ ذروتها، ووقوفها علىٰ مفترق الطّريق، بعد أن أعطىٰ أهلنا المُؤمِنُون هناك كلّ ما في جُعبتهم، في حين تقف الأُمّة من تضحياتهم موقف المتفرّج، بفعل سكوت علمائها وقمع حكامها لها وشلّها عن الحركة.

فإذا أخذنا بعين الاعتبار التَّجَارب الماضية، منذُ انطلاق الجِهَاد أواسط السّتّينيّات، أي قبل نحو ٤٠ عاماً وإلىٰ اليَوْم، يمكنني أنْ أقول أنّ جيلانِ جهاديّانِ قد مضيا حتَّىٰ الآن في هذه الصّحوة، حيث سنتعرّض لتاريخهما بشيءٍ من التّفصيل في الفَصل السَّادس إن شاء الله، جيل المؤسّسين والدّفعة الأولىٰ، والّذي أشعلَ مشعلَ الفكر الجهاديّ وقدّم أُولىٰ تجاربِهِ مطلعَ السّتّينات إلىٰ أواخر السّبعينات من القرن المُنصرم، حيث لم تأت الثَّمانينيَّات إلا وقد قضىٰ معظمهم علىٰ هذا الدّرب المنير، ثمّ الجيل الثّاني الّذي قام بمتابعة المسيرة منذُ مطلع الثَّمانينيَّات، وإلىٰ أواخر القرن العِشرين، حيث انتعش الجِهَاد في مصر والشّام ثمّ شمال إفريقيا وغيرها، ثمّ فتحت بوّابة الجِهَاد علىٰ مصراعيها لعُشَّاق الفريضة الغائبة في أفغانستان، حيث تكون علىٰ مدىٰ الثّمانينيَّات إلىٰ مطلع التِّسعينيَّات الجيل الجهاديّ الثّاني، وكانت مدرسة الأفغان العَرَب تجربة متميّزة انطلق الجِهَاد مع روّادها إلىٰ مختلف بقاع العالم الإِسْلَاميّ، وساهمت ساحات البوسنة والشِّيشَان، ثمّ مرحلة أفغانستان الثّانية والإمارة الإِسْلَاميّة بعطاء زاخرٍ شهدَ أواخره لحاق طلائِع الجيل الجهاديّ الثّالث.

ثمّ جاءت أحداث سِبتَمبر ٢٠٠١م، ودخل الجيل الثّاني في أُتُون المحنة، لينصرم القرن العشرون، وتفتتح الألفيّة الثّالثة بمذبحة مروّعة وأخدود عظيم، التهم معظم كوادره وقياداته وأكثر قواعده، ولم يسلم منهم من القتل أو الأسر إلا النّزرُ اليسير.

وأعتقدُ جازماً، أنَّ علىٰ الجيل الثّالث أن يهضم خُلاصة تجربة جُذُوره ليطور نظَريَّات عمله ويتابع حمل راية الجِهَاد في ظروفٍ بالغةِ الصُّعُوبة، ومعركة بالغةِ الاختلال في موازين القوىٰ.

وقد أحببت في هذا الكتاب، حيث أنّي من بعض من تبقىٰ من الجيل الثّاني، أن أُسَلِّمَ من يسير علىٰ خطانا جزءاً من الأمانة في هذا الكتاب، وفي ما أعتزم كتابته مما يتلوه من هذهِ السّلسلة، خُلاصة منهجيّة فكريّة، وحركيّة تارِيخِيَّة، تُساعد من يَستعدّ لحمل الأمانة علىٰ متابعة الطّريق علىٰ بصيرة، من دون أن يخسر دروساً عظيمة من مسار مجيد، مخضّبٍ بدماء عشرات آلاف الشّهداء، ومُعاناةِ جِيلٍ كابَدَ في صِراعه مع الطّواغيت ومن وراءَهم أشدّ المعاناة في هذا العصر الحديث.

إذ لابدّ لجيل الجِهَاد القادم من معرفةِ جُذُوره، وهضم تجارب أسلافه، والسّير علىٰ أنوار ما قدَّموا فكراً وتجربةً وقدوةً، من خلالِ فهم جُذُور الصِّرَاع التارِيخِيَّة منذُ بدأ.

إنّ في تاريخ الصّحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة المنطلقة منذُ مطلع القرن العِشرين وإلىٰ اليَوْم، وما تزخر به من تجارب رائعة، بصرف النَّظر عن مصيبها ومخطئها، دروساً عظيمةً، كما أنّ في تاريخ تجارب التّيار الجهاديّ المعاصر المنطلق منذُ مطلع السّتينيّات في القرن المنصرم وإلىٰ أيّامنا هذه، دروساً وعبراً ومنهاجاً وفكراً ورايةً، ولابدَّ للجيل الجهاديّ القادم أن يبنىٰ عليها، لابدّ له أولاً أن يعرفها تاريخاً ومنهجاً، وأن يهضمها حتَّىٰ يكون الجيل الجهاديّ القادم حلقةً طبيعيّةً في هذه السلسلة الّتي ترسم مسار القافلة المجيدة نحو حلم الإِسْلَام المنشود، في إعادة حكم الله لهذه الأرض، وإقامة خلافته الرّاشدة علىٰ منهاج النّبوّة إن شاء الله.

وقد حاولت أن أغطّي ذلك في بعض فصول هذا الكتاب بإيجاز، كما أنّ في فهم سياق تاريخ الأُمّة بعمومها وما حلّ بها ومسارها العامّ إجمالاً والسّياسيّ خاصّة قسطٌ أساسيّ من المعرفة، لابُدّ لجيل الجِهَاد القادم والقائمين عليه من معرفة وفهم مجرياته، وهو ما يمكن تسميته بالتّاريخ الحديث للعرب والمُسلِمين خلال القرن الماضي، منذُ سقوطِ الخِلافَة عام ١٩٢٤م، كما أنّ قسطاً من المعرفة حول تاريخ صراعنا الحاليّ مع الرُّوم المعاصرين أعدائنا الأزليّين، أقصد معرفة خُلاصة تاريخ صراعنا مع الرُّوم

وحملاتهم التارِيخِيَّة، وكيفِيَّة أداء أجدادنا في ذلك الصِّرَاع، وخُلاصة دُروس الانتصارات والهزائم عبر تلك الملاحم، أمرٌ مهمٌّ جداً لتلمّس خطىٰ المسار القادم.

إنّ فهم ذلك وربطه بتاريخ الصِّرَاع كلّه، وبجُذُور هذا النّظام الدّولي القائم ونشأته عبر العصور، واستخلاص خُلاصة أسس الصِّرَاع بين الحقّ والبَاطِل منذُ وُجِد البَشرُ علىٰ هذه البسيطة، يمهّد لهضم وفهم مكوّنات إنشاء نظَريَّات العمل المناسبة للمرحلة الحاليّة.

وإذا وَسِعَ الفرد المُجَاهد العاديّ أن يجهل كثيراً من ارتباطات هذه السِّلسلة من المعارف والدُّروس والتَّجَارب، فإنّه لا يَسَعُ النُّخبَة القادمة من قيادات الجِهَاد وجيله القادم أن تجهَلَ الحكمة والعبرة من هذا السياق كلِّه.

ولذلك حرصت علىٰ أن تشتملَ الفصولُ الأولىٰ أو ما يربو علىٰ نصف هذا الكتاب خُلاصة ذلك بطريقة متسلسلة منطقيّة وموجزة، نعم موجزة رغم ضخامتها.

لقد أَصبَحتِ المعرفةُ أهمّ أَسْلِحةِ هذا العَصْر، ولا يمكنُ أنْ يقودَ الجهلةُ هذا الصِّرَاع مَهمَا كانَ من إخلاصِهِمُ المُفتَرضِ.

هذا ما خلَصْتُ إليه، بعد تجربة ذاتيّة خاصّة طويلة قضيتها -أسأل اللهَ الإخلاص والقبول- وسط معمعة تجارب الصّحوة الإِسْلَاميّة، منذُ (١٩٨٠م) وإلىٰ أيّامنا هذه أواخر (٢٠٠٤م).

ومن خلال المشاركة الميدانيّة في التّيار الجهاديّ المعاصر خلال هذه الفترة بالغة الأهمّيَّة والعطاء، عشت خلالها تجربة الجِهَاد في سوريا ميدانيّاً منذُ ١٩٨٠م، وكنت عضواً في القيادة العسكريَّة للإخوان المُسلِمِين إبَّان أحداث حَماة ١٩٨٢م، ثمّ تجربة الجِهَاد العربيّ الأفغانيّ ضدّ الإتحاد السُّوفيتيّ والشُّيُوعِيَّة في أفغانستان ميدانيّاً أيضا (١٩٨٨-١٩٩٢م)، ثمّ مواكبة التَّجربة الجهاديَّة المريرة المؤسفة في الجَزَائِر عن قرب من خلال العمل الإعلاميّ مع أنصار الجِهَاد الجَزَائِري في لندن (١٩٩٣-١٩٩٧م)، إلىٰ أن اضطررنا إلىٰ هجرها بفعل سيطرة المنحرفين علىٰ قيادتها – كما شرحت مجريات ذلك في كتابي (شهادتي علىٰ الجِهَاد في الجَزَائِر ١٩٨٩-١٩٩٦م)، ثمّ العمل والمشاركة ميدانيّاً في آخر التَّجَارب الجهاديَّة وأهمّها في العقد المنصرم، وهي تجربة الطَّالِبَان والأفغان العَرَب في أفغانستان خلال (١٩٩٦ – ٢٠٠١ م)، وقبل

ذلك ما أتاحته لي المَهَاجِرُ العديدة، ولاسيَّما في عدد من الدّول العربيَّة والإِسْلَاميَّة والأوروبيَّة، وما وفّره لي ذلك من التّماس مع مختلف شرائح الصّحوة الإِسْلَاميَّة عامّة، والتّعرف علىٰ معظم حركات وتنظيمات وقيادات التّيار الجهاديّ المعاصر بشكل خاصّ، وما اطّلعت عليه من خلال ذلك علىٰ عشرات التَّجَارب الجهاديَّة والإِسْلَاميَّة عموماً، ومن خلال كوني أحد العاملين في التّيار الجهاديّ في مجال الفكر والكتابة والتّأريخ والنَّشَاط الإعلاميّ، بالإضافة للمباشرة الميدانيَّة.

ولا أذكر هذا هنا للفخر، وليس المقام مقامه – وأسأل الله الإخلاص – وإنّما ليَعرفَ القارئ، أنّ ما يستقبله من صفحات الكتاب هو نتاج تجربة ميدانيَّة طويلة ومتنوّعة، فيعطيه حقّه منَ الاهتمام.

ولقد جهدت أن أُعمل الفكر وأقضي الساعات الكثيرة في المناقشات والحوار مع كثيرٍ من العاملين في هذا التّيار الجهاديّ، وخاصة من كوادره وقياداته المجربين، وفي التَّفكير في طبيعة هذه الطَّامة النَّازلة بنا وطُرُق مواجهتها، وأن أضع خُلاصة ذلك بين دُفّتي هذا الكتاب، وعبر رسائله المتتالية، كي أوجز في ذلك ما يساهم في خدمة الجيل الجهاديّ القادم، ويعينه علىٰ استئناف المسار.

وكما قلت في كتابي وباكورة مؤلّفاتي:

(**الثّورة الإِسْلَاميَّة الجهاديَّة في سوريا – آلامٌ وآمالٌ** –) الّذي كتبته عام ١٩٨٧م، أعيد القول هنا:

إن علىٰ كلّ جيل جهاديّ أن يُوَلِّدَ نظريَّتَه العمليَّة، من خلال التَّجربة الذاتيَّة، وأن يُطورها في ضوء حصاد التَّجَارب السَّابقة.

إنّ النَّظريَّة الجهاديَّة العمليَّة لا تولد في رؤوس المُؤلّفين والمفكّرين فوق المكاتب الأنيقة، ولا من خلال حياة الدعة المريحة، ولا تنزل علىٰ أصحابها من قمة الهرم التَّنظِيمي لحركتهم، بل تولد في خنادق القِتَال وساحات الإِعداد، ومسار المحنة وأتونها، نظريَّة تكلّف أصحابها العناء، وتجعلهم يدفعون ثمن كلّ خطأ وتجربة من دمائهم ومعاناتهم، حتَّىٰ يتلمس اللاحقون ما يناسب كلّ مرحلة قادمة من الخطوات الصّائبة.

إنّ التَّجَارب الفاشلة باهِظة الثَّمن، ولكنّ الفشل في كثيرٍ من الأحيان أكثر إثراء للمسار من النّصر، إذ يجمع التَّجربة إلىٰ المجرب، فإذا ما قيّض له الثّبات والعزم علىٰ المسير، فإنّه يُشكل له أرضيَّة الانتصار الحاسم القادم بإذن الله.

لقد عايشت بنفسي تجارب جهاديَّة مريرة، واستطعت من خلال صحبتي واحتكاكي أن أطّلع علىٰ كثيرٍ سواها من التَّجَارب الرّائعة، من روايات أصحابها الّذين قاموا بها، ولقد درستها دراسة مقارنة مع ما اطلعت عليه من تاريخ الحركات والثورات المعاصرة، وحاولت في هذا الكتاب أن أهضم كلّ ذلك، وأقدمه في نظَريَّات عمل قد تكون مساعدة علىٰ مسارنا القادم، ومسار من سيسير علىٰ خطانا بتوفيق الله.

لقد مثّلت أمريكا والحضارة الغربيَّة، وما أحلته بنا وبغيرنا من بني آدم، داءاً أصاب البشريَّة بكل ماتعنيه كلمة (داء) من معاني، ولا شَّكَّ أنّ بلاءَ دائِها ودوائِها داخل في ما رُوي عنه ﷺ: «**ما أنزلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ داءً إلَّا أنزلَ لهُ دواءً، عَلِمَه من عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَه**»(١)

وقد حاولت في هذا الكتاب أن أُسَاهم في البحث عن مواصفات هذا الدَّواء لعلّ الله يجعلنا ومن سيسير علىٰ خطىٰ من مضىٰ، ممن علمه لعلّنا نستطيع أن نريح أمّتنا، وربّما البشريَّة كلّها من وراء ذلك، من أعراض هذا الدّاء – أمريكا وحلفائها – وما أحلّه في الأبرياء من بني البشر عامَّةً والمُسلِمين خاصّة من ويلاتٍ، فيكون في ذلك الشفاء بإذن الله.

****

(١) أورده الشَّيْخ بلفظ (عرفه من عرفه) وقد تم تصحيحه لـ (علمه من علمه) ورواه أحمد (٣٥٧٨، ٤٢٣٦، ٤٢٦٧، ٤٣٣٤) وابن ماجه (٣٤٣٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٥١) ، وفي الْبُخَارِيّ (٥٦٧٨) من حَدِيث أبي هُرَيْرَة: «مَا أنزل الله دَاء إِلَّا أنزل لَهُ شِفَاء»، وَلمُسلم (٢٢٠٤) من حَدِيث جَابر: «لكل دَاء دَوَاء» .

﴿ تعريفٌ بمراحلِ تبلور ونضوج أفكار هذا الكتاب ﴾

لقد تأجّلت كتابة هذا البحث رغم عزمي علىٰ ذلك مرّات عديدة، ولعلّ الله قدر خيراً بذلك التأخير، ولعلّ من هذا الخير، أن الهجمة العاتية الّتي تقودها أمريكا وحلفاؤُها ما يعين القارئ المسلم علىٰ فهمٍ أكبرٍ، وقناعةٍ أوضح بالأفكار وبَرامج العمل، ودعوة الجِهَاد والمُقاوَمة الّتي ندعوه إليها في هذا الكتاب.

فقد أصبح ما لم يُمكن إدراكُه والقناعةُ به إلا بقدْرٍ من البصيرة، قبل أكثر من اثني عشر عاماً، يوم بدأت هذه الحملات الصّليبيَّة الجَدِيدة بغزو أمريكا وحلفائها للخليج تحت ستار تحرير الكويت عام ١٩٩٠م، أصبح اليَوْم يُدرَك بشيءٍ يسيرٍ من البصر، بل بقَدْرٍ بسيط من السّمع لمن خانته البصيرة ونكبه العمىٰ بعد أن فقد نعمة الإحساس.

ولعلّ من آفاق الخير في تأخير إخراج هذا البحث أيضاً، أن تنضج تلك الأفكار بعد أن أدّت شواهد حملات أمريكا وحلفائها علىٰ المُسلِمِين قاطبةً، وعلىٰ الصّحوة الإِسْلَاميَّة خاصّة، وعلىٰ المدافعين عن هذه الأُمّة من أبنائها المُجَاهدين علىٰ وجه الخصوص، إلىٰ ازدياد القناعة لدينا بضرورة شراسة المُقاوَمة، الّتي تفرضها وحشيَّة الهجمة البربريَّة العاتية.

ولعلّ من الخير أيضا في ذلك التّأخير، أن يتمّ إخراج هذا الكتاب من خلال أُتون المحنة الّتي نعيش ذروتها هذه الأيّام، ونحن نعيش مرحلة المُطاردات والمخابئ، وقمة المُوَاجَهة مع أمريكا وحلفائها.

وأرجو الله أن يكون قد قضىٰ لي التّيسير والتّوفيق في إخراجه، وأسأله تَعَالَىٰ أن يُلهمَنِي الحقَّ والصَّواب ويجنّبني الزّلل ويوفّقني لأسباب القبول، إنّه أهل ذلك والقادرُ عليه.

أمّا عن مراحل تبلور أفكار هذا الكتاب، فمن المفيد في فهمه ذكر تسلسلها.

فقد تمَّ ذلك علىٰ مراحل متدرّجة علىٰ مدىٰ أربعة عشر عاماً، ما بين أواخر عام ١٩٩٠م إلىٰ أواخر عام ٢٠٠٤م.

وأمّا صياغته الأخيرة فقد بدأتُها مطلع سنة ٢٠٠٢م، وأشارف الآن - بفضل الله - علىٰ نهايته أواخرَ سنة ٢٠٠٤م.

وقد كانت خُلاصة تلك المراحل الفكريَّة علىٰ الشّكل التّالي:

- المرحلة الأولى: بيشاور (١٩٩٠-١٩٩١)
- المرحلة الثانية: مدريد (١٩٩١)
- المرحلة الثالثة : لندن (١٩٩٦)
- المرحلة الرابعة : أفغانستان (١٩٩٧-٢٠٠١)
- المرحلة الخامسة: باكستان (٢٠٠٢-٢٠٠٣)
- المرحلة السادسة: (٢٠٠٣-٢٠٠٤) احتلال أمريكا للعراق والحملة الامريكية على الشرق الأوسط.

المَرحَلَة الأولى:

بيشاور (١٩٩٠م - ١٩٩١م)

كانَ جمع المُجَاهدين العَرَب الّذي حضرتُه ما بين (١٩٨٧- ١٩٩٢م) في أفغانستان والمناطق الحدوديَّة الباكستانيَّة، ولاسيّما عاصمتها بيشاور[١]، قد بلغ ذروته عام ١٩٩٠م، وحوىٰ بكل تأكيد كامل طيف الصّحوة الإِسْلَاميَّة، ولاسيّما العربيَّة بمدارسها المختلفة، وشهد ذلك الجمع ما يمكن وصفه بالزلزال الفكريّ والنّفسيّ علىٰ مستوى المُجَاهدين العَرَب خاصّة، وذلك بنزول قوّات التَّحالف الدّولي بزعامة أمريكا في جَزِيرَة العَرَب تحت ستار ما سُمِّيَ بتحرير الكويت، والّذي بدا بكل وضوحٍ أنَّه مجرد ستارٍ هشٍّ لحملات صليبيَّة عاتية جديدة، تقودها أمريكا وأوروبّا الغربيَّة واليَهُوْد، عَلى عقر دار الإِسْلَام في الشّام والعراق وجَزِيرَة العَرَب، لقد عصف ذلك الزلزال بكامل الأُمّة العربيَّة والإِسْلَاميَّة، وبصحوتها الدّينيَّة السّياسيَّة الّتي كانت تعيش ذروتها منذُ انطلقت قبل أكثر من نصف قرن، فقد دخل النّصَارى هذه المرة بلاد الحرمين، وأحاطوا بجَزِيرَة العَرَب - عقرِ دار الإِسْلَام - برّاً وبحراً وجوّاً، وأنزلوا فيها زهاء مليون جندي، كانَ أكثر من نصفهم من الأمريكان، ونحو عشرين بالمئة منهم مِنَ الإنجليز، وكان نحو عشرة في المئة من دول النّاتو – أوربّا الغربيَّة – وتشكّل الباقون من نحو ٣١ دولة، وكان لبعض الحُكُومَات العربيَّة والإِسْلَاميَّة مثل السّعُودِيّة ودول الخليج والباكستان وتركيّا وسوريّا ومصر والمغرب وغيرها نصيباً لا بأس به من المشاركة أيضاً، وليس هنا محل الاستطراد الّذي أطنب فيه العُلَماء والكتَّابُ والصَّحفيُّون، ممَّا لم يدع مجالا للشكِّ، بأنَّ الأُمّة الإِسْلَاميَّة ومقدّساتها وثرواتها ولاسيّما النفطيَّة، هيَ المستهدفة في موجة احتلال صليبيٍّ يهوديٍّ عسكريٍّ مباشر، احتلالٌ يهدف في النِّهاية إلى القضاء عَلى الوجود الحضاريّ للمسلمين بشكل كامل.

---

(١) بيشاور: مدينة تقع شمال غرب باكستان قرب الحدود الأفغانية ، وهي مركز القطاع الحدودي (سرحد) أو إقليم خيبر (بختونخوا) يُقدَّر عدد سكانها بـ ٣ مليون نسمة، كانت تحوي أكثر من ٢٥ألف مهاجر في تلك الفترة .

تبع ذلك الزلزال وخلال أشهرٍ قلائل، وفي مطلع عام ١٩٩١م موجة زلزلة أُخرى باستعلان مشاريع السَّلام مع اليَهُوْد، لبيع ما تبقى من فِلَسطِين وبيت المَقْدِس تحت مسمّيات بَاطِلة أُخرى، من مشاريع الصُّلح والتّطبيع والسَّلام بين العَرَب واليَهُوْد، تلك الموجة الّتي انطلقت من مؤتمر مدريد عام ١٩٩١م، وشاركت فيه إسرائيل مع دول الطّوق العربيَّة (مصر – سوريا – الأردن – لبنان) بالإضافة لمنظّمة التحرير الفلسطينيَّة، وبحضور دول عربيَّة أُخرى عَلى رأسها السّعُودِيّة، حيث دعمت معظم الدّول العربيَّة والإِسْلَاميَّة تقريبا ذلك المسار الاستسلاميّ الخيانيّ.

كانَ من أهمّ أثار ما تمخّض عنه ذلك الزلزال السّياسيّ من أثار مدمّرة، أن شعوب الأُمّة العربيَّة والإِسْلَاميَّة، وخاصة الصّحوة الإِسْلَاميَّة، صحت عَلى الزلزال وقد كشف بشكل فاضح عن حقائق غاية في الخطورة، يمكن إيجازها بما يلي:

أن الأُمّة الإِسْلَاميَّة تتعرض لهجمة احتلالٍ عسكريٍّ مباشرٍ من أجل السّيطرة عَلى مقدّساتها: (مكّة – المدينة – القُدس)، ومن أجل فرض احتلال اليَهُوْد لفلسطين، ومن أجل استلاب النّفط – بيت مال المُسلِمِين – ومن أجل فرض احتلال غربيّ ثقافيّ واجتماعيّ، بعد أن رسخ الاحتلال السّياسيّ عبر الأنظمة والحُكُومَات العربيَّة والإِسْلَاميَّة، وتُوِّجَ بالاحتلالِ العسكريّ الّذي انطلق مع حرب عاصفةِ الصَّحرَاء (تحرير الكويت)، هجمة تقصد الأُمّة من أقصاها إلى أقصاها، لإخضاعها للشعار العريض الّذي أطلق تحت مسمّى (النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد)، والّذي يعني باختصار: **إخضاع الأُمّة للإِرادَة اليَهُوْديَّة الصّليبيَّة بزعامة أمريكا.**

أن كافّة حُكُومَات الدّول العربيَّة والإِسْلَاميَّة، **ودونما استثناء**، قد شاركت أو أيّدت تلك الحملة، وقام الحكَّام المرتدّون الّذين رسّخوا أنظمة الكفر في بلادهم، بتقديم كافّة أشكال الدّعم والعون والخدمات اللوجستيَّة لقوى الاحتلال برّاً وبحراً وجوّاً، ودعموها عبر أجهزة إعلامهم، بل لقد قام كثيرٌ منهم بالمشاركة العسكريَّة فعليّاً أو رمزيًا لإثبات حضورهم وانتمائهم لهذه الحملة عَلى الإِسْلَام والمُسلِمِين، لتثبت تلك الحُكُومَات أنّها جزءٌ أساسيٌ من هذا النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد في محاربة شعوبها ودينِهم الحنيف، وفي خيانة قضاياها وبيع ثرواتها وتسليم مقدّساتها.

تبيّن أنّ عموم الهيكل الدّيني في بلاد المُسلِمِين، ممثل بالعُلَماء المستقلّين من جهة، أو بقيادات الصّحوة الإِسْلَاميَّة وأحزابها وجماعاتها من جهة أُخرى، **عبارةٌ عنْ هيكلٍ مُفلِسٍ مُنهارٍ**، لا يَصلُح بحال لمُوَاجَهة هذه الهجمة، بل الأنكى من هذا أنّه قد تبين أنّ معظم من يُسمَّونَ علماء أهل السّنّة وأعلامهم المتبوعين وفقهاءهم المرموقين قد انضمّوا للحملة الإعلاميَّة لهذه الحملات الصّليبيَّة، فأسبغوا عليها الشَّرعيَّة وجوَّزوها، بل اعتبَر كبارُ المُنَافِقين منهم أنّ قدوم الأمريكان إلى جَزِيرَة العَرَب من أكبر نعم الله عَلى هذه الأُمّة وأنَّه يستأهل سجود الشّكر!! كما عبّر عن ذلك (الشَّيْخ أَبُو بَكر الجَزَائِريّ)[1] عضو هيئة كبار (العُمَلاء) في السّعُودِيّة! فمسخوا حقيقة الصُّورة، ليحوّلوها من صورة احتلال صليبيّ يهوديّ للمُسلمين، إلى صورة نصرة مشروعة من دول صديقة إسلاميَّة وغير إسلاميَّة، لدولة التّوحيد (السّعُودِيّة)، وحكومة الكويت (الشَّرعيَّة)، الّتي أطاح بها عدوٌّ كافرٌ غاشمٌ، باغٍ عَلى الدِّماء والأموال والأعراض (العراق)، وبهذا صدر البيان الختاميّ لما سُمِّيَ مؤتمرُ مكّة (١٩٩١م) والّذي دعت إليه الحكومة السّعُودِيّة نحو ٤٠٠ عالماً، هم كبار علماء العالم الإِسْلَاميّ، وزعماء ما يسمَّى بالصّحوة الإِسْلَاميَّة!! وممن كانَ فيهم ووقع عَلى هذا البيان الختاميّ: هيئة كبار العُلَماء بالسّعُودِيّة، وشيوخُ الأزهر من مصر، وما يعادلهم من العُلَماء ووزراء الأوقاف والشّؤون الدّينيَّة والجَمعِيّات الدّينيَّة الرَّسميَّة وغير الرَّسميَّة لكافّة دول العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، وكذلك معظم رؤوس ورموز الحركات الإِسْلَاميَّة، من الإخوان المُسلِمِين، والجماعات السّلفيَّة والصّوفيَّة والتبليغيَّة والإصلاحيَّة، وقد صدر بذلك بيان وقع عليه ما يقرب من ٤٠٠ عالمٍ وقائدٍ ورمزٍ إسلاميّ! كما أصدرت معظم تلك الجماعات بيانات خاصّة بها دارت في فلك هذا الفقه الاستعماريّ الأمريكيّ الأخرق!! ولم يشذّ عن هذا البلاء إلا نوادر من رموز الصّحوة ممّن عصمهم الله، وكان من تبعات ذلك؛ أن تصدر الفتاوى من كثير من هَؤُلَاءِ العُلَماء بحرمة **الاعتداء!** عَلى هذه القوّات الغازية لنا، واعتبارهم **مستأمنين** شرعاً، واعتبار كلّ من يجاهدهم، **معتدين** عَلى ذمّة المُسلِمِين، مفسدينَ في الأرض، عقابهم في الدُّنيَا: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم

---

(١) هو أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مواليد: الجزائر١٩٢١م، كان أحد أساتذة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، توفي في يناير٢٠١٦م.

مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣]، بل زعموا أنّ المعتدي عَلى هَؤُلَاءِ **المعصومين** شَرعاً (القوّات الأمريكيَّة والصّليبيَّة) لا يروح رائحة الجنّة!! وبهذا صدر بيان بالإجماع عن هيئة كبار العُلَماء في السّعُودِيّة إثر انفجاري (الرِّيَاض) و(الخُبَر)(١) الَّذين استهدفا جنوداً أمريكان بعد حين.

تبيّن وللأسف، أنّ الجماعات والتَّنظِيمات الجهاديَّة المُسلّحة الّتي رفضت ذلك الواقع ودعت إلى جِهَادِ الأمريكان وحلفائهم، كانت بحكم واقعها الحَركيّ وضعفها وتشرّدها عن بلادها، أعجز من أن تقدِّم حلًّا لهذه الطّامّة الماحقة الّتي نزلت في بلاد المُسلِمِين، واقتصرت مواجهاتها للأمريكان عَلى بيانات محدودة الانتشار في بلاد المهجر، بعيداً عن الأُمّة، فقد كانَ موقف قياداتها ورمُوزها واضِحاً، ويُمثّل الحقّ، ولكنّه كانَ موقفاً عاجزاً مقهوراً بعيداً كلّ البعد عن دائرةِ الفعلِ والتّأثيرِ، أو الأهليَّة لقيادة المُوَاجَهة.

تبيّن أخيراً ونتيجةً لهذه الأحوال، أنّ الأُمّة الإِسْلَاميَّة وشعوبها قاطبة ونتيجةً لفساد مقوّمي الصّلاح في الأُمّة (العُلَماءُ، والأُمَرَاءُ) مُغَيّبَةً عن الحدث، تماماً كما رُوي في الأَثَرِ: «صِنفَانِ مِنَ النّاسِ إذا صَلحَا صَلَحَ النّاس وإذا فَسَدَا فَسَد النّاس، **العُلَماءُ والأمراءُ**»(٢)، وأنّ الأُمّة وقد كفر معظم ملوكها ورؤسائها وأمرائها، ونافق أكثرُ علمائها، مَدعُوّةٌ لدخول تِيهٍ عظيمٍ أكبر منَ الّذي هيَ فيه، ولأنّ حكّامها المرتدّين صارُوا في حلفِ العدوّ، ولأنّ أغلب علمائها وقادة حركاتها الإِسْلَاميَّة قد توزّعوا، إمَّا في متاهات النِّفَاق أو في جحور العجز، وأنّ العدوّ يقف في موقع ما وصفه الشّاعر(٣) بقوله:

---

(١) تفجير الرياض: حصل في ١٣نوفمبر ١٩٩٥م بسيارة مفخخة داخل تجمع سكني للأمريكان الصليبين، وتفجير الخبر: حصل في ٢٥يونيو ١٩٩٦م بسيارة مشحونة بالغاز والمتفجرات داخل تجمع للأمريكان في الخبر.

(٢) أثر مرويٌّ معناه عن ابن المبارك وغيره من السلف، ورواه أبو نعيم في [الحلية] عن ابن عباس ﷺ، وقد ذكره السيوطي في الجامع الصغير بهذا اللفظ، ورمّز له السُّيُوطي بالضَّعف، ونقل المناوي في شرحه [الجامع الصغير] عن الحافظ العراقيّ أنّه ضعيف، وذكر الألباني أنَّه موضوع؛ لأن في إسناده محمد بن زياد اليشكري، وهو كذاب، قاله أحمد وابن معين، ضعيف الجامع (٣٤٩٥).

(٣) الشاعر هو عمر أبو ريشة قاله في قصيدته المشهورة والّتي مطلعها (أمّتي هل لك بين الأمم * منبر للسيف أو للقلم)

لا يُلام الذّئبُ في عُدوانه إنْ يكُ الرّاعي عدوّ الغنمِ

فقد تبين أن شعوب المُسلِمِين مغيّبون تماماً عن واقع ما يدور بهم، وما يُخَطّط لأمّتهم، وأنّ عامّتهم غارقون إلى آذانهم في سعيهم لدنياهم، وتمرّغهم في مَرَاغَةِ ملذّاتها، وأن العدوَّ عازمٌ عَلى استكمال سلب ما تبقى لديهم من دينهم وفتات دنياهم، وعمومهم في غفلتهم معرضون، وأنّ الواعين منهم لما يدور، يَعضّون أصابعَ الغيظ والقهر والحُزن عَلى ما يحلُّ بالأُمّة، ويَشكُونَ إلىٰ الله أنّهم منَ المُستضعفين الّذين لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدونَ سبيلاً.

وسط تلك الزّلازل، وتتابع الأخبار والتّحليلات عَلى ما جرىٰ ويجري، وما يتوقّع له من نتائج في غضون السّنين القادمة، بدأت تتولّد عندي بدايات هذه الأفكار.

لقد كانت تلك الظّروف دافعةً لي عَلى التّفكير فيما يجري وأبعاده وطرق مواجهته، وكان واضِحاً من استعراض طيف الصّحوة والحركات الإِسْلَاميّة والجهاديّة والفكريّة وسواها الّتي تعرّفت عَلى من لم أكن أعرفه منها في مرحلة الجِهَاد الأفغاني، أنّ جلّها أو كلّها قد اتّخذ بَرَامج ومناهج وأهدافاً بعيدةً كلّ البعدِ عن مُوَاجَهة الأزمة القادمة.

فبَرَامجُ الإخوان وأشكالهم تحومُ حولَ فكرة البرلمانات وكسب المقاعد الانتخابيّة، وإيجاد قاسمٍ مشتَرَكٍ مع الحُكُومَات، والبحث عن مواقع لا تتصادم مع الغُزَاة الجدد للمنطقة، مخطّطات للإصلاح الجزئيّ المرحليّ، تدور كلّها في فلك القطريّة بحسب انتماءات تلك الأحزاب وبلادها، وقد تداخلت فيها مصالحهم الشّخصيّة والحزبيّة مع مصالح الدّعوة والإِسْلَام تداخلاً يصعب عَلى غير الله تبارك وتعالىٰ تمييزه!!

والتّيارات والجماعات والرّموز السّلفيّة ومَشَايخها وحركاتها ومجلّاتها تصبّ اهتماماتها عَلى قطّاع العقائد والجدليّات العَقَديّة والفقهيّة، وتبدو وكأنّ مشاكلها الّتي تعود لمعاركِ الحنابلة مع (الجبائي) و(المعتزلة)، أقرب لاهتماماتها من بحث قضيّة الغزو القادم، ومسائل كفر الحاكم، وقد وَجدت لنفسها بدورها مجالاً للنّشاطات المختلفة لا تثير حفيظة الحُكُومَات، ووجدت لنفسها موطئاً بعيداً عن الصّدام

ولو مرحليّاً، وقد اقتنع قطاعٌ كبيرٌ منها بفكرة البرلمانات والمرحليَّة الدعويَّة بعد أن كانَ بعضهم قد كفَّر الإخوان عَلى ذلك.

أما أصحاب الانتماء لمدارس أبعد عن السّياسة كالتّبليغ والصّوفيَّة والمدارس التربَويَّة والإصلاحيَّة فأبعد بدورها بحسب بنيتها الفكريَّة وطبيعة اهتماماتها عن هذه المعتركات، فقد وجدت لنفسها طرقاً للمسالمة مع حُكُومَاتها ومن وراءهم.

وأما الجماعات الجهاديَّة وهي أقرب شرائح الصّحوة وقطاعاتها للتّصادم مع الغزو القادم بحكم ما تربت عليه من الفكر والمنهج والتّجربة والممارسات الجهاديَّة المُسلّحة في بلادها ثمّ في أفغانستان، فقد كانت معنيَّة أكثر من غيرها بالتّصَدّي للتّفكير والتّحرك تجاه ما يجري، ولكن سرعان ما بدا واضِحاً أنَّها تعيش في تلك الحقبة ازدهاراً محليّاً في أفغانستان جعل هموم أكثرها منحصراً في إنشاء المُعَسْكَرَات وتوفير مصادر التّمويل والاتجاه للحشد والتّجنيد لبناء نفسها عَلى أساس تنظيمات (سِريَّة – وقطريَّة – وهرميَّة) هدفها التّقليديّ ما زال هو ذاته: (الإطاحة بحُكُومَات بلادها لإقامة حُكُومَاتٍ إسلاميَّة عَلى أنقاضها) وفق نفس الأسس الّتي طُرحت وانتشرت منذُ السَّبعينيَّات وخلال الثّمانينيَّات وإلى مطلع التِّسعينيَّات، وهي المحاولات الّتي قامت في دول عربيَّة عديدة.

شعرت حينها أنّ النّاس وتوجّهاتها في وادٍ، وأنّ سير الأحداث وما نستقبل منها، يسير في وادٍ آخر.

في تلك الأيّام بدرت في ذهني بدايات الأفكار الّتي سأفصّلها في هذا البحث بعد أن تبلورت وصارت إلى شكلها النّهائيّ.

وأذكر أنّي قد ناقشت في تلك الأيّام بعض هذه الأفكار مع رهط ممن حولي من المُجَاهدين العَرَب في أفغانستان، ممن كانَ لهم تجربة في عالم الفكر والبحث والكتابة والتّنظير، وبدا لي أنّ أفكاري تلك مبكّرة، وبالغةَ البعد عن واقع الجهاديّين، فضلاً عن باقي شرائح الصّحوة غير الجهاديَّة، ولقد اتّضح لي – في حينها – جملة من القناعات المبدئيَّة، كونت أساس الفكرة، ومن ذلك:

١. أن حرب عاصفة الصَّحرَاء هيَ بداية التّحوّلات النّاشئة عن قيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وأنّ هذه الغزوة أبرزت العدوّ الحقيقي الّذي كانَ مختفياً وراء حُكُومَاتنا، وهم الصّليبيّة الدّوليَّة وطليعتها

دول النّاتو ومن ورائها إسرائيل، وجعلتهم العدوّ الظَّاهِر والحقيقيّ والأخطر الّذي يجب التّصَدّي له، وأن الدَّوران في فلك الإعداد والانخراط في معارك ومواجهات جهاديَّة قطريَّة محدودة مع أنظمتنا الحاكمة لن يكتب لها النّجاح والله أعلم رغم مشروعيّته، لأنّه يصبّ نهايةً في مصلحة الأَعدَاء الحقيقيّين لأنّه يبدّد الطّاقات في متاهات لا جدوى منها، بحكم ما ثبت وما مرَّ من تجارب، وأنَّ القاتل والمقتول في ثوراتنا الجهاديَّة تلك كانَ فريسةً للعدوِّ الحقيقيِّ الّذي وزَّعَ الأدوار.

٢. **أن الحَرب العَالَمِيَّة الأمميَّة القائمة، ونظام عولمة كلّ شيء، بما فيه المُوَاجَهة القادمة بين المُسلِمِين وأعدائهم الّذين ظهروا من الخفاء للعلن، تحتاج لنظام مُوَاجَهةٍ عالميٍّ من جهتنا، عالميٍّ في التَّفكير وأساليب المُوَاجَهة غير ذلك القائم آنذاك.**

٣. أن بدايات نظام مكافحة الإِرهَاب الّذي طرحته أمريكا وأوروبّا عبر سلسلة المؤتمرات الأمنيَّة الّتي تلت مؤتمر مدريد في مطلع ١٩٩١م، تُبدِي أنّ المواجهات الأمنيَّة مع الحركات الجهاديَّة والأصوليَّة الإِسْلَاميَّة تنتقل إلى المجال الأمميّ والدّولي، بعد أن شهدت تطوراً من القطريّة إلى الإقليميَّة، وأن هذا سيؤدي إلى إجهاض كافّة أساليب عمل الجهاديّين من الحركات والتّمويل والاتّصالات والنَّشَاط وأساليب التَّنظِيم، لأنها تعتمد عَلى الحركة في الأفق العَالَمِيّ بعد مطاردتها في بلادها.

٤. **أن المؤسسة الدّينيَّة الرَّسميَّة وقطاعاً كبيراً من علمائهم ومؤسساتهم الدّينيّة، تتجهّز تلقائياً لتكون جزءاً من النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد! وبمعنى أوضح ؛ جزءاً من العدوّ بعد أن اختارت الرّكوب رسمياً في مركب أنظمتها الكافرة الّتي توظفت ضمن الحملة الصّليبيَّة اليَهُوْديَّة الجَدِيدة، حيث ستقوم هذه الأجهزة الدّينيَّة بمهمّة الإجهاض الفكريّ والشَّرعيّ لأيّ مشروعِ مقاومةٍ جهاديَّة.**

٥. **أن مدارس الصّحوة الإِسْلَاميَّة السّياسيَّة الأخرى، ولاسيما الأحزاب السّياسيَّة، ببحثها عن المشاركات البرلمانيَّة والحُكُوميَّة، من خلال مواقع في منتصف الطّريق مع الجَاهِليَّة العاتية الممثّلة بأنظمة الرِّدَّة، سيؤول بها الحال لأن تكون أيضاً جزءاً من النّظام الدّولي**، وجزءاً من العدوّ من حيث قصدت أو لم تقصد تحت ستار التّدرّج والشعارات الّتي لا تقنع العجماوات بجدواها ومبرراتها، لا الشَّرعيَّة ولا السّياسيَّة، خُصُوصَاً بعد الصفعات الّتي تلقتها (الدِّيمقراطيَّة الإِسْلَاميَّة) في الجَزَائِر

وتركيّا وتونس والكويت والأردن ومصر وغيرها، وأنها ستقف إلى جانب حُكُومَاتها الّتي أصبحت هذه الأحزاب (الإِسْلَاميَّة!) جزءاً من مؤسساتها الدّستُوريَّة (الشَّرعيَّة)، ضدّ المُجَاهدين.

٦. اعتقدت أن التَّنظِيمات الجهاديَّة المتبقية أو حطامها، كتلك القادمة من مصر وبلاد الشّام وسواها سواءً القائمة أو الّتي تشرع ببناء نفسها كمعظم التَّجَمُّعات والنوبات الجهاديّة القادمة من شمال أفريقيا، تبني نفسها عَلى أسس متخلفة جداً عن مستجدات المَعْرَكة، وسيلتهمهما لهيب التّرتيبات الأمنيّة الجَدِيدة لمكافحة الإِرهَاب واللهُ أعلم.

و إزاء كلّ هٰذا، رأيت **أنّ المطلوب غير ممكن في تلك المَرحَلَة (١٩٩٠م)، في ذلك المكان (بيشاور ومُعَسْكَرَات أفغانستان) وللأسف، مع أنه بؤرة تجمع الجِهَاد والجهاديّين.**

وأذكر أنّي تبادلت الحوار مرّة مع أحد أبرز المشاركين في مجال التّاريخ والتّنظير للفكر الجهاديّ، في ليلة مقمرةٍ عَلى سطح بيت الشَّيْخ جلال الدّين حقانيّ في بيشاور(١)، ولاحظت بداية تولد قناعات مشابهة لديه، وقرّرنا الدّعوة لجلسات تقييم لمسار وواقع الفكر والحركات الجهاديَّة، من أجل استخلاص بعض الدُّروس، وتقييم تجربتنا في أفغانستان، وتقدير ما يستقبلها في المَرحَلَة التّالية، وفعلاً عقدنا جلستين، على المستوى الممكن من النُخبويّة، وبدا أنّ الكلّ متّفق عَلى أن عاصفة أمنيّة تلوح بالأفق ستهبّ رياحها أول ما تهب عَلى باكستان وأفغانستان لتصفية هذا الجمع الّذي يبدو أنّ دوره قد انتهى، لاسيّما بعد أن اغتيل

---

(١) المولوي (الشَّيْخ) جلال الدين حقاني :مواليد ١٩٣٩م عالم عامل وقائد مجاهد قاتل السوفييت منذ الثمانينيات وكان من أعمدة الجهاد الأفغاني والطالبان ومن مستشاري أمير المؤمنين الملا محمد عمر، عُيّن أيام الإمارة وزير شؤون القبائل، ثم قاتل الأمريكان واحتضن المهاجرين، ودعته حكومة كرزاي المرتدة لتولي منصب رئيس الوزراء فأبى إلا جهادهم، وله مدرسة كبيرة في ميران شاه اسمها منبع العلوم، تعد قلعة من قلاع الإسلام والجهاد، إلا أنها الآن تحت الحصار.

الشَّيْخ عبدالله عزام[1]، وبدت نذر الحملة الإعلاميَّة تحول اسم المُجَاهدين إلى (متمرّدين) ثمّ إلى (مُنشقّين) ثمّ إلى (إرهابيين) تحت مسمّى دراماتيكي جديد هو (**الأفغان العرَب**).

وأذكر أَنّي قلت ذات يوم لأقرب أصدقائي في حينها، أَنّي أتلمّس ميلاد أفكارٍ لتطوير نظَريَّات عملٍ للجِهَاد أعتقد صحَّتها، وتوقُّعاتٍ مخيفةٍ أنا متيقِّن من خطورتها واحتمال حصولها، ويبدو لي أنَّها أفكار مبكِّرة لا يمكن طرحها الآن، وستفهم – لو طرحت – عَلى أنَّها شيء من البلبلة والإرباك الفكريّ للسّاحة العربيَّة في أفغانستان.

وكنت أودُّ لو امتلكت الشَّجاعة مطلع ١٩٩١م لجمع بعض رموز وقيادات الحركات والتَّنظِيمات الجهاديّة لأقول لهم قناعاتي تلك باختصار:

أما الصّحوة الإِسْلَاميّة فقد أفلست، وستكون قريباً بمعظم أحزابها وقياداتها في خندق العدوّ، إما قناعة بعد أن انحرفت، وإمَّا عمليَّاً وإجباراً كي تجد لنفسها مكاناً في النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، لأنّ الخيار الآخر هو الجِهَاد والمُوَاجَهة وهم قاعدون عنه، وأما نحن – معشر الجهاديّين – فأمامنا سنتين أو ثلاثة لنصل إلى طريقٍ مسدودٍ حركيَّاً، وإلى التَّفكُّك الأمنيّ عمليَّاً، ولا سبيل لتفادي هذا المستقبل – بحسب فهمي آنذاك – إلا بالتَّركيز عَلى تغيير أساليب التَّفكير والعمل العسكريّ والإعلاميّ والبُنى التَّنظِيمية، تغييراً جَذريَّاً شاملاً، وما أظنُّكم بفاعلين.

---

(١) الشَّيْخ الدكتور عبدالله عزم ﷺ :مواليد فلسطين – جنين (١٩٤١م الموافق١٣٦٠هـ) أستاذ الجيل في العلم والعمل شيخ الأفغان العرب قاتل اليهود في فلسطين والسُّوفييت في أفغانستان وحرَّض الأمّة الإسلاميَّة للنّفير إليها، كانَ يرى ردة الحكومات الحاكمة بالقوانين الوضعية وله في ذلك رسالة (العقيدة وأثرها في بناء الجيل) وقد خلف تراثا علميّاً ودعويّاً ضخماً مشهور منشور، ولعل أشهر كتبه (في ظلال سورة التَّوبة – الدِّفاع عن أراضي المسلمين أهمُّ فروض الأعيان، وغيرها وقد جمعت في مجموع تحت اسم الذخائر العظام) اغتيل في يوم الجمعة بتاريخ ٢٤/ ١١/ ١٩٨٩م على يد المخابرات الأردنية في بيشاور، كما نقل ذلك الشيخ أبو دجانة الخراساني في وصيّته ﷺ.

لم يكن ذلك بالطَّبع معقولاً ولا ممكناً، ولم تكن قد تكاملت عندي أبعاد نظَريَّات التَّغيير المطلوبة كما أعتقد، وأرجو – أن ذلك قد حصل الآن، وبهذا سيكون مثل ذلك الكلام مجرَّد تبشير بالاندحار دون تقديم حلولٍ واقعيةٍ.

والحقيقة أنَّ ملامح الكارثة كانت واضحةً لبعض من رآها، بحكم ما فتح الله ويسَّر عليهم من البصيرة والتَّجربة والفكرة، لقد كانوا أفراداً قلائل، وكان معظمهم من غير المُنهمكين في أطرٍ تنظيميَّة تحكم طبيعة تفكيرهم، ولم تكن تلك الخواطر والإشراقات الفكريّة كافية في وضوحها لتقنع الآخرين بالتَّفكير الجدّيّ وبضرورة إحداث ثورة داخليَّة في أساليب التَّنظِيم والعمل، لقد كانَ أمر الله قدراً مقدوراً.

لقد ثبت مع الوقت، أنَّ التَّنظِيمات الجهاديَّة والحركات والمحاولات المُسلّحة الّتي تقوم عَلى أسس (القطريّة، السِّريَّة، الهرميَّة التَّنظِيميَّة) تسير عَلى طريق الاندثار والفشل، لأنها لم تستوعب التّحول العَالَمِيّ الّذي حصل بانطلاق قطار النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، ولم تفهم أبعاده السّياسيَّة والأمنيَّة وانعكاس ذلك عليها، ولم تكن حرارة الاندفاع وآفاق الإخلاص والتَّفاني لدى قياداتها وعناصرها وهم زبدة شباب الأُمّة في ذلك الوقت كافية لتفادي المصير الّذي بدت مؤشراته لمن رآها.

ولم أستطع في حينها أن أقدم كبير شيء، اللّهمَّ إلا بعض المحاضرات في بعض المُعَسْكَرَات وفي (مركز النُّور للإعلام) الّذي أشرفَ عليه (الشَّيْخ أبو حذيفة) أحد طلاب العلم من تنظيم الجِهَاد المصري، من أجل إعطاء دفعة فكريّة في السَّاحَة الجهاديّة العربيَّة في بيشاور والّتي تشكِّل الخطَّ الخلفيّ للتواجد الجهاديّ العربيّ في أفغانستان، والّذي زاد آنذاك عَلى ٤٠ ألف مُجَاهد، وكان من أهمّ المحاضرات مما له علاقة بأفكار بحثنا هٰذا، محاضرة ألقيتها خلال صيف ١٩٩١م بعنوان (**المعادلة السّياسيّة للنظام العَالَمِيّ الجَدِيد**) وكان خلاصتها: أن الصِّرَاع المقبل ستكون معادلته عَلى الشّكل التّالي:

النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد × التّيار الجهاديّ المُسلّح

أي: [الصّليبيّة وزعيمتها أمريكا + الصّهيونيّة اليَهُوْدية وزعيمتها إسرائيل + الحكّام المرتدّون في بلاد المُسلِمِين + الطّوائف المنحرفة المعادية لأهل السّنّة + الهيكل الدّيني الرّسميّ لأهل السّنّة + الحركات الإِسْلَاميّة الدِّيمقراطيّة من الصّحوة]

×

(في مُوَاجَهة) [التّنظِيمات الجهاديّة المُسلّحة، وهي طليعة الأُمّة في المُوَاجَهة].

لقد أثارت هذه الأفكار جدلاً كبيراً في حينها، ولكن وللأسف أثبت العقد المنصرم (١٩٩٠-٢٠٠٠م) صحّتها بكل جلاء.

أتبعتُ ذلك بسلسلة من الدُّروس والحوارات، ركّزت فيها عَلى ضرورة الثّورة عَلى الهيكل المنافق لعلماء أهل السّنّة عندنا، والّذي كانَ يحظى وللأسف بتقديسٍ عجيبٍ حتّى من القطّاع الأكبر من المنتمين للتّيار الجهاديّ ممن يحملون السّلاح! ولم يغير في ذلك حتّى ولا وقوف أولئك العُلَماء العَلنيّ إلى جانب حملة (شوَارِزْكُوْف)[1]، قائد عاصفة الصّحرَاء، واعتبارهم أنّ المُجَاهدين له ولجنودِه المارينز مفسدون في الأرض!!

كما ألقيت عدّة محاضرات في مقوّمات التّنظِيم وفي تقييم ماضي الصّحوة واستشراف مستقبلها، ومشروعيّة نقد العُلَماء، وضوابط ذلك وغير ذلك من الأفكار الجَدِيدة.

كانَ واضِحاً أنّ شقّة التّغيير المطلوب في التّفكير والعمل واسعةً جداً، وأنّ نتائج العدوان الجَدِيد عَلى الأُمّة وقسطاً من البلاء القادم كانَ لازماً للأكثريّة حتّى يُساعدهم عَلى فهم واستيعاب ما يجري.

ولقد بدأ تحقُّقِ أول ما أنذرنا بِهِ عندما هبّت رياحُ عاصفةِ الصّحرَاء عَلى شكل إعصارٍ أمنيٍّ عَلى الأفغان العَرَب في باكستان، فأخرجت معظمهم إلى بلادهم، وشرّدت من لا يستطيع العودة إلى بلاده

(١) هربرت نورمان شوارزكوف: كان قائد تحالف قوات الهجوم البرية والبحرية والجوية ضد العراق خلال حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١م التي عرفت بعاصفة الصحراء، مات في ٢٧ ديسمبر ٢٠١٢م.

في أقطار الدُّنيَا، وخفَّضت ذلك الجمعِ من عشرات الآلاف إلى بضعةِ مئاتٍ من المُطارَدين المُختَفين في باكستان، ثمّ تتالت دفعات البلاء حتَّى بلغت ذروتها اليَوْم عَلى تردُّد أصداء دويٍّ انفجارات الحادي عشر من سِبتَمبر بعد عشر سنين من بدء ميلاد الأفكار الّتي سنعرضها في هذا الكتاب ونسأل الله الهدى والرشاد.

****

المَرحَلَة الثَّانيَّة:

مدريد (١٩٩١م)

هبَّت العاصفة ونثرت آلاف الّذين قدموا للجِهَاد في أفغانستان في كال أقطار الأرض، وعادت الشريحة الأكبر لبلادها لتواجه المطاردات الأمنيَّة والتحقيقات والسّجون، وتقاسمت بعض الملاذات المؤقتة أولئك المطاردين أصلاً في بلادهم بتهمة الانتماء لجماعات جهاديَّة مسلحة، فصاروا مُطاردين عَلى هويَّة جديدة تحت المُصطلح الجَدِيد الّذي أطلَقَه عليهم الغرب باسم (**الأفغانُ العَرَب**)، وقُبَيل ذلك بفترةٍ وجيزةٍ كنت قد عدت أدراجي إلى مدريد في إسبانيا، حيث كنت أقيم منذُ سنين، وهناك كتبت بحثاً يعتبر الأساس لجزءٍ كبيرٍ من أفكار هذا الكتاب، وكان بعنوان:

(**بيان من أجل قيام المُقاوَمة الإِسْلَاميَّة العَالِمَيّة**)، كانَ بحثاً موجزاً يقع في نحو ٤٠ صفحة، وكنت أعتقد أن السَّاحَة المناسبة لبثِّ تلك الأفكار آنذاك ما تزال بيشاور، حيث يوجد الجمع الّذي يوشك عَلى الانفراط، وكان غرضي أن يحملها معه أكبر كَمٍّ مُمكِنٍ من المُجَاهدين العَرَب، الّذين بدا لي أنّ مصيرهم الانتشار، وهم بحكم تجربتهم الجهاديَّة وإعدادهم العسكريّ أجدرُ وأقدرُ من غيرهم عَلى العمل وفق تلك الأفكار بحسب تقديري - الخاطئ - آنذاك، **لأنّي اكتشفت فيما بعد عدم أهليّتهم لذلك، لأنّهم تلقَّوا تدريباً عسكريّاً عالياً، ولم يتلقوا التَّوجيه العقائديّ المنهجيّ الفكريّ والسّياسيّ اللّازم.**

كانت خُلاصة الأفكار الّتي حملها ذلك البيان (البحث) ما يلي:

عرض لواقع المُسلِمِين وما وصلوا إليه ولاسيَّما إبَّان حرب الخليج (عاصفة الصَّحرَاء) وتفنيد لمزاعم من زعم بمشروعيَّة نزول الصّليبيّين في عقر دار المُسلِمِين، ودعوة لجِهَاد هذه الحملة، **وتفنيد لزعم من زعم أن صَدَّام حُسِين[1] هو معقد الأمل في مُوَاجَهة الصّليبيّن.**

---

(١) صدام حسين : رئيس دولة العراق حكمها بالحديد والنار والطغيان من ١٤٠٠ هـ/ ١٩٧٩ م وإلى بداية الحرب الأمريكية عليها ٢٠٠٣م أجرى خلالها حربين على (الكويت و إيران) اعتقلته القوات الأمريكية ٢٠٠٤م وحُكِم عليه بالإعدام ونُفِّذ ذلك صبيحة عيد الأضحى ٢٠٠٨م.

إثبات أن القوى والتَّنظِيمات الجهاديَّة بل وقوى الصّحوة الإِسْلَاميَّة لا تكفي لمُوَاجَهة هذه الحملة اليَهُوْديَّة الصّليبيَّة العَالَمِيَّة، وأنَّه لا بُدَّ من إعادة مهمَّة الجِهَاد للأمة كاملة، وإحيائها وزجها في **مقاومة إسلاميَّة عالميَّة، تكون في مقابلة هجمة صليبيَّة يهوديَّة عالميَّة.**

إثبات أن دعوة الأُمَّة قاطبة لا بُدَّ وأن يستند إلى عموميات الإِسْلَام والدّعوة العاطفيَّة للجِهَاد، وليس عَلى أساس التفاصيل العقديَّة والفكريَّة، والفقهيات الجهاديَّة المعقدة – وإن كانت صواباً في عمومها ولا شَّكَّ – وذلك باختيار **مفتاح صِرَاع، ودعوة جِهَادٍ،** تجمع عليها كافّة التوجّهات الإِسْلَاميَّة للصحوة، ويستوي في فهمها كافّة شرائح وطبقات المُسلِمِين خاصتهم وعامتهم، واخترت لذلك، الدّعوة لتحرير المقدّسات شعارا لدعوة المُقاوَمة، لإنقاذ الحرمين والأقصى من اليَهُوْد والصّليبيّين، وطرح شعار جِهَاد عدو خارجي بدلا من جِهَاد الحكّام الّذي لم تهضمه الشّعوب – بفضل خدمات علماء أهل السّنّة الأشاوس – واختيار جِهَاد اليَهُوْد ورأسهم إسرائيل والصّليبيّين ورأسهم أمريكا ودول النّاتو الأوروبيَّة كعدو خارجي غاز أساسا لهذه الدّعوة.

إبراز أهميَّة البعد الاقتصاديّ لهذا الجِهَاد، وأن بيت مال المُسلِمِين وثرواتهم وعلى رأسها النّفط قد نُهب، وستنهب هذه الحملة ما تبقى منه، وأن عَلى المسلم أن يجاهد دون قوته وقوت عياله المسلوب، وإعطاء هذا النوع من الجِهَاد الاقتصاديّ بعده الشَّرعيّ، **الّذي غاب عن طرح الجهاديّين الفكريّ وما يزال غائباً، لأنَّ بعض فُقَهَاء الجِهَاد من الشَّبَاب النَّاشئين يعتبر ذلك خدشاً في العقيد السَّمحة!**

وبالمختصر اختيار مفتاح شعبيّ لدعوة الجِهَاد مكوّن من ثلاث أبعاد: أولاً: البعد الدّيني (المقدّسات) – ثانياً: البُعد السّياسيّ (الإحتلال الخارجيّ) – ثالثاً: البعد الاقتصاديّ (الثّروات، النّفط).

دعوة الشَّبَاب وعموم المُسلِمِين لممارسة المُقاوَمة الفرديَّة، بحيث لا تعتمد المُقاوَمة عَلى هياكل ومنظومات شبكيَّة وهرميَّة يُؤَدِّي اعتقال بعض أفرادها لدمارها واعتقال جميع أفرادها، وذلك باختيار أسلوب عمل (نظام عمل)، وليس تنظيماً بالمفهوم المعروف، بحيث ينتسب كلّ مشارك في أعمال المُقاوَمة الّتي يشارك فيها عموم المُسلِمِين، لمسمًّى واحد هو (المُقاوَمة الإِسْلَاميَّة العَالَمِيّة)، حيث يتكامل بالجدوى

عمل الكل، ولا يُؤَدِّي اعتقال الآحاد لاعتقال الكلّ لأَنّهم لا رابطةَ بينهم، وكان هذا لبّ الفكرة الحَركيّ العسكريّ.

تحديد الأهداف المعادية الّتي يجب استهدافها بالضّرب، وهي باختصارٍ: كاملٍ أشكال التَّواجد البشريّ للعدوّ في بلادنا أولاً، وفي بلاد العالم ثانياً، وفي عقر دارهم ثالثاً، **ولاسيَّما أشكال تواجد العدوّ السّياسيّ والعسكريّ والتّبشيريّ والاقتصاديّ والثّقافيّ والسّياحيّ**..إلخ، في بلادنا، وخاصّة اليَهُوْد، ثمّ أمريكا، ثمّ بَرِيطَانيَا، ثمّ روسيا، ثمّ كامل دول حلف النّاتو، ثمّ أي دولة تقف معهم في الاعتداء عَلى الإِسْلَام والُمسلِمين.

مختصر بالدَّليل الشَّرعيّ يثبت حلّ أموال ودماء كافّة أشكال رعايا ومصالح هذه الدّول والتَّقديم لذلك بفتوى جامعة للعلَّامة الُمحدِّث أحمد شاكر رحمه الله[1].

ندب الجماعات والتَّنظيمات الجهاديّة وأفراد الُمسلِمين الّذين سبق لهم التّدريب العسكريّ والممارسة القتاليّة لبدء تدوير عجلة الُمقاوَمة، ودعوة عموم النّاس لأساليب الُمقاوَمة المدنيّة من الأعمال الشبه عسكريّة إلى أعمال الدِّعاية الدّينيّة والسّياسيّة إلى الخطب والكتابات والشّعارات... إلخ بحيث تشارك كافّة شرائح الأُمّة بهذا الجِهَاد وهذه الُمقاوَمة المفتوحة عَلى شكل انتفاضة عامَّة.

دعوة الُمجَاهدين المقاومين إلى تشكيل سَرايا صغيرة تموِّل نفسها من أسلاب العدوّ الماليِّة، ودعوة الأغنياء من الُمسلِمِين لتمويل ودعم من يريد الجِهَاد وكفالة أسر المتضرِّرين منهم.

دعوة الُمجَاهدين العاملين في الُمقاوَمة إلى استهداف العدوّ الخارجيّ أساساً في بلادنا وبلادهم، بالإضافة إلى استهداف كبار المرتدّين من حُكَّام الُمسلِمِين وكبار الطّبقة الأولى من أعوانهم، لكونهم أساس ركيزة الاحتلال، **وعدم تحويل الُمواجَهة مع الحُكُومَات إلى ثورةٍ مفتوحةٍ، كما حصل في التَّجَارب السَّالفة**، وإنَّما التّصَدّي لقوى الجيش والأمن المحليَّة في حالات الدّفاع عن النّفس ضدّ القتل أو الأسر فقط، وتحريض هذه القوَّات بالحسنى للمُشَاركة في الُمقاوَمة بصفتهم جزءٌ من قوى الأُمّة.

---

(١) أحمد شاكر :إمام محدّث معاصر توفى سنة ١٩٥٨م، وكان قد عمل في مجال القضاء الشَّرعيّ في مصر ثمّ اعتزله وسيأتي ذِكره وذكر فتواه في الفصول اللاحقة.

التّنديد بالعُلَماء المُنافِقين، وبرموز الحركات الإِسْلَاميّة الّتي سارت في ركاب النّظام العَالَميّ الجَدِيد، ودعوة المُسلِمين للانصراف عنهم والالتفاف حول العُلَماء المُجَاهدين، ودعوة هذا الصِّنف النَّادر من العُلَماء لقيادة المُقاوَمة الشعبيَّة، في كلّ بلدان المُسلِمين.

اختيار شعار يعبِّر عن المُقاوَمة ودعوتها وهو عبارة عن شكل يبرز المقدّسات الثّلاثة (الكعبة – المَسجِد النَّبويّ – المَسجِد الأقصى) خلفَ قُضبان سجنٍ تدلّ عَلى الاحتلال، وقد كتب تحتها الآية الكريمة: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤] (وكتب فوقها: بيان من أجل قيام المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة).

وعُدت إلى بيشاور في مطلع عام ١٩٩١م لنشر هذا الكتاب سرًّاً، وبثّه بين المُجَاهدين هناك، ولما كانت هذه الأفكار من الخطورة بما لا يخفى، لم يشرف عَلى عمليَّة النَّشر الّتي شملت جميع البيوت والمضافات والمؤسَّسات العربيَّة إلَّا أربعة إخوة رحمهم الله تَعَالَى، حيث وزَّعنا نحو ١٠٠٠ نسخة كانت قد طبعت أيضاً سرّاً، وتم ذلك بنجاحٍ مطلع شهر يونيو – ١٩٩١م فيما أذكر.

ثمّ ما لبثت بوادر العاصفة الأمنيّة أن اشتدَّت، وشرعت تلك الجموع بالرَّحيل عن بيشاور، ورحلتُ بدوري ثانيةً، حيث استقرَّ بي المقامُ في غرناطة آخر معاقل المُسلِمين في الأندلس.

****

المَرحَلَة الثّالثة:

لندن (١٩٩٦م)

وكانت أواخر ١٩٩٦م، حيث كنت قد انخرطت في دعم وتأييد الجِهَاد الّذي نشب في الجَزَائِر، منذُ ١٩٩٤م، وذلك من خلال معرفةٍ قديمةٍ ببعضِ روَّاده الّذين كنت أعرفهم من أفغانستان، وكانوا وقد استقرّوا في لندن منشئين خليةً للخدمات الإعلاميَّة للجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة في الجَزَائِر، وبسبب ذلك انتقلت للإقامة في لندن، **ومرّت القضيّة الجهاديّة في الجَزَائِر بمنعطفات متعدّدة، أدّت في النّهاية إلى أن تؤول قيادة الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة بعد استشهادِ قياداتها المخلصة الواعية لبعض الجهلة والشَّاذين فكريّاً ممن اعتنقوا أفكاراً تتراوح بين التَّكفِير والإجرام والجهل ممزوجةً ببعض الأفكار ذات الأصول الجهاديّة، وذلك بترتيبٍ استخباراتيٍّ مُحكم، ممَّا أودى بها إلى البَوار والفشل والتَّحلل مع أوائل ١٩٩٦م.**

ولم يكن من بُدٍّ أمامنا آنذاك – ديناً وعقلاً – من البَرَاءة من الجماعة المُسلّحة وما آلت إلية الأمور بالجِهَاد في الجَزَائِر، وسأشير في الفَصل السَّادس إلى نبذة عن تلك التَّجربة إن شاء الله، وقد أعددت كتاباً بعنوان: (مختصر شهادتي على الجِهَاد في الجَزَائِر ١٩٨٨-١٩٩٦م)، وسأنشره قريباً إن شاء الله.

والأمر ذو العلاقة بين تجربتي مع الجِهَاد الجَزَائِري وأفكار هذا الكتاب الّذي بين أيدينا، هيَ الصدمة الّتي واجهناها في لندن بنجاح المخطط الدّوليّ والإقليميّ في إجهاض الجِهَاد في الجَزَائِر، بإخراجه عن مساره والسّيطرة عَلى قيادته وتفكيكه أمنيّاً، وعزله عن جماهير المُسلِمِين في الجَزَائِر وخارجها، بسبب ما ورطوهم به من مجازر ضدّ الشَّعب، المسلم أو ما ارتكبته الاستخبارات الجَزَائِرية باسمهم من مذابح أيضاً، رغم نجاحاته العسكريّة والجماهيريّة الباهرة، ورغم توفّر أفضل ظروف النَّجاح الّتي توفَّرت لحركةٍ جهاديّةٍ في العصر الحديث، لقد كانت تلك التَّجربة درساً قاسياً، أكّد عندي عدم جدوى المحاولات المحليَّة للجِهَاد في ظلِّ النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، والمُوَاجَهة العَالَمِيّة لما سُمِّي إرهاباً (أي الحركات الجهاديّة الإِسْلَاميّة).

ومنذ أواخر ١٩٩٦م وإلى أواخر ١٩٩٧م بذلت ساعات مطوّلة للتّأمُل والحوار، مع بعض الخواصّ من نخبة الجهاديّين المقيمين من كوادر الأفغان العَرَب والتّنظِيمات الجهاديّة في لندن، لتقييم أسباب فشل المحاولات الجهاديّة المُسلّحة المتكرِّرة في العصر الحديث:

[المغرب ١٩٦٣م– سوريا ١٩٦٥م – مصر ١٩٦٥م – تركيّا ١٩٧٠م – الجَزَائِر ١٩٧٦م – سوريا ثانية والتّجربة الطَّويلة ١٩٧٥م – ١٩٨٢م – مصر ثانية ١٩٨١م – ليبيا ١٩٨٩م – الجَزَائِر ثانية ١٩٩٠م–١٩٩٦م– ليبيا ثانية ١٩٩٤م – ١٩٩٦م...] عدا التّجَارب المحدودة لغيرها من البلدان مثل: تونس والأردن واليمن ولبنان وغيرها.

وقد شكَّلنا لهذا الحوار والدّراسة شبة ندوة غير منتظمة عقدنا لها عدّة لقاءات، قارنّا فيها بين الفشل في كلّ تلك المحاولات التّنظِيمية، وبين النّجاحات العسكريّة في التّجَارب الجهاديّة الجبهويَّة للمسلمين في كلّ من البُوسنة – الشّيشَان – أفغانستان، كما عرضنا لدراسة البَوادر الجَدِيدة لأعمال الجِهَاد الفَرديِّ الّتي بدأت تحصل منذُ حرب الخليج، والَّتي قام بها بعض شباب المُسلِمين هنا وهناك.

وأستطيع القول أنّ تأمُّلي تلك الأيّام ومحاولات البحث والكتابة في بعض الخواطر في تلك الفترة، قد شكّلت عندي بالإضافة لما كنت قد تَوَصَّلت إلية من أفكار (بيان المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة) أساسِيَّات الأفكار التَّفصيليَّة لهذا الكتاب الّذي بين أيدينا الآن.

وقد حملت هذه الأفكار في صدري وهاجرت بها بعد قراري بالرَّحيل كليّاً إلى أفغانستان، إثر استطلاعي لها مرَّتين بعد تمكن حركةِ طالبان من دُخول كابل وإعلان الإمارة الإِسْلَاميّة، وبعد ما بدا لي واضِحاً أنَّ بوادر هبوب عاصفةٍ أمنيّةٍ شديدةٍ عَلى الإِسْلَاميّين ولاسيَّما الجهاديّين في أوروبّا تقترب، **وآثرت ألا تنالني زوابعها في لندن الّتي فَقدت عذريَّتَها الدِّيمقراطيَّة الأصليّة عند ما عاشَرَت الكاوبوي الأمريكيّ.**

****

المَرحَلَة الرَّابعة:

أفغانستان (١٩٩٧م - ٢٠٠١)

بدأت هجرتي إلى أفغانستان في شهر أغسطس ١٩٩٧م، واستمرَّت إلى خُروجنا منها عنوةً أواخر ديسمبر ٢٠٠١م.

ولقد كانت هجرتي إلى أفغانستان لأسبابٍ عديدةٍ، السَّبب ذي الصِّلة منها بمادة هذا الكتاب هو المشاركة في المُوَاجَهة الّتي كانت ما تزال تزداد حدَّةً مع النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد الّذي تقوده أمريكا وإسرائيل، وتشارك فيه حُكُومَات الرِّدَّة في بلاد العَرَب والمُسلِمين، وقد شجَّعني عَلى ذلك أمور لمستُها خلال رحلتيّ استطلاع قمت بهما قبيل القرارِ بالهِجرَة نِهَائِيَّاً وذلك خلال العام الّذي سبق ذلك القرار، ومن أهمّ تلك الأمور:

انتقال الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن ونُخبة إدارته إلى أفغانستان، وتبنِّيه أفكاراً للمُوَاجَهة مع أمريكا وقناعات أمميَّة لتلك المُوَاجَهة، ودعوته للأمَّة الإسْلَاميّة لِجهَاد أمريكا تحت شعار (إخراج المشركين من جَزِيرَة العَرَب)، وتبنّيه - أخيراً - أفكاراً قريبةً جداً من تلك الّتي نضجت عندي عَلى مراحل منذُ حرب الخليج ١٩٩٠م وقد تبيَّن لي ذلك من خلال عدّة حوارات معه ومع بعض القريبين منه خلال زيارتي لهم سَنَة ١٩٩٦م ورأيت في تبنّيه لأفكارٍ من هذا القبيل فرصة حقيقية لنقل المُوَاجَهة بالاتِّجاه الصَّحِيح، بما للشَّيخ أُسَامَة من مكانةٍ وتاريخٍ، ولما حباه الله من الخصال والإمكانيَّات والمُواصفات الشَّخصيَّة كرمزٍ مُكِنٍّ لتلك المُوَاجَهة كما تصوُّرت حينها، ورغبتُ بأن أُساهِم وأن أكون حاضراً في هذه المُوَاجَهة الّتي ستنطلق من أفغانستان، كما توقّعت بعد لقائي بعددٍ من كبارِ طالبانَ أيضاً.

بدا لي واضِحاً أنَّ أفغانستان سوف تكون مرّةً ثانيةً محجّاً للمُجَاهدين والمُهَاجِرين في سبيل الله، وذلك بسبب العواصف الأمنيّة عَلى الجهاديّين في مختلف دول العالم والّتي بدأت تزداد شراسةً منذُ ١٩٩٥م، وكذلك بسبب نجاح طالبان في تكوين نواة دولةٍ توفِّر ملجأً آمناً لهم، وتصوُّرت أنّ مجتمعاً

جهادياً مناسباً سوف يتكوَّن قريباً في أفغانستان، وقد جذبني لأن أكون حاضراً فيه كي أُساهم بالدّعوة إلى هذه الأفكار الّتي آمنت بها.

بَدا من رسوخ قدم الطّالِبَان وحكمهم، والمعاملة الحسنة الّتي لاقوا بها العَرَب المُهَاجِرين إليهم، أنَّ إمكانيَّة تنفيذ بَرَامج للإعداد والتّدريب والمشاركة العمليّة في القِتَال إلى جانب طالبان، ستكون ممكنة من أجل إعداد نواة جيل المُوَاجَهة العَالَمِيّة القادمة، إن يسَّر الله ذلك.

هذه الأسباب بالإضافة إلى أهداف خاصّة وقناعات شرعيّة ذاتيَّة بالهِجرَة إلى دار الإِسْلَام الوليدة وتقديم العون لها جعلتني أجدُّ السّير في هذه الهِجرَة الّتي أقدمتُ عليها بكامل القناعة والعزم.

وفعلاً وكما توقعّت ذلك، فقد تقاطرت الجماعات الجهاديّة ورموز الأفغان العَرَب وتنظيمات الجِهَاد وكثير من الأفراد إلى أفغانستان، وازدهر ذلك خلال الأعوام (١٩٩٨ – ٢٠٠١م) وبدا أنّ ما أسميته (**الشَّوط الثّاني للأفغان العَرَب**) قد بدأ في أفغانستان، ونشط بشكل أذهل الأَعدَاء وبعث الأمل من جديد في أوساط الجِهَاد وأنصاره في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، بحيث أصبح هذا الجمع من جديد أملاً من آمال الأُمّة الإِسْلَاميّة، بل أكبر آمالها.

وأضفت الشّعارات الملتهبة والنَّشَاط الإعلاميّ الّذي أطلقه الشَّيْخ أُسَامَة بشخصيَّته التارِيخِيَّة في أفغانستان، طابعاً مميزاً، ولعبت حدة ردّة الفعل الأمريكيّة عليها وتسليط إعلامها الضوء عليها من أجل تبرير تطلعاتها في التَّواجد في المنطقة العربيَّة والإِسْلَاميّة، والتَّجاوب الجماهيريّ الواسع في أوساط الأُمّة الإِسْلَاميّة المقهورة، وكذلك حرارة المواجهات الجهاديّة في بعض البُؤر الأخرى إبَّان تصاعد الأحداث في أفغانستان، مثل ما حصل من اشتعال الإنتفاضة في فِلَسطِين، واشتداد حدَّة المعارك في الشِّيشَان في نفس الوقت بالإضافة إلى صفاقة الهجمة الأمريكيّة وعدائها المعلن ونواياها بتصفية الإمارة الإِسْلَاميّة وإسقاط حكومة طالبان، والحشد الدّولي الّذي حشدته في عمليَّة الحصار الاقتصاديّ والسّياسيّ والإعلاميّ ضدّ أفغانستان وضدّ الجمع الجهاديّ الأمميّ الّذي تشكّل في كنفِها، أضفى كلّ ذلك عَلى الوسط جواً ملائماً عندي لنُضوج أفكارٍ من قبيل الّتي في هذا الكتاب، وبدا أن بعض الجهاديّين من القدماء قد توصَّلوا لقناعاتٍ قريبةٍ من ذلك.

وليس هنا محل استعراض تاريخ وأحداث تلك المَرحَلَة، وذلك الجمع الهامّ جدّاً عَلى مستوى تاريخ الجِهَاد في العصر الحديث، وأجدني راغباً جدّاً في الكتابة عن تلك المَرحَلَة الهامة العاصفة، ولعلّ الله ييسر لي ذلك من أجل تغطية أحداث ما مرَّ معنا عَلى صعيد الأفغان العَرَب منذُ نشأة طالبان وقدومنا إليهم ١٩٩٦م، وإلى ما بعد أحداث الحادي عشر من سِبتَمبر ٢٠٠١، ودور ذلك التَّجمع في تلك المَرحَلَة وما بعدها إن يسَّر الله لي ذلك.

ولن أعرض هنا لتفاصيل كثيرة من ذلك وإن كانت هامَّة، إلا لما يتعلَّق منها بأفكار هذا البحث وتطوّرها وسط تلك التَّجربة، وما يهمّني من ذلك هنا هو ما يلي:

بدا لي واضِحاً من خلال عددٍ من اللِّقَاءَات والمُناقشات الّتي شرحتُ فيها مُعظم أفكار هذا الكتاب لعددٍ من قيادات التّيار الجهاديّ والمُشرفين عَلى جماعات جهاديّة كانت موجودة في السَّاحَة هناك، أو آخرين وَفَدُوا أفغانستان من أجل إنشاء جماعاتٍ جهاديّةٍ عَلى نموذج تلك القائمة بنفس الأسس والمفاهيم الفِكريّة والحَركيّة التَّقليديَّة للجهاديين، بَدَا أنَّ عمومهم مُمتلئٌ قناعة بالأهداف الّتي رسموها لأنفسهم، والتَّنظِيمات والأسس الّتي أقاموا عليها أعمالهم! وأنّهم غير مستعدِّين لإحداث أي نقلة جوهريَّة للتَّفكير والعمل عَلى أسس جديدة، وأن الفكرة الّتي فارقتُهم عليها سنة ١٩٩٠م، ما تزال سائدةً عندهم!! وهي (**إنشاء تنظيماتٍ سريّةٍ قطريّةٍ، تريد إحداث ثوراتٍ شعبيَّةٍ، أو أعمالِ عِصَاباتٍ من أجل الإطاحة بحُكُومَات بلادها، وإقامة حُكُومَاتٍ إسلاميّةٍ عَلى أنقاضها!!**)، وكل ما تَبتَغِيه تلك التَّنظِيمات من أفغانستان – من جديد – هو أنّها محطّة إنشاء وتدريب وحشد، أو ملاذٍ آمن لكوادرها وعناصرها، فراراً من الهجمة الدّولية لمكافحة الإرهَاب، مع قناعات تتفاوت عندهم من حيث القناعة بالإمارة الإِسْلَاميّة ودار الإِسْلَام النَّاشئة في أفغانستان، وشرعيّة أمير المُؤمِنِين حيث تتدرَّج القناعات من الإنعدام التَّامِّ عند بعض من يَنسُبون أنفسهم إلى (السّلفيّة)! إلى القناعة التَّامَّة عند البعض، أما المَعْرَكة العامّة مع الهجمة الصّليبيّة اليَهُوْديَّة فلم يبدُ أنّها تُشكِّل همَّاً عمليَّاً لتلك التَّنظِيمات إلا عَلى صعيد التَّعاطف العام مع قضايا المُسلِمِين، **ولم يستطع الشَّيْخ أُسَامَة والقَاعِدَة أن يُزَحزِحُوا تلك التَّنظِيمات، ولا معظم الشَّبَاب الّذي قدّم لهذه الأهداف عن قناعاتهم تلك من أجل تبني قناعاته بأن المَعْرَكة قد أصبحت**

مع أمريكا فحسب، إلى أن جاءت هجمة أمريكا عَلى الإمارة وتداعيات أحداث سِبتَمبر فأقنعت أمريكا الكلَّ بترك أهدافهم والتَّفرّغ لحربها، من ناحية أُخرى رأيتُ تفهُّماً وقناعة بالأفكار الّتي سأفصِّلها في هذا الكتاب من قبل بعض قُدماء الإخوة من المستقلّين عن التَّنظِيمات ذات الأهداف القُطريّة.

بدا لي أنَّ الجهة الوحيدة الّتي تقيم كثيراً من جوانب عملها الحَركيّة عَلى أسسٍ شبيهة بالأفكار الّتي اقتنعت بها، هيَ تنظيم الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن (القَاعِدَة) فهم قد أدركوا – ولاسيَّما الشَّيْخ أُسَامَة، ونائِبه أبو حفص رحمه الله[1] – أن زمن التَّنظِيمات القطريّة المحليَّة قد ولّى، وأنّه لا يصلح للمرحلة القادمة، وأن الواجب هو: **حشد الأُمّة عَلى مُوَاجَهة العدوّ الخارجيّ مُمَثَّلا بأمريكا والتَّركيز عَلى شعار إخراجهم من جَزِيرَة العَرَب ودمج هذا ببعد الصِّرَاع مع اليَهُوْد حول فِلَسطِين والأقصى، وببعد دفع عدوان أمريكا عَلى عموم المُسلِمِين، وهو ذات ما كنت قد تَوَصَّلت إليه سنة ١٩٩٠م، وسجَّلت فيه عدداً من المحاضرات والكتابات منذُ ذلك الوقت.**

ثمّ وبعد دراسة كلّ الإمكانيَّات المُتاحة لي للعمل والعَطاء، أسَّستُ مُعسكراً ومجموعة عملت بشكل مستقلٍّ مثل كافّة التَّجَمُّعات والتَّنظِيمات العربيَّة الأربعة عشر الّتي اعترفت بها طالبان، وتعاملتُ مباشرةً مع أمير المُؤمِنِين، وبدأتُ من خلال مركز اتَّخذتُه في مُعَسْكَرٍ أنشأتُه في إحدى القُطعات العسكريّة التَّابعة لطالبان، ومن خلال عشرات اللِّقَاءَات الّتي عقدتها في بيتي أو في بعض الأمكنة الأخرى، في بث هذه الأفكار وتطويرها، وأظنُّ أنَّ الفكرة قد تبلورت عبر تلك النَّشَاطات حتَّى وصلت إلى الصُّورة الّتي سأعرضها في هذا الكتاب.

---

(١) الشَّيْخ الشهيد القائد محمد عاطف المصري أو صبحي محمد أبو ستة الجوهري المعروف أيضاً باسم أبو حفص المصري، الملقب: بالكومندان، من مواليد المنيا 17 يناير عام ١٩٥٨م، وقد كان القائد العسكري لتنظيم القاعدة وأحد أبرز المؤسسين، ولمدة من الزَّمن كان النائب للشيخ أسامة رحمهما الله، وقد خطط وشارك في العديد من الضربات المباركة لصروح الكفر على مدى ٢٥ سنة قضاها مجاهدًا إلى أن قتل في غارةٍ أمريكيّةٍ بلا طيار في نوفمبر تشرين الثاني ٢٠٠١م على ثرى أفغانستان.

وكان من أهمّ تلك الدَّورات الّتي اشتملت عَلى تفاصيل هذه الأفكار من النَّاحيَة الإيديولوجيَّة والحَركيّة، تلك الّتي سجَّلتها ونشرتها في أوساط المُجَاهدين العَرَب وبعض المُجَاهدين من وسط آسيا، وهي حسب تسلسلها الزَّمني كما يلي:

أولاً: (واقع المُسلِمِين الأزمة والمخرج) وهي في ٧ أشرطة (٩٠ دقيقة).

ثانياً: (الجِهَاد هو الحلّ، لماذا ؟ وكيف؟) وهي في ٢١ شريط (٩٠ دقيقة).

ثالثاً: (المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة) وهي في ١٠ أشرطة (٩٠ دقيقة).

رابعاً: (سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة: الدّعوة – الطَّريقة –المنهج) وقد سُجِّلت على ٦ أشرطة فيديو (٣ ساعات) أي نحو ١٦ ساعة.

وأهم هذه المحاضرات من حيث شرح الدّعوة والطَّريقة هيَ أشرطة الفيديو، وقد سجلت بتاريخ ٢٠ أغسطس ٢٠٠٠م، وأمّا أوسعها من حيث المقدِّمات الفكريّة والسّياسيّة الشَّرعيَّة، فهي مجموعة محاضرات (الجِهَاد هو الحل)، وقد سجلت في سِبتَمبر ١٩٩٩م في معسكرنا الّذي دعوته (مُعَسْكَر الغُرَباء) والّذي أقيم في قاعدة (قرغة) العسكريّة التَّابعة لطالبان قرب كابل.

كما تبعثرت كثير من أفكار هذه المادّة في نحو ٦٠ شريط كاسيت في مختلف المواضيع عبر دُروس ألقيتها خلال تلك الفترة، وكذلك في خمسة أبحاث تقع في نحو ٥٠٠ صفحة نشرتها آنذاك، وكذلك من خلال مجلة غير دوريَّة أصدرتها بعنوان (قضايا الظَّاهِرين عَلى الحقّ)، حيث كانَ هذا مجمل الإنتاج الفكريّ الّذي قدَّمته خلال الفترة (١٩٩٧ – ٢٠٠١م).

ورغم الجهود الّتي بذلناها – مجموعة مُعَسْكَر الغُرَباء – فقد حالت الظّروف العامّة المتعلقة بوضع المُجَاهدين العَرَب والطَّالِبَان في أفغانستان، ثمّ ما تلا من تداعيات سِبتَمبر وسقوط الإمارة، دون أن أضع هذه الأفكار موضع التَّنفيذ، وهو ما حاولته فعلاً منذُ إنشاء المُعَسْكَر، إلا أَنّي أعتقد أنه قد كانَ في هذا الإنتاج المفصَّل عرضاً وافياً لتلك الأفكار الّتي اقتنعت بضرورتها لوضع منهج وأسلوب عملٍ جديدٍ، من أجل هذه المُوَاجَهة العَالَمِيّة الّتي نخوضُها، ولعلّ الله يُتيح لنا فرصةً فنَستَأنفُ المَسير، وهو ما أفعله الآن، وأَوّل ذلك نشر هذا الكتاب، أو يعيننا عَلى تسليم هذه الرّاية لمن يُقَيِّضُهم لها من بعدنا من المُجَاهدين

في سبيله عَلى طريق الظَّاهِرين عَلى الحَقّ في هذا الزّمان إن شاء الله، فيكون في مثل هذه الكتابات أداءٌ لجزءٍ مِنَ أمانة.

وفيما كنت أحاول وضع كتاب يجمع هذه الأفكار بصورتها النّهائيّة في كابل، جاءت أحداث سِبتَمبر ٢٠٠١م وما تلا من تداعياتها في أفغانستان وباكستان، لندخل في سياق الحدث، ولينتهي بنا المطاف حاليّاً في مرحلة الشَّتَات والتَّشريد والاختفاء، حيث أضع اللَّمسات الأخيرة لهذا الكتاب الآن، في مخبأنا الجبليِّ الجميل.

****

المَرحَلَة الخامسة:

باكستان (٢٠٠٢م – ٢٠٠٣م) تداعيات أحداث سِبتَمبر ٢٠٠١م

زادتني تداعيات أحداث الحادي عشر من سِبتَمبر ٢٠٠١، وزخم رَدَّة الفعل الأمريكيّة والهجمة الغربيّة الصّليبيّة المبرمجة مع التَّوجُّه اليَهُوْدي العَالَمِيّ المتعاون مع قوى الرِّدَّة وأجهزة النِّفَاق في عالمنا العربيّ والإِسْلَاميّ، زادتني بل ملأتني قناعة بما كنت قد تَوَصَّلتُ إليه من أفكار حول أسلوب المُوَاجَهة اللازم لهذه الحَرب العَالَمِيّة، الّتي بدأت بقيادة أمريكا للنّظام العَالَمِيّ الجَدِيد وحملتها الصّليبيّة مع التَّحالف الدّولي في مطلع ١٩٩١م عَلى جَزِيرَة العَرَب والعراق، والَّتي تدرَّجت حتَّى انفجرت واستعلنت بعد أحداث ١١ سِبتَمبر بكل صفاقة، لتشمل كافّة العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، بل كافّة المعمورة كساحة حرب مع الإِسْلَام والمُسلِمين حيثما وُجدوا، ضمن برنامج اجتثاثٍ شاملٍ قائمٍ عَلى المفهومِ الصَّليبيّ اليَهُوْديِّ لِصِرَاعِ الحَضارات الّذي تبنَّته أمريكا والغرب الّذي يلهث وراءها.

وقد أصبحت شواهد ذلك في وسائل الإعلام مادَّة يوميَّة، حتَّى عَلى لسان الأمريكيّين أنفسهم، وكم تعجّبت من صراحةِ (جفريى سترابنبرغ) وهو صحفيٌّ ومحلِّلٌ سياسيٌّ من الحزب الدِّيمقراطيِّ في أمريكا، في مقابلة خطيرة الفحوى، أجراها مع الفضائيَّة السوريّة في (شهر يوليو ٢٠٠٢م) وكان من خُلاصة ماجاء فيها:

[أنَّ هناك كارثةٌ مقبلةٌ عَلى أمريكا والبَشريَّة بسبب السِّياسات الّتي يتبناها الحزب الجُمهُوريّ بزعامة بوش، والَّتي تتضمَّن مبدأ صِرَاع الحضارات الّذي بُني عَلى فلسفات (كيسنجر) و(هينينغتون) و(نيكسون) وغيرهم، وأنّهم يبنون أفكارهم عَلى مبدأ سيطرة العنصر الأبيض المسيحيِّ عَلى الملوَّنين في الأرض، ويعتقدون أنَّه قد حان الوقت لقيام إمبراطُوريَّة عَالَمِيّة بزعامة أمريكا، وأنهم يخطِّطون في سبيل ذلك لوقف التَّقدم الصِّناعيّ للدُّول النَّامية، ولنشر الأوبئة والأمراض من أجل التَّطهير العرقيّ للقضاء عَلى ٨٠٪ من السّكّان غير البيض في الأرض!

وأنَّ القضية أكبر من مسألة إزاحة الحكومة العِرَاقيَّة، أو زعم إحلال الاستقرار في الشّرق الأوسط، وقال بأن الولايات المتَّحدة عَلى أعتاب انهيارٍ ماليٍّ واقتصاديٍّ عالميٍّ، بسبب نشاطها العسكريّ العدوانيّ في كثيرٍ من المناطق، وأنّ بوش يحاول أن يمنع إفلاس الشّركات الأمريكيّة الكُبرى، فَسَنَّ من أجل ذلك تشريعاتٍ اقتصاديَّةٍ غير مدروسة العواقب، ووضع الضَّرائب والرُّسوم عَلى الاستيراد حتَّى من الدّول الحليفة لأمريكا، فأوجد مشاعر هستيريّة ضدّ أمريكا في الدّول الأخرى، وختم قوله بأنّ هناك كارثة مقبلة بسبب سياسات بوش ستحلُّ قريباً بأمريكا والعالم، خلال أُسبوع، أو خلالَ سنة أو أكثر أو أقلّ، المُهمُّ أنّها قريبةٌ].

إن شواهد ما يحدث اليَوْم تدعم إلى حدٍّ كبير التَّوصيف الّذي عرضناه لطبيعة المُوَاجَهة بيننا وبين الرُّوم المعاصرين بقيادة أمريكا، بحيث لم تعد تحتاج الدّعوة إلى المُقاوَمة وفق هذه التصوُّرات، إلى أي عناء من أجل الإقناع، فقد قام العدوّ وحلفاؤه بتقديم كلّ الشواهد والدَّوافع اللازمة لإحداث القناعة بالمُقاوَمة، حيث قدَّمها بكل شراسة وعدوانيَّة، بحيث تحمل أكثر الشَّرائح مسالمةً وقعوداً في الأُمّة الإِسْلَاميّة عَلى التَّفكير في المُوَاجَهة، ممَّا يُسهِّل والله أعلم مهمَّة الدَّاعين إلى الجِهَاد والمُقاوَمة العَالَمِيّة الشّاملة ضدّ هذا العدوّ.

أثبتَ الواقع الجَدِيد - الّذي سأفصّله في هذا البحث - بل فرض اتجاه المَعْرَكة الوحيد، وعدم جدوى بل عدم إمكانيّة الاتجاه بإحداث صراعات جهاديّة قطريّة محدودة، لقد تدولت المَعْرَكة بعد سِبتَمبر ٢٠٠١م وغزو أفغانستان ثمّ العراق ٢٠٠٣م واستعداد العدوّ لما بعدها، حيث فرض العدوّ نفسه عَلى كامل ساحاتها دفاعاً عن مصالِحه وحلفائه، هذا ناهيك عن تحطّم أو تفكُّك معظم إن لم يكُن كافّة البُنَى والتَّنظيمات الجهاديّة المحليَّة بسبب هذه الحملة الطَّاغية، والإمكانيَّات غير المتكافئة نهَائِيَّاً لأطراف المَعْرَكة، وأظنُّ أنَّ في هذا الواقع الجهاديّ الجَدِيد ما يُغني عن كثرةِ النِّقاشِ لإقناع من تبقَّى من الكوادر والكيانات الجهاديّة بضرورة تغيير طريقة التَّفكير والعمل وفق الاتِّجاه الجَدِيد للمعركة.

أحدث لديَّ التَّفكير في إرهاصات وتداعيات أحداث سِبتَمبر تطويراً محدوداً ومهمّاً عَلى بعض الأفكار سأثبتها خلال البحث في مناسباتها مُشِيراً إلى ذلك إن شاء الله.

أعتقدُ باختصارٍ أنَّ أحداث سِبتَمبر وما تلاها من أحداث عالميّة قد أدخلتنا ربما في تسلسلاتِ أحداثِ الملاحمِ والفِتن الّتي أخبرنا عنها رسول الله ﷺ والله أعلم، وهاهو العالم يسير نحو أن يمتلئ جوراً وظلماً بإشراف أمريكا وأسيادها اليَهُوْد وحلفائهم من الصّليبيّن والمرتدّين والمُنَافِقين، **وهاهم المُؤمِنُون المُجَاهدون غُرَباء مشرَّدون في الأرض لا يجدون ملجأً يأوُون إليه، يفرّون بدينهم من قرية إلى أُخرى، تماماً كما أخبر ﷺ، وقد تكون الأمور تسير نحو انحصار الثُّلة المؤمنة**، وفي كثيرٍ مما يجري شواهد قد أخبرت بها آثار السّنة بل وحتى بعض الآثار الواردة في بعض كتب أهل الكتاب، وها هو ميزان القوى يختلّ بشكل صارخ بيننا وبين أعدائنا، ابتلاءً للثلّة المؤمنة وفتنةً للزائغين عن هدي شريعة الله من المنتسبين لهذا الدّين، بحيث تمتلئ الأرض جوراً وظلماً وتتداعى الأحداث نحو ظهور المهديِّ عليه السلام ليقود مسيرة المُوَاجَهة وليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن مُلئت جوراً وظلماً، وقد تكون الخيارات أمام العصبة المؤمنة الآن محصورة بالصّبر والصُّمُود والتَّضحِيَة والثّبَات والتَّقدم بإيمان ورسوخِ قدمٍ نحوَ الأخدود، وأنّ علينا الثّبات حتَّى نكون أو ذرارينا المُصَابرة تحت رايةِ القِسط والعَدل بعد ذلك وفي وقت ليس ببعيدٍ إن شاء الله، **ولكن فريضة الجِهَاد الماضية إلى قيام السَّاعة، واستمراريَّة الطَّائِفَة الظَّاهِرة عَلى الحقّ تُقاتل عَلى هذا الدّين منصورين لا يضرُّهُم من خذلهم ولا من خالفهم حتَّى يقاتل آخرهم المَسِيح الدَّجّال، هو أمرٌ ثابتٌ في ديننا، فإذا كانَ علينا أن نسعى أن نكون من هذه الطَّائِفَة ونتابع حمل الرّاية وتسليمها من جيلٍ إلى جيلٍ، ومن طائفةٍ إلى طائفةٍ، فإنّي أعتقدُ أنّ الخيارات العمليّة قد أصبحت محصورةً بحكم الوضع القائم لدينا، بحيث أنّه لم يعد أمامنا إلا المُقاوَمة بحسب طرق من قبيل هذه الّتي سأطرحها في هذا الكتاب، سعياً إلى قيام (مقاومةٍ إسلاميّةٍ عالميّة) شاملةٍ لهذا العُدوان، وأنّ الأمر أكبر من أن يقع عَلى عاتق النُّخبَة من هذه الأُمّة.**

لقد كانَ الهجوم المظفّر للشهداء الأبرار التِّسعة عشر عَلى عقر دار الكفر والطّغيان أمريكا، وذلك بضربها في صميم منشآتها الاقتصاديَّة والعسكريّة، عملاً جبَّاراً وتاريخيّاً بكل المقاييس، فرحمهم الله وأجزلَ مثوبتهم ومثوبة كلّ من أعدَّ وساعد في إخراج وتنفيذ هذا العمل القدريِّ الفذِّ.

وبصرف النَّظر عن بعض الحيثيَّات المتعلِّقة بملابسات إطلاق الحدث، والظُّروف الّتي سبقته خاصّةً في أفغانستان، عَلى صعيدِ طالبان، وعلى صعيد التَّجمُّع الجهاديّ العربيّ في أفغانستان، وكذلك بصرف النَّظر عن تداعيات الحدث وطبيعة الْمُوَاجَهة الّتي حصلت منْ بعده وطريقة إدارتها، لاسيَّما في أفغانستان ومن ثمّ باكستان، وهي حيثيَّاتٌ جديرةٌ بالبحث والتّأريخ واستخلاصِ العبرِ والدُّروسِ، وهي أمورٌ لا محلَّ لتفصيلها هنا لخروجها عن موضوع هذا الكتاب، وسيأتي بعض أطرافها في ثنايا هذا الكتاب إن شاء الله، بصرف النَّظر عن ذلك يمكن القول بأنَّ توجُّه الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن حفظه الله قد وضع المَعْرَكة بهذا الشّكل في مسارها الصَّحِيح، وذلك بفرض الْمُوَاجَهة بيننا وبين عدوّنا الحقيقي الداعم من وراء السِّتار لكافة أعدائنا، في كلّ ساحات الْمُوَاجَهة الّتي نخوضها، بدءاً من صراعنا مع اليَهُوْد في فِلَسطِين، ومروراً بكل مواجهاتنا مع حكّامنا المرتدّين المدعومين من قبل أمريكا وحلفائها، فجزاه الله خيراً.

والأمر ذو العلاقة بين تداعيات سِبتَمبر وأفكار كتابنا هٰذا، هو أنّنا إذا سلمنا بهذه المقدِّمة عن حربٍ واقعةٍ ومفروضةٍ من العدوِّ علينا، فسنسلِّم إذاً وفق مُقتضيات ديننا الحنيف بأنّ علينا الْمُوَاجَهة، وأنّ جِهَاد الدَّفع قد صار فرضُ عينٍ عَلى الْمُسلِمِين، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة]، وقال تَعَالَى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ [البقرة: ١٩١]. فإذا كنّا سنُواجه، فلابد من خسائر في هذه الحَرب العَالَمِيّة، ويجب أن يكون واضِحاً أمامَ من يُريد الجِهَاد، أنّ من أهمّ ذلك مسألةُ (اختيار أسلوب الْمُوَاجَهة)، فإمّا أن ندخل المَعْرَكة وفق تصوُّرات العدوّ باستنزافنا جزئيّاً هنا وهناك، وتحطيم طاقاتنا بالصِّرَاع مع الحكَّام المرتدّين ومَنْ تَبِعَهُم من الْمُنَافِقين والْمُكرَهين والجاهلين من جُيُوشهم ورجال أَمنِهم، وهذا ما فعلناه عبر أكثر من ثلاثين سنة، وعبر عشرات التَّجَارب الفاشلة الباهظة التَّكاليف، وإما أن نوجّه المَعْرَكة نحو العدوّ الأساسيّ والمحرك لكل أعدائنا المحلّيين، وأعني الثَّالوث الخبيث (إسرائيل – أمريكا – أوروبّا النّاتو)، ولا شَّكَّ الآن، أن المنطق والواقع يثبت أن التوجه لهَؤُلَاءِ أجدى، ويتضمّن تبعاً إقناع الْمُسلِمِين بحرب الحكّام المرتدّين وطابور النِّفَاق معهم الْمُوالين لهَؤُلَاءِ الكفرة الغُزَاة، لأنَّهم سَيدخُلُون المَعْرَكة إلى جانب أمريكا

واليَهُوْد بحكم واقعهم وحرصهم عَلى عُرُوشِهم، فالَمعْرَكةُ معَ اليَهُوْدِ وأمريكا وأوروبّا النّاتو مفروضة، ولا بُدَّ من تحمُّل نتائِجِها كما قَالَ الشَّاعِرُ(١):

إذا لَمْ يَكنْ مِنَ الموتِ بُدٌّ فمنَ العارِ أن تموتَ جَبَاناً

فباختصارٍ:

إنّ حرب المُسلِمِين اليَوْم مع اليَهُوْد وأمريكا وأوروبّا النّاتو، وحلفائهم المرتدّين والمُنَافِقين في بلادنا، سيكون ثمنها فادحاً، في أمّة طال رُقادها، وطال قُعُودُها، وطال انغماسُ أكثرها في الدُّنيَا، وطال دبيبُ الوهن من حبِّ الدُّنيَا وكَرَاهِيةُ الموت في أوصال خاصّتها وعامّتها، وطال ركون أكثر علمائها عَلى موائد سلاطينها.

ولابدّ أنّ نبضة الحياة، وميلاد النّهضة سيتبعه مخاضٌ عسيرٌ، فلا يهولنَّ الثَّمن أمَّةً وشباباً قَالَ الله تَعَالَى لهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة].

ومع ذلك لا بُدَّ من القول تنبيها عَلى واقع يحتاج إِلى وضع أسس تفصيليّة عقديّة وعسكريّة وإعلاميَّة وحركيّة لهذه المُوَاجَهة، كي تدخلها الأُمّة بأفضل الصُّور ، لقد أحسن الشَّيْخ أُسَامَة اختيار طبيعة المَعْرَكة وتحديد العدوّ، فقد وُفّق – بحسب رأيي – لاختيار مفتاح الصِّرَاع والمُوَاجَهة، كما أحسن القائمون عَلى تنفيذ هجمات سِبتَمبر صناعة صاعقِ الانفجار، وابتدؤُوا المَعْرَكة بهجومٍ ظافرٍ كبَّد العدوّ خسائر فادحة، وجعل المُسلِمِين يبتدئون المبادرة المُذهلة، إلّا أنّي أعتقد أنَّ الأُمّة الإِسْلَامية بكامل طاقاتها ما تزال غائبة عن المَعْرَكة، رغم أنَّها هيَ المعنيَّة أساساً بهذا الجِهَاد ومادَّته، وأنَّ ساحة المُوَاجَهة ما تزال معطَّلة، إذ أنَّ ساحتها الحقيقيَّة هيَ بلاد المُسلِمِين، حيث نزلت مختلف أشكال صائل اليَهُوْد والنّصَارى وأعوانهم من المرتدّين والمُنَافِقين، وأن عَلى المشرفين عَلى الصّحوة الجهاديّة لهذه الأُمّة من الجهاديّين جميعاً أن يعملوا

---

(١) الشاعر: أبو الطيب المتنبّي، ولفظه في ديوانه : "فمن العجز أن تموت جبانا".

يقول الله تَعَالَى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾ [النساء] ليقوم المُؤمِنُون – كلّ المُؤمِنِين – بمهمّة الدَّفع الأساسيّة.

لقد أُحسن اختيار اتّجاه المَعْرَكة، ولكن لا يزال أمامنا الكثير من الجهد في مجال الدّعوة والبيان وتحريض المُؤمِنِين، لوضع المَعْرَكة إدارةً وتنفيذاً في ميدانها ومجالها الصَّحِيح، كي نستعيد زمام المبادرة الّذي استردَّتْهُ أمريكا بعد أحداث سِبتَمبر، وما زال في يدها إلى الآن.

ومهما يكن من أمر المواقف والآراء في الصفِّ الإِسْلَاميّ والجهاديّ من أحداث سِبتَمبر، فإن من المسلم به أنّها قد أوجدت واقعاً جديداً، يشكّل بفعل الهجمة الأمريكيّة حملة طاغية تحتاج منا إلى مُوَاجَهة، وصرف الاهتمام لذلك، وهو خيرٌ ولا شَّكَّ من إضاعة الوقت، في التَّلاوم وتجاذب الآراء حول الأحداث وملابساتها وفاعليها، فقد وصلت المَعْرَكة لأن تكون معركة مصير نكون معها أو لا نكون.

****

المَرحَلَة السَّادسة:

احتلال أمريكا للعراق والحملة الصّليبيّة الصّهيونيّة عَلى الشّرق الأوسط

(٢٠٠٣م – ٢٠٠٤م)

ثمّ حصل ما هو معروف من زحف الأمريكان وحلفائهم الإنجليز عَلى العراق، حيث نفّذوا فيها خُطّة شبيهةً بالّتي فعلوها في أفغانستان، واستطاعوا في مدّة قياسيَّة تدمير الجيش العراقيّ وتفكيك وحداته، ودخول بغداد الّتي كانَ من قَدَرِها أن تسقط للمرة الثّانية تحت سنابك المغول، المغول الجُدد من الرُّوم المُعَاصِرين الّذين لم يكونوا أقل بربريّةً من أسلافهم الّذين قَدِموا معَ (هولاكو).

وموضوع هذه الحملة واحتلال العراق وإرهاصاته وتفاصيل يوميَّاته والغوص في تحليل أحداثه ودروسه موضوع كبير ليس محله هذا الكتاب، ولكنّي ألفت النَّظر إلى ماله علاقة بتبلور أفكار كتابنا هذا وما سأطرحه فيه من نظَريَّات عملٍ جهاديّةٍ من أجل قيام (مقاومةٍ إسلاميّةٍ عالميّةٍ) وأهمّ ذلك في نقاط موجزة:

أهمّ أسباب انتصار الأمريكان في (أفغانستان / العراق):

١. الاعتماد عَلى قوى عميلة محليَّة تعمل بإمرتها عَلى الأرض.
٢. الاعتماد عَلى عزل البلد الفريسة عن جِوَاره، وتحييد ذلك الجوار، أو الاعتماد عليه كنقطة انطلاق تقدّم الخدمات اللّوجستيّة لقوَّاتها.
٣. الاعتماد عَلى التّفوّق الجويّ والصّاروخيّ السّاحق في تدمير كلّ هدف معادٍ عَلى الأرض في ساحة الحدث.
٤. الاستعداد لارتكاب المجازر في المدنيّين من أجل تحقيق الأهداف العسكريّة والضّرب بكلّ أشكال الرَّأي العامِّ بعرض الحائط.

٥. تجاوز المجتمع الدّولي وكل رأي معارضٍ وإخضاعِهم لبرنامجها بالتّرغيب أو التّرهيب أو الإهمال، بعد أن أصبحت أمريكا فعلاً قطباً أوحداً في الدُّنيَا، تتحكّم في سياسات الدّول وتخضعها لمصلحتها.

٦. تحوُّل الشّعوب الإِسْلَاميّة إلى مجرّد مشاهدين للأحداث عجزة، بعد أن أخرجهم حكّامهم وعلماؤهم من دائرة الصِّرَاع والفعل.

تبع انتصارَ أمريكا في أفغانستان وقضائها عَلى القوّة العسكريّة لطالبان ولفصائل المُجَاهدين العَرَب والمُسلِمين من القَاعِدَة وغيرها في أفغانستان، وكذلك انتصارَها في العراق، مطاردةٌ عسكريّة وأمنيّة لكلِّ بؤرةٍ يُتَوَقّعُ منها المُقاوَمة للوجود الأمريكيّ عاجلاً أم آجلاً، وكان من أهمّ ذلك تدمير مواقع جماعة أنصار الإِسْلَام الكرديّة في منطقة (خور مال) شمال شرق العراق عَلى الحدود الإيرانيَّة، باستخدام نفس الطَّريقةِ الّتي دمّرت بها مواقع القَاعِدَة والمُجَاهدين العَرَب في (توره بوره) في أفغانستان، وذلك بالقصف الجويّ والصارُوخيّ العنيف والمُركّز، وزحفِ الميليشيات الكرديّة المحليَّة العميلة للقضاء عَلى من تبقّى من المُجَاهدين عَلى الأرض، ثُمّ أسر من يمكن أسرُه من النّاجين عبرَ الحُدود في الدّولة المُجاورة من خلال الاتّفاقات والمؤامرات الدّولية.

وكذلك تمَّ تدمير وتصفية مواقع تجمُّعات جهاديّة في (جبال حطاط) في اليمن بالاعتماد عَلى الجيش والأمن اليمنيّ عن طريق القصف الجويّ، ثمّ الزَّحف عَلى المواقع.

ثمّ تابعت أمريكا هذه الطَّريقة في كلّ بؤرة علنيّة يجتمع فيها مُجَاهدون مناوئون لأمريكا، وبالإضافة لهذا اعتمدت أمريكا نهج المطاردات الأمنيّة الّتي صفّت من خلالها تنظيماتٍ وخلايا سريّةٍ جهاديّةٍ أُخرى في أماكن كثيرةٍ، بالتّعاون مع أجهزة الأمن المحليَّة كما حصل في السّعُودِيّة والمغرب وإندونيسيا وبعض دول شرق آسيا.

وقد أكد لي تحليل هذه التَّجَارب الّتي عايشتها ميدانيّاً في أفغانستان بعيد سِبتَمبر ٢٠٠١م، وتقصَّيتُ ماجرى بعد ذلك عبر المُتابعة المركَّزة المستمرَّة؛ ما كنت قد تَوَصَّلت إليه من أفكار ونظريّات المُقاوَمة عبر السَنَوات العشر الماضية والَّتي ضمَّنتُها هذا الكتاب وخُلاصة ذلك، والله أعلم :

أولاً: لا يمكن المُوَاجَهة مع أمريكا أو أيّ من حلفائها عسكريّاً بصورةٍ مكشوفةٍ طَالَمَا توفّر لديها هذه السّيطرة التَّامَّة عَلى الأجواء بهذه القدرات التّكنولوجِيَّة السَّاحقَة، خُصُوصَاً مع وجود قوىً عميلة تعمل بإدارتها عَلى الأرض، وتحاصر تلك البؤر الجهاديّة، وتشارك في الزَّحف عليها، وقد أثبتت (توره بوره - أفغانستان) ٢٠٠١م و(خورمال - العراق) ٢٠٠٣م و (جبال حطاط - اليمن) ٢٠٠٣م، ثمّ ما يجري في الفلوجة وأنا أصحّح هذه السُّطُور (نوفمبر ٢٠٠٤م)، ما كانَ قد ثبت ذلك في تجارب المُوَاجَهة المكشوفة للعِصَابات المُجَاهدة في (حماة / سوريا) ١٩٨٢م، و(طرابلس، وتلّ الزّعتر - بيروت - لبنان) ١٩٨٢م و(النَبطيّة - لبنان) ٢٠٠٠م، مع أنَّ المُجَاهدين واجهوا في تلك التَّجَارب جُيُوشاً بقدرات محليَّة، فما بالك بالطَّاقة العسكريّة الأمريكيّة؟ ومسألة عُقم المُوَاجَهة المكشوفة، من قبل العِصَابات للجُيُوش النّظاميّة المتفوِّقة، أمر معروف قد بحثَتْه معظمُ كتُبِ حُرُوب العِصَابات الدِّراسيَّة.

ثانياً: لا يمكن للتّنظيمات السِّريَّة مُوَاجَهة النُّظمِ الأمنيّة المحليَّةِ للحُكُومَاتِ العميلةِ، بعد قيام التَّنسيق الأمنيّ عَلى مستوىً إقليميٍّ ودوليٍّ في ظلِّ ما بات يُعرف بالحَرب العَالَمِيّة عَلى الإرهَاب، وبإدارة وإشراف أمريكا خاصّة من خلال إتباع الأساليب الكلاسيكيّة القديمة للتّنظيمات السِّريَّة القطريّة ذات البناء الشَّبكيّ الهرميِّ.

ثالثاً: وحيث لا مناصَ ولا مَندُوحةَ عن المُقاوَمة ؛ فإن الأسلوب الوحيد للمُوَاجَهة الّذي يطرح نفسه في ظلّ هذا الواقع، هو أسلوب حرب العِصَابات السِّريّة ذات الخلايا غير المترابطة، الخلايا المتعددة الكثيرة، وهذا ما تبدو ملامح نموذج عنه واضحةً في أعمال المُقاوَمة العِرَاقيَّة - متعددة الأطراف - للقوّات الأمريكيّة، وما أثبتته الإنتفاضة المُسلّحة في فِلَسطِين وغير ذلك من حُرُوب العِصَابات المدنيّة في العالم، وهذا ما حاولتُ الاستفادة من خلاصتِه وإضافَتِها في محلِّها في سياق فصول هذا الكتاب الّذي يطرح نظَريَّاتٍ لتفعيل (دعوةِ المقاومةِ الإِسْلَاميّةِ العَالَمِيّة).

****

وفي نهاية هذا التَّقديم أقول:

لقد دفع كثيرون من شباب الصّحوة والجِهَاد، ممّن نعلمهم ومَنْ لا نعلمهم الثَّمنَ باهظاً في كلّ مكان وطالهم القتلُ والأسرُ والتَّشريدُ عبرَ نحو نصفِ قرنٍ مِنَ الزَّمن قبل أحداث سِبتَمبر، وهم خُلاصة أمَّة الإِسْلَام في هذا العصر.

وأما بعد هجمات سِبتَمبر، فقد استشهد الأبطال التِّسعة عشر وافتتحوا المَعْرَكة باتّجاهها الجَدِيد، فرحمهم الله ورفع درجاتهم وجمعنا وإيَّاهم في عليِّين.

ولقد دفع أميرُ المُؤمِنِين في أفغانستان الملّا محمّد عُمَر والمخلصون من مُجَاهدي الطّالِبَان الثَّمنَ فادِحاً، كي يحافظوا عَلى أمانتهم، ويقوموا بواجبهم في حفظ الإِسْلَام والمُسلِمين وعدم الرُّضُوخ لتهديدات العدوّ، وأخذوا بحظهم من القتل والسّجن والتَّشريد، ودفعت أفغانستان وشعبها كاملاً الثَّمنَ معهم، فتقبّل الله منهم وغفرَ لَنَا ولَهم.

ولقد قدّمت القَاعِدَة كثيراً من رجالها ثمناً لبدء الجولة الحاسمة، ودفع الشَّيْخ أُسَامَة وأعوانه الثَّمن باهظاً وأخذوا بحظِّهم من القتل والأَسر والتَّشريد، تقبّل الله منهم وغفر لنا ولهم، وجمعنا وإيّاهم في مُستقرِّ رحمته.

ولقد قُتل كثيرٌ من كوادر وشباب الجماعات الجهاديّة العربيَّة في أفغانستان في معركة الدّفاع عن الإمارة الإِسْلَاميّة وفي التّصَدّي للهجمة الأمريكيّة العمياء عَلى أفغانستان، ودفع ذلك الرّهطُ المبارك الثَّمنَ باهظاً، وأخذوا بحظِّهم أيضاً من الأسر والقتل والتَّشريد، وهم نُخبة التّيار الجهاديّ وطليعته، تقبَّل الله منهم وغفرَ لنا ولهم وجمعنا وإيَّاهم مع الّذين أنعم الله عليهم.

فلأيِّ هدفٍ ؟ ولأيِّ مُقابل ؟ ولِمَ كانَ هذا العناء كلّه؟

لقد كانَ الهدف هو إيقاظ الأُمّة المخدّرة النّائمة، المغيّبة عن ساحة المُوَاجَهة، لوضعها أمام هذه الفريضة وجهاً لوجهٍ.

وفي هذا البحث الّذي قدّمت له بهذا التَّقديم، نحاولُ أن نعطي دَفعةً، وأن نضع خطوةً عَلى طريق المُهمَّة الكُبرى؛ وهي وضع أسسٍ تساهم في دفع الأُمّة كي تأخذ بدورها في هذه المَعْرَكة القادمة.

وإنّي مُقتنع بأنّ النّصر بيد الله، وأنّ من أوائل أسبابه الّتي يجب أن نوفّرها:

العمل عَلى تحويل هذه المُوَاجَهة لتكون معركة أمّة بعد أن أشعلتها النُّخبَة.

لقد قام التّيار الجهاديّ عبر عقودٍ أربعةٍ بالامتثال لأمر الله تَعَالَى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَ﴾، ويجب عَلى من وقعت عليهم مسؤوليّة الكلمة وأمانة العلم والقلم أن يؤدّوا أمر الآية الثّاني: ﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، كلّ ذلك ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [النساء: ٨٤]

نعم: نحن نمرّ الآن بأصعب الظّروف، ونعيش قمّة البَلاء، لقد قُتِل خيرةُ إخواننا، وأُسر نُخبة شَبابنا، وتشرّدت بقيّتنا تتخطّفها الذّئاب الخَائِنة المتربّصة من حُكُومَات الرِّدَّة وأعوانها ومخابراتها وعملائها المُنَافِقين هنا وهناك، ولكننا نعلم عِلمَ اليقين أنّ الله ناصر دينه وحزبه لا محالةَ، وأنَّ بُشرى انتصارنا وصولاً إلى فتحِ رُومَا حاصلٌ كما بشر رسوله ﷺ لا محالةَ.

ولعلّ المنكوسين من أبناء أمّتنا لا يصدِّقون هذه الحقائق الشَّرعيَّة، والبشائر النّبويّة، ولكنّ قيادات أعدائنا وكبار أحبارهم ورُهبانهم يعرفُونها كما يعرفُون أبناءهم، وهم يجمعون الجُموع الآن محاولةً منهم لتجنّبِ هذا المصيرِ، محاولةِ الطّفلِ الّذي يُحاولُ أن يحجبَ نورَ الشّمسِ بكفِّهِ الصّغيرةِ.

إنّه جهدُ الّذين ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢﴾ [التوبة]، إنّهم يعرفون أنّ نجم حضارتهم قد أَفَلَ، وأنّ شمسَ حضارتنا قد بَزَغَ فجرُها.

فرحمَ الله شُهداء المُجَاهدين في كلّ مكان فقد أعذروا.

ورحم الله أسرى المُسلِمِين وفرّج عنهم فقد أعذروا.

وأعان الله كلّ مشرّدٍ في سبيله مِمَّن أبلوا وأعذروا.

وتقبّل الله من كلّ الّذين ساعدوا وآووا ونصروا.

وليسمعها منا كلّ محبٍ مناصرٍ يبهجه نكاية أعداء الله، وليسمعها أيضاً كلّ منكوسٍ مرجفٍ لا يؤمن بموعودِ الله.

وليسمعها القاعدون الجبناء الّذين لا يريدون للرّجال من هذه الأُمّة أن يتصدّوا لأعداء الله حتَّى لا يتعكّر صفوَ سكونِ المَراغة الّتي يتلبّطُون فيها بينَ أوحال الدُّنيَا، وفي طليعتهم علماء النِّفَاق وفقهاء البنتاغون.

وليَسْمَعْهَا كلّ أعدائنا ومَنْ خلْفهم ومَنْ أمامهم ومَنْ مَعهم:

فليس بيننا وبين أعدائنا، كلّ أعدائنا مِن اليَهُوْد والنّصَارى وحلفائهم الكفّار، وأعوانهم من المرتدّين والمُنَافِقين في بلادنا إلا قولُ الله تَعَالَى:

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾ [محمد: ٤]

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال]

فإلى كلّ مبلّغ عنّا أمريكا ومن في حِلفها:

﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [النمل]

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج]

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت]

فقد سبقَ القدرُ بقول الحَقّ:

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة]

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر]

****

مع الفهرس ومنطق فصول الكتاب وسلسلة

﴿رسائل المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة﴾

كما أسلفت فإن هذا الكتاب قد وُضِعَ لإعطاء تصوُّر يُساهم في حلّ الإشكاليّة العظمى الّتي يعيشها المُسلِمُون في هذا الزّمان، وهي الإجابة عَلى سؤال هامٍّ وهو:

كيف نُواجه أعدائنا الصّليبيّيّن المتهوِّدين الجدد فيما نستقبل من أيّام ؟

فإنه لا يشكُّ عاقلٌ مبصر أنّنا بصفتنا مُسلِمِين نعيشُ في أزمة، بل أزَمَات من كلّ الأنواع والأَشكال، وأنّ الصّحوة الإِسْلَاميّة الّتي نشأت لتتصدَّى لحلِّ هذه الإشكالات انتهت جميع مدارسها إلى أزمةٍ بل إلى أزَمَات، وأنَّ الشَّريحة الجهاديّة المُسلّحة من هذه الصّحوة والَّتي اتَّخذت طريقَ الجِهَادِ لحلِّ تلك الإشكاليَّات، قد وصلت لأسباب تتعلق بها ولحصار العدوّ لها إلى أزمةٍ، بل إلى أزَمَات.

ونحن بصفتنا أصوليّين ومُجَاهدين، نمرّ هذه الأيّام في عنق زجاجة الأزَمَات عَلى كافّة الأصعدة، بل لقد أصبحنا بعد أحداث الحادي عشر من سِبتَمبر، أصبحنا نُقدَّمُ في وسائلِ الإعلام عَلى أنّنا نمثل الأزمة، الّتي يتصدى لها كلّ العالم.

لقد فرضتنا أجهزةُ إعلام العدوّ، والأجهزة التَّابعة لها في عالمنا العربيّ والإِسْلَاميّ وقدَّمتنا للنَّاس بصفتنا أزمةُ العالم الّتي يجب أن تُزال! بل لقد أصبح كثيرٌ من علماءِ المُسلِمِين يتناولوننا عَلى منابر خطبِ الجمعةِ حتَّى في المَسجِدِ الحرامِ بصفتِنا (الأزمة) وصار **الحبر السَّمين، الإِمَام المَنفُوخ (السُّدَيْسُ)**[1]، يدعو في قنوت ختم القرآن (رمضان ٢٠٠٤م) **لدول العالم كافّة**، والإِسْلَاميّة خاصّة بالسَّلامة من الإِرهَاب، ويدعو عَلى المُجَاهدين بالهلاك والمَحق والتشتت!! وكذلك صحفٌ ووسائلُ خطابٍ كثير من أقطاب

---

(١) عبدالرحمن السديس قارئٌ مشهور وإمام المَسجِد الحرام وله كثيرٌ من المواقف المماثلة ولعل أشهرها دعاءه لبرويز مشرف رئيس باكستان (الاسماعيليّ الباطنيّ) أثناء قصفه لمدرسة حفصة والمسجد الأحمر(لال مسجد) وقتله لطالبات الشريعة العفيفات الطَّاهرات ٢٠٠٦م ، ومؤخرا له مواقف مخزية ومردية مع طاغوت الجزيرة محمد بن سلمان.

الصّحوة الإِسْلَاميّة وجماعاتها، تتناولُنَا اليَوْمَ بنفسِ المنظُور، ومُبرِّرُهم في ذلك أنّنا بحملنا السّلاح عَلى حكّامنا عبر أربعة عقود أوجدنا الأزمة، وبتصدِّينا اليَوْمّ للأمريكان وحلفائهم وضعناهم والمُسلِمين أمام صِدَامٍ غير متكافئٍ وجعلناهم وسط الأزمة، هذا ناهيك عن كثيرٍ من عوامِّ المُسلِمِين الّذين أقنعتهم آلةُ الإعلام العَالَمِيّة والمحليَّة بأنّنا نُمثِّل الإشكال والأزمة.

وهذا البحث تتقاسم فصوله الرَّئيسيَّة مهمّة إثبات حقيقةً، والإجابةُ عَلى سؤالين.

أما الحقيقةُ فهي أنّ الجِهَاد المُسلّح (المُقاوَمة) هو الحلّ لكافّة أزَمَاتنا هذه، أزَمَاتنا كمُجَاهدين، وكَصَحوة إسلاميّة، وكَشُعوب مُسلِمة.

وقد تولّت الفُصول من الأوّل إلى الخَامس إثبات هذه الحقيقة، وأما السّؤال الأوّل فهو: لماذا فشلت مشاريعُ الجِهَاد الّتي قُمنا بها عَلى مدى أربعةِ عقودٍ، رغمَ أنَّ الجِهَاد هو الحلّ ؟ وقد تولَّى الفَصلان السَّادس والسَّابع معالجة هذا السّؤال.

وأمَّا السّؤالُ الجوهريُّ الثّاني والّذي عُقِدَ البحثُ لأجله، فهو كيفَ نُجاهد أعداءنا فيما نَستقبِلُ منْ أيّامٍ ؟ كيف نجاهِدُهم بأساليبَ نرجوا فيها نصرَ الله تَعَالَى.

كيف نُجاهد أعداءنا في عالَمِ ما بعد سِبتَمبر؟

وقد بُنِيَ منطقُ البحث في الكتاب عَلى أن يقدِّم كلّ فصلٍ للّذي يليه، ويكون بمثابة تمهيدً منطقيٍّ له وصولاً إلى الفَصل الثَّامن الّذي نُفصِّل فيه الطَّريقة الّتي نعتقد جدواها لمتابعة الجِهَاد ونحن نَستقبلُ القرن الحادي والعشرين، الّذي زعموا أنّه سيكون قرناً أمريكيّاً!

وقد مهّدنا للبحث بنبذة عن الغُربة والغُرَباء وطائفة الظَّاهِرين عَلى الحقّ الّذين يُقاتِلون عَلى هذا الدّين إلى قيام السَّاعة، وهي في اعتقادنا حالُ من حملَ همَّ الجِهَاد عبر هذه العقود المنصرمة، وكذلك جيل الجِهَاد القادم الّذي نريد أن نسلِّمه راية الجِهَاد وأمانته، فقد شرحتْ هذه المقدِّمةُ خصائصَ الغُربة وسمات أصحابها وما يعتريهم من البلاء في الدُّنيَا وما ينتظرهم من الأجر عند الله في الآخرة، وكذلك خصائص وسماتِ الظَّاهِرينَ عَلى الحَقِّ.

وأما الفَصلُ الأوّل:

فهو مُرتكز البحث كما هو مُرتكز كلّ فتوى ودعوى (الواقع)، واقع المُسلِمِين اليَوْم بعد ما سيطر أعداؤهم عليهم، وأسلموا قيادَهم للمنافقين من أبنائهم، وبعد أن سكت عن الحقّ علماؤهم، وانغمس بعض كبارهم في كُنفِ النِّفَاق، وبعد أن تاهت عامّتهم في حال من ضياع الدّين والدُّنيَا، واقعنا عبر العقود المنصرمة منذُ فترة الإستعمار، ثمّ ما تلاها من حُكُومَات الإستقلال المزعوم، ثمّ واقعهم الجَدِيد في عالم ما بعد سِبتَمبر ومطلع هذا القرن الأمريكيّ المزعوم.

وأما الفَصلُ الثّاني:

فهو إثبات للحكم الشَّرعيّ في مثلِ هذا الواقع، ولنقول فيه أن البحث عن الحلّ لأزَمَات واقع المُسلِمِين ليست قضيّة هوى وأراء عقليَّة، وأنّ الأدِلَّة الشَّرعيَّة أوضح من عينِ الشّمس، وأنَّها تُشير إلى أنَّ حلّ أزَمَاتنا بصفتنا مُسلِمِين وأزَمَاتِ صحوتِنا وهي صفوتهم وأزَمَات التّيار الجهاديّ وهم صفوةُ الصَّفوة، هيَ في استئناف الجِهَاد المُسلّح الّذي صار اليَوْم فرض عينٍ كالصّلاة والصّيام، ولكن بأساليب ومناهج تناسب ما أستجدَّ من أحوالٍ، وقد أوردتُ فيه خُلاصة الأحكام الشَّرعيَّة الهامَّة، وتركتُ تفاصيلها وأدلَّتها للباب الأوّل من الجزء الثّاني الخاصّ بالعَقِيْدَة الجهاديّة والمنهج لكونها أهمّ أُسُسِه.

وأما الفَصل الثّالث:

فهو عرضٌ تاريخيٌّ لمسار صِرَاع الحقّ والبَاطِل منذُ قابيل الّذي قتل أخاه الصّالح، وإلى حفيد سلالته (بوش) الّذي يقتلنا تحت نفس الشّعَار ﴿قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَ﴾ فهذا الفَصل استعراضٌ سريعٌ لمسار صِرَاع الحقّ والبَاطِل عَلى مدى الزّمان وتغير أطرافه إلى أن قام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد واستقرَّ- كما أخبرنا ﷺ – ليكون صراعاً بيننا وبين الرُّوم نقاتلهم إلى قيام السَّاعة[1].

---

(١) ويفهم هذا من الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٠٠) (عَنْ نَافِعِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: «تغزون جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ فارس فيفتحها الله ، ثم تَغزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تغزون الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللهُ» .قَالَ: فقال نافع :يا جَابِرُ: " لا نرى الدجال يخرج حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ") وبربط هذا الحديث مع أحاديث الطائفة

وأما الفَصل الرَّابع:

فهو فصل تاريخيٌّ سياسيٌّ بالغ الأهمّيّة، يسلِّط الضَّوء عَلى ثلاث محطَّات تارِيخِيَّة من مسار صِراعنا مع الرُّوم، لنستخرج من خلال تحليل مسار الحملات الصّليبيّة الرَّئيسيَّة عَلى المُسلِمين، في القرن الحادي عشر والثّاني عشر، ثمّ في التّاسع عشر والعشرين، ثمّ الثّالثة الحاليَّة في نهاية القرن العِشرين ومطلع الحادي والعشرين، لنستخرج مُعادلاتها ونحاول اكتشاف مفاتيح النّصر والهزيمة والإفادة منها في جولاتنا القادمة معهم.

وأما الفَصلُ الخامسُ:

فهو استعراضٌ لمسار الصّحوة الإسْلَاميّة ومدارسها الّتي تصدت للحملات الصّليبيّة الأخيرة عن طريق مواجهتها أو مُوَاجَهة نوّابها حُكّام بلاد المُسلِمين، منذ نشأت عام (١٩٣٠م) تقريباً وإلى سنة (٢٠٠٠م) وما آلت إليه بعد أحداث سِبتَمبر.

وأما الفَصلُ السَّادسُ والسَّابعُ:

ففيه استعراض تفصيليّ لمدرستنا الخاصّة، من بين مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة، وأعني التّيار الجهاديّ، حيث نستعرض تاريخه استعراضاً تحليلياً منذُ نشأته (١٩٦٥م) وإلى بلوغه قعر الأزمة نهايات القرن العِشرين، ودخوله أخدود المحنة بعيد أحداث سِبتَمبر، **لنستخلص من خلالِ محطات النَّجاح والفشل الّتي مرَّ بها نظَرِيَّات المُوَاجَهة القادمة**، وبذلك يشكّل هذا الفَصل عمليَّةَ نقدٍ ذاتيٍّ بَنَّاءٍ للتَّيارِ الجهاديِّ المُعاصرِ، بحثاً عن الحلولِ والمخارجِ، وذلك بغرض استقصاءِ الأساليبِ المناسبةِ للجِهَادِ والمُقاوَمةِ في عالمِ ما بعدَ سِبتَمبر، وهو مسألةُ البحثِ الأساسيّةِ كما أسلفنا.

وأما الفَصلُ الثَّامن:

فهو قلبُ الكتابِ ولبُّه، حيث تعتبر كافّة الفُصول السَّابقة مقدِّمات منطقيَّة ودراسات بحثيَّة لاستخراج نظريَّاته السَّبعة الّتي نُفرد لكلِّ واحدةٍ منها باباً وهيَ:

الظاهرة على الحق المقاتلة عليه التي تواترت معنويا وحديث الملحمة الرومية مع ما حصل في التاريخ من حملات رومية وصليبية نجد أن قتال الروم مستمر إلى قيام الساعة أي ظهور أشراطها.

١. **البَابُ الأوّل: نظريَّة المُوَاجَهة (المنهج والعَقِيْدَة الجهاديّة):**

وهي العَقِيْدَة القتاليّة اللازمة لتعبئة أمة الإِسْلَام بها وتربية شباب المُقاوَمة عليها كي يتأهلوا عقديَّاً وفكريَّاً ونفسيَّاً لحربٍ قادمةٍ طويلةِ المَدى، والله أعلم.

٢. **البَابُ الثّاني: النَّظريَّة السّياسيّة:**

وفيها تصوُّرات ونظريَّات الحركة السّياسيّة للمقاومة، من أجل حشد المُسلِمِين، وتحييد ما أمكن من الخصوم الفرعيين، لمُوَاجَهة هذه الحملات الطَّاغية.

٣. **البَابُ الثّالث: : نظريَّة التّربية المُتكامِلة:**

وفيها شرح لأساسِيَّات التّربية اللازمة لعنصر المُقاوَمة والَّتي تقوم على: (١) العلم الشَّرعيّ (٢) الأخلاق والعِبَادات (٣) الفهم السّياسيّ (٤) الإِعداد العسكريّ (٥) مباشرة الجِهَاد في دفع الصّائل.

٤. **البَابُ الرَّابع النَّظريَّة العسكريّة:**

وفيها خُلاصة طرح الكتاب لأسلوب المُوَاجَهة في المَرحَلَة القادمة، حيث يستخلص الكاتب انتهاء مرحلة العمل من خلال التَّنظِيمات (القطريّة – السِّريّة – الهرميَّة) في عالم الهجمة الدّولية لمكافحة الإِرهَاب، وطرح استمرار الجِهَاد من خلال أحد أسلوبين: – إما جبهات المُوَاجَهة المفتوحة حيث توفرت شروطها.

– وأما جِهَاد الإِرهَاب الفَرديِّ من خلال طريقة: سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة.

٥. **البَابُ الخامس: نظريَّة التَّنظِيم والبناء ونظام العمل:**

وفيه شرح لكيفِيَّة تنظيم عمل خلايا المُقاوَمة، بحسب ما تتصوُّره في حرب العِصَابات الشاملة، لا تعتمد التَّنظِيمات المركزيّة وإنّما نظام عمل موجَّه، وفيها يشرح الكتاب مبدأ نظام بُنية سَرايا وخلايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة بحيث لا تعتمد الأسلوب الهرميّ ولا العنقوديّ الّذي تمكَّن العدوّ من مواجهته عبر الحملة الدّولية عَلى الإِرهَاب، وإنّما باعتماد نظامٍ للعمل الفَرديِّ يُؤَدِّي الغرض بمجموع الجهد غير المترابط.

٦. **البَابُ السَّادس: نظريَّة التّدريب:**

وذلك لإعطاء تصوُّر عن بَرَامج إعداد سَرايا المُقاوَمة لنفسها عسكريّاً بشكلٍ ذاتيٍّ وسرِّيّ، في ضوء واقعٍ يستبعدُ إمكانيَّةَ إنشاءِ المُعَسْكَرَاتِ العلنيَّةِ عَلى غرارِ الفرصة الّتي سَنحت وانتهت في البُوسنة والشِّيشَانِ وأفغانستان وأمثالِها.

٧. **البَابُ السَّابع: نظريَّة التّمويل:**

حيث يوضِّح الكتاب بعض الأحكام الشَّرعيَّة وأساليب العمل كي يُوفر الجِهَاد وعمليَّات المُقاوَمة الموارِدَ الذَّاتيَّة، من خلال العدوّ والصَّديق، في عالمٍ أصبح فيه من أساسِيَّات المُوَاجَهة الدّوليّة للمُجَاهدين ما أسموه تجفيفَ المنابع الماليَّةِ للإرهاب.

٨. **البَابُ الثَّامن: الإعلامُ والتّحريض:**

وهي أفكارٌ في أفاق ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من أجل تحويل المَعْرَكة من صراعاتٍ نُخبَوِيَّةٍ إلى معركةِ أمَّةٍ.

وأما الفَصل التّاسع:

فهو مجموعة وصايا وتحذيرات موجَّهة لمن سيعمل في المُقاوَمة وذلك لرفع فاعليَّتها وتجنيبها مطبَّاتٍ متوقعةٍ ولقطع الطّريق عَلى العدوّ أن يجد سبيلاً لإفشال هذه الطَّريقة الّتي ندعو إليها، كما يحتوي عَلى ردودٍ عَلى شبهاتِ علماءِ السّلاطينِ وفقهاءِ الإستعمارِ، والمُنبَطِحِينَ من قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّةِ، وهي نفس الشُّبُهات الّتي طالما ردَّدها هَؤُلَاءِ في وجه المُجَاهدين عبر العقودِ الماضيةِ فوق ما يُضيفُون إليها اليَوْم بحسبِ رغباتِ أمريكا وعبيدِها المُنَافِقين.

ثمّ مجموعة من الدَّلائل الواقعيَّة والنَّصِّيَّة عَلى اقتراب النّصرِ الأكبرِ الموعود بإذن الله.

ثمّ نختم الكتاب بمسك الختام:

لنتنَّسم عبيرَ آفاق الكتاب والسُّنَّة وهدي سلفِنا الصّالح لنسير في آفاقها ونستعين بها عَلى أقدارِ البَلاء لنتحمَّل آلامها، ونستشفَّ من أنوارها لنحلِّق في آمالها ونعيم ما أعدَّه الله لأوليائه من النَّصر في الدُّنيَا وجزيلِ الإحسان في الآخرة.

﴿ سلسلة رسائل المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة ﴾

بعد اكتمال هذا الكتاب، نظرتُ فيه وقد جاوز الـ ١٦٠٠ صفحة من القطعِ الكبيرِ (A4) فوجدتُه ضخماً[١]، وربما صَرَف لضخامته بعضَ من تعوزُه الهمَّة عن قراءتِه.

ووجدتُ أنَّ بعض الفصول تارِيخِيَّةً محضةً، وبعضُها سياسيّة تحليليَّة، وبعضها فكريّة، وبعضها تنظيريَّة حركيَّة، وأخرى في المنهج والسّياسة الشَّرعيَّة والأحكام والقواعد الدّينيّة، وكذلك باقي النَّظريَّات الثَّمانية، منها ما هو عسكريّ محضٌ، ومنها ما هو إعلاميٌّ، ومنها ما هو أمنيٌّ، ومنها ما هو في التّربية والسُّلُوك.

ورأيت أنَّ جعلها في كتابٍ واحدٍ فيه فائدة عدم تشتُّتها بحيث يقع من يعثر عَلى الكتاب عَلى وجبةٍ فكريّةٍ مُتكاملة، تكون منهجاً يشتمل عَلى (**التّاريخ والتَّجَارب، وعلى الدّعوة والطَّريقة والمنهج**)، لِمَا آمل قيامَه في أمّتنا من (مقاومةٍ إسلاميّةٍ عالميّةٍ).

ولكنّي رأيت أنّ لحجمه الكبير عدّة سلبيّات قد تُعيق ما أهدفُ له من التّوعية والفهم، من ذلك أنّ كثرة الأفكار ربّما تجعل من لم يألَفِ المُطالعة والدّراسة في الكتب، يُنسيه بعضُها بعضاً، ويضعّف لدى القارئ القدرة عَلى التَّركيز، ومن ذلك أنَّ ضخامة الكتاب قد تكون وازعاً لدى الكثيرين للكسل في قراءته، في زمنٍ صارت فيه الدُّشوش والكمبيوترات مصادرَ المعرفة، وصارَ فيه (الشِّبسُ والسَّندوش) الوجبة السَّريعة المفضَّلة لكثيرٍ من النّاس.

ومن ذلك ما أخشاه من عدمِ تركيزِ القارئِ عَلى لبِّ المَوضُوع، وهو الجانب العمليّ من نظريَّة المُقاوَمة العَالَمِيّة، ولأسباب أُخرى رأيت أن أُخرجَ الكتاب أيضاً بصورةٍ مُجزّأة في كتبٍ منفصلةٍ، تكون سلسلة من الرّسائل، بحيث تشتمل كلّ واحدة عَلى موضوع معين، وتشمل مجموعها عَلى مجمل أفكاره، بحيث يمكن جمعه في مطبوعةٍ واحدةٍ لمن أرادَ بعنوانٍ هو اسم السِّلسِلة: (**سلسلة رسائل المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة**)، ويمكن لمن أراد موضوعاً معيناً أن يعود للرِّسالة الخاصّة بذلك من الرّسائل.

---

(١) وهي الطبعة الأصلية ٢٠٠٤، التي اعتمدناها في إخراج هذه الطبعة وتحقيقها.

كما أنَّ لذلك فائدة أُخرى، وهو أنّ هناك مواضيع أُخرى لم أعرض لها في هذا الكتاب، وأعتقد أنّها تشكّل جزءاً من فكر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة الّتي أدعو إليها وأعمل عَلى تأسيسها، وبالإمكان – إن يسرَّ الله وأعان وكان في العمر بقيَّة – أن أكتبها فيما بعد وأُلحقها بسلسلة الرّسائل برقمها في السِّلسلة.

كما أن تقسيم البحث في كتبٍ يُساعدُ عَلى ترجمَتها إلى اللغات الأُخرى وهو هدفٌ مقصودٌ لذاتِه إذ أن العَرَبَ في المُسلِمِين لا يزيدُ نسبةُ عددهِم عَلى ٢٠٪ في حين أنَّ الهدف من دعوة المُقاوَمة عالميٌّ عَلى مستوى أمَّة الإِسْلَام في مُوَاجَهة أمم الكفر، ولهذا استقر عزمي عَلى ما يلي:

(١) إنجاز الكتاب كاملاً وإخراج نسخته الأولى باسم (دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة)، وهذا الكتاب الجامع يحتوي جزئين، الأوّل: ويحتوي (الجُذُور والتّاريخ والتَّجَارب)، والجزء الثّاني ويحتوي (الدّعوة والطَّريقة والمنهج).

(٢) إخراجه مقسّماً إلى أحد عشر رسالة، بالإضافة إلى رسالة مقدّمة، بحيث تحوي كلّ رسالة موضوعاً واحداً متجانساً ومستقلاً، وذلك كما يلي:

أولاً: إخراج الكتاب إن شاء الله تَعَالَى في رسائل تحمل جميعها عنواناً جانبياً في أعلاها باسم السِّلسلة (**سلسلة رسائل المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة**) وتحمل كلّ واحدة منها رقم الرّسالة من السِّلسلة.

ثانياً: اختيار عنوان يناسب الموضوع لكل رسالة ككتابٍ مستقلّ.

ثالثاً: وستكون عناوين الرّسائل والكتب من السِّلسلة عَلى الشّكل التّالي إن شاء الله:

- **المقدِّمة والتعريف.**
- **الرّسالة الأولى: (المدخل إلى دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة).**
- **الرّسالة الثّانية: (واقع المُسلِمِين اليَوْم وأحكامٌ شرعيّةٌ في هذا الواقع).**
- **الرّسالة الثّالثة: (جُذُور النّظام الدّولي ومسار الصِّرَاع من قابيل إلى بوش).**
- **الرّسالة الرَّابعة: (فلسفة الصِّرَاع ومعادلاته بين المُسلِمِين والرُّوم الصّليبيّين عبر التّاريخ).**
- **الرّسالة الخامسة: (حصاد الصّحوة الإِسْلَاميّة والتّيار الجهاديّ ١٩٣٠ – ٢٠٠٢م).**

- الرّسالة السَّادسة: (نظريَّة المنهج والعَقِيْدَة القتاليّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة).
- الرّسالة السَّابعة: (النَّظريَّة السّياسيّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة).
- الرّسالة الثَّامنة: (نظريَّة التّربية المُتكامِلة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة).
- الرّسالة التاسعة: (النَّظريَّة العسكريّة والحَركيّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة).

[وتشمل النَّظريَّة العسكريّة ونظريات التَّنظِيم والحركة، والإِعداد والتّدريب، ونظريَّة التّمويل]

- الرّسالة العاشرة: (نظريَّة الإعلام والتّحريض لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة).
- الرّسالة الحادية عشرة: (وصايا ومحاذير وبشائر عَلى طريق المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة).

وأسأل الله تَعَالَى أن يعيننا، وأن يوفّقنا للإخلاص وأسباب القبول، وأن يفتح علينا بما ينصر دينه، وأن يجعلنا هداةً مهديّين لا ضالِّين ولا مُضلِّين، وأن يجعلنا للمتَّقين إماماً، وأن يجعل لنا نصيباً من أجر من تبع دعوة الخير والجِهَاد، فقد روي عنه ﷺ: «الدَّالُّ عَلى الخيرِ كَفاعِلِه»[١]، كما رُوي عنهُ ﷺ: «العَالِمُ والمُتَعَلِّمُ شريكَانِ»[٢].

****

(١) رواه أبو داوود (٥١٢٩)، والتِّرمِذِيّ (٢٦٧١)، وأحمد (١٧٠٨٤، ١٧٠٨٦، ٢٢٣٣٩، ٢٢٣٥١)، ولفظ مسلم (١٨٩٣): (مَنْ دَلَّ عَلى خَيرٍ فَلهُ مثلُ أجرِ فَاعلِه).

(٢) رواه ابن ماجه مرفوعا (٢٢٨) ، وحكم الألباني بضعفه، والجمهور ضعَّفوه لأن في إسناده علي بن زيد بن جدعان، ويؤيد المعنى الذي قصده الشَّيْخ حديث أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ألا إن الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه ، وعالم أو متعلم» أخرجه التِّرمِذِيّ (٢٣٢٢) وابن ماجه (٤١١٢) وحسنه الألباني (صحيح الترغيب والترهيب٧٤).

الغربة والغرباء الظاهرين على الحق

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦﴾ [هود]

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

- «لا تزالُ طائفةٌ منْ أُمَّتي يُقاتِلون عَلى الحقِّ ظَاهرينَ عَلى من نَاوَأَهم حتَّى يُقاتلَ آخرهم المسِيح الدَّجَّال».
- «بدأَ الإِسْلَامُ غريبًا وسَيَعُودُ غَريبًا كما بَدَأَ فطُوبَى لِلغُرَباء».

﴿ فصلٌ في الغُربة والغُرَباء والظَّاهِرين عَلى الحقّ ﴾

في هذا العصر اليَهُوْدي الأمريكيّ كما يَزعمُون، أظلّتنا أيّامٌ أصبحَ فيها المُسلِمُون في أهلِ الأرضِ الكفّار غُرَباء، وأصبحَ المُصلُّونَ في مئاتِ ملايين المُسلِمِين غُرَباء، وأصبحَ الملتزمون بما أمرَ اللهُ ونَهى من دِينهم في المصلِّينَ غُرَباء، وأصبح الدَّاعون للإيمانِ والاعتقادِ الصَّحِيحِ في الملتزمين غُرَباء، وأصبَح الدّاعونَ إلى الله الآمرونَ بالمعروفِ النَّاهونَ عنِ المُنكرِ في هَؤُلَاءِ المُؤمِنُون غُرَباء، وأصبح الدَّاعون لجِهَاد أعداء الله ودفع صَائِل الكفّارِ والمرتدّين والمُنَافِقين عنها أغرب الغُرَباء.

وصدق رسول الله ﷺ وها نحن نسير إلى ما بشّر به بقوله: «بدأَ الإِسْلَامُ غريبًا وسَيَعُودُ غَريبًا كما بَدَأ فَطُوبَى لِلغُرَباء»[١].

والحَمْدُ لله أن رسول الله ﷺ قد بشّر بأنّه: «لا تَزالُ طائفةٌ من أُمّتي يُقاتِلونَ عَلى الحقِّ ظاهرينَ عَلى مَن ناوأَهم حتَّى يُقاتلَ آخرَهُم المَسيح الدَّجّال»[٢]، وأخبرَ عن ثباتِهم ﷺ فقال: «لا تَزالُ أَمّةٌ مِنْ أُمّتي ظَاهِرين عَلى الحقِّ لا يَضرُّهم مَن خَالَفَهُم حتَّى يَأتِيَ أَمرُ الله وهُم ظَاهرُونَ عَلى النَّاسِ»[٣].

ولأنّنا نكتب هذا الكتاب لأولئكَ الغُرَباء الظَّاهِرينَ عَلى الحَقِّ الّذين لا يَضُرُّهُم من خَذَلَهُم، يقاتِلونَ عَلى هذا الدّين حتَّى يأتي أمر الله.

ولأنّنا نكتبه وقد أصبحت الثّلّة المؤمنة الثَّابِتة في وجه أعاصيرِ أمريكا الهَوجَاء وحلفائِها صَابرةً صَامدةً لا تعبأُ باستكبارِ أمريكا، ولا كَثرَة حلفائها ولا تخذيل عبيدها، أصبحت من أغرب الغُرَباء في النّاس، غُرَباءٌ ظاهرون عَلى الحقّ يُقاتلون عَلى الحقّ هنا وهناك، ولأنّنا نكتبُ هذا الكتاب لهم.

---

(١) رواه مسلم (١٤٥).

(٢) رواه أحمد (١٩٨٥١، ١٩٨٩٥، ١٩٩٢٠)، وأبو داوود (٢٤٨٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: الحديث صحيح على شرط مسلم.

(٣) رواه مسلم (١٠٣٧)، والبخاري (٧١، ٣١١٦، ٣٦٤١، ٧٣١٢، ٧٤٦٠)، وأحمد (١٦٩١٢).

ولأنّنا نكتبه ونحن نعيشُ بفضل الله الّذي يُؤتيه من يشاء، ونَسأله الإخلاصَ والثّباتَ والقبول برحمته، نعيش وإخواننا المُجَاهدين والمُهَاجِرين في سبيل الله أشدّ حالات الغُربة والحصار والمطاردة والقتل والأسر، فإنّا نورد هنا من الزّاد ما نَشدُّ به عضُدنا ونُثبِت به أنفسنا، ونقدِّمه بشائر إلى أولئك الصّابرين الثَّابِتين الّذين نحسب أنّهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهُم من قضى نَحبهُ ومنهُم مَن يَنتَظِر وما بدّلوا تبديلاً، كما نقدِّمُه إلى كلِّ العازمين عَلى الانضِمام لقافلة الغُرَباء وركب الظَّاهِرين عَلى الحقِّ من الأجيال القادمة الّذين سيرفع الله بهم إن شاء الله رايةَ دينِه، ويُرِيَ كلَّ فرعونٍ وهامانٍ من فراعنةِ الكفّارِ والمرتدّين، وكلَّ جنودهم منهُم ما كانوا يَحذَرُون.

فإن من خيرِ الزَّاد، ومن بشارةِ عاجلِ الخير وآجله، أن نقدِّم لفصول هذا الكتاب ببعض عبير السُّنة المطهَّرة، وما جاء من بعض الآثار المباركة من صفات وأحوال الغُربة والغُرَباء والظَّاهِرين عَلى الحقّ الّذين يقاتلون عَلى هذا الدّين غير عابِئين بمن خذلهم ولا من خالفهم حتَّى يأتي أمر الله، وما جاء ممَّا أعدَّه الله لهم من البِشَارة في الدُّنيَا والكَرَامة في الآخرة.

آملين أن يكون فيها ما يربط عَلى قلوب الشَّبَاب المؤمن العازم عَلى المُقاوَمة، مقاومة طغيان أمريكا وحلفائها، بقلبٍ عامرٍ بالإيمانِ، وبيدٍ تشدُّ عَلى الزِّنَاد.

فإلى أولئك الّذين أحبّوا الموت في سبيلِ الله كما أحبَّ عبادُ أمريكا الحياةَ، إليهم ومعهم نتنسَّم عبير هذه الآثار النّبويّة العطِرة وأنوارها:

جاء في باب الغُربة من كتاب مدارجِ السّالِكين للإمام العامل ابن القيّم رحمه الله تَعَالَى[1] ما نقتطف منه باختصار ما يلي:

(١) ابن القيم: هو شيخ الإسلام الإمام العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، ولد ٦٩١هـ الموافق لـ١٢٩٢م و مات سنة ٧٥١هـ الموافق لـ١٣٤٩م رحمه الله، وله مؤلفات مفيدة مشهورة.

(بابُ الغُربَةِ)

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ١١٦﴾ [هود].

استشهاده بهذه الآية في هذا البَاب يدلُّ عَلى رُسُوخه في العلم والمعرفة وفهمِ القرآن، فإنَّ الغُرَباء في العالم هم أهلُ هذه الصِّفة المذكورة في الآية، وهمُ الّذين أشار إليهم النبيُّ ﷺ في قولِه: «بدأَ الإِسْلَامُ غريباً وسيعودُ غريباً كَما بدأَ فَطُوبى للغُرَباءِ، قيل: ومَنِ الغُرَباء يا رسول الله؟ قَالَ: الّذين يَصلُحُون إذا فسد النّاس...»[1]، وعن عبدالله بن مَسعُودٍ قَالَ رسول الله ﷺ «إنَّ الإِسْلَام بدأَ غريباً وسيعودُ غريباً كما بدأَ فطوبى للغُرَباءِ، قيل: ومن الغُرَباء يا رسول الله؟ قَالَ: النُّزّاع منَ القَبَائِل»[2] وفي حديث عبدالله بن عمرو قَالَ: قَالَ النبيّ ﷺ ذاتَ يوم ونحن عنده «طوبى للغُرَباء، قيلَ: ومَنِ الغُرَباءُ يا رَسُولَ الله؟ قَالَ: نَاسٌ صَالِحُونَ قَليلٌ في ناسِ سُوءِ كَثيرٍ مَنْ يَعصِيهِم أَكثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهم»[3].

وقال أحمد عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ قَالَ: «إنَّ أحبَّ شيءٍ إلى الله الغُرَباء، قيلَ: ومن الغُرَباء؟ قَالَ: الفرَّارُون بدينِهم يَجْتَمِعُونَ إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام يوم القيامة»[4].

وفي حديث القاسِم عن أبي أُمَامَة عن النبيّ ﷺ قَالَ عن الله تَعَالَى: «إِنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي لَمُؤْمِنٌ خَفِيفُ الْحَاذِ ذُو حَظٍّ من صَلاتِه أحسنَ عبادَةَ رَبّه وكانَ رِزقُه كفافاً وكان مع ذلك غامضاً في النّاس لَا

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٦٩٠) وصححه الألباني السلسلة الصحيحة (١٢٧٣).

(٢) رواه التِّرمِذِيّ (٢٦٢٩)، وأحمد (٣٧٨٤)، وابن ماجه (٣٩٨٨) وقال الألباني: صحيحٌ ثم توقّف فيه، النُّزّاع: جمع نازع ونزيع وهو الغريب عن أهله وعشيرته أي الذين يخرجون عن الأوطان لإقامة سنن الإسلام.

(٣) رواه أحمد (٦٦٥٠، ٦٥٧١، ٦٥٧٠، ٧٠٧٢) وقال الأرنؤوط: حسن لغيره، وصححه الألباني: الصحيحة (١٦١٩).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٥) وعنه الديلمي، وأحمد في الزهد (٤٠٤، ٨٠٩) وضعّفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١٨٥٩).

يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ وصَبَرَ عَلَى ذَلك حَتَّى لَقِي الله ثُمّ حلَّت منيَّته وقلَّ تُرَاثه وقلَّت بَواكِيه»[١]، وقال الحَسَنُ: " المُؤْمِنُ فِي الدُّنْيَا كَالْغَرِيبِ لَا يَجْزَعُ مِنْ ذُلِّهَا، وَلَا يُنَافِسُ فِي عِزِّهَا، لِلنَّاسِ حَالٌ، وَلَهُ حَالٌ، النّاس منه في راحةٍ وهو من نفسِه في تعبٍ"[٢].

وهَؤُلَاءِ هم القابضون عَلَى الجمر حقّاً، وأكثر النّاس بل كلّهم لائِمٌ لهم، فلغربتهم بين هذا الخلق يعدّونهم أهل شذوذ وبدعة ومفارقة للسَّواد الأعظم، { **فانظر إلى هذا الوصف وقارِنه بحالِ المُجَاهدينَ للأمريكانِ واليَهُوْدِ وأوليائِهم اليَوْمَ، وكيف يَتناوَلُهم الإعلامُ حتَّى أكثر خُطباءِ الجُمعةِ عَلى مَنابرِ المَسَاجدِ**}.

ومعنى قول النَّبيّ ﷺ همُ النُّزاعُ من القبائل، أنَّ الله سبحانه بعث رسوله وأهل الأرض عَلى أديانٍ مختلفة، فهم بين عبّاد أوثان ونيران، وعبّاد صُوَر وصُلبان، ويهود وصابئة وفلاسفة، وكان الإِسْلَام في أوَّل ظهورِه غريباً، وكان من أسلمَ منهُم واستجاب لله ولرَسُولِهِ غريباً في حَيِّه وقبيلتِه وأهلِهِ وعشيرته.

فكان المستجيبون لدعوة الإِسْلَام نزاعًا من القبائل، بل آحادًا منهم، تغربوا عن قبائلهم وعشائرهم ودخلوا في الإِسْلَام، فكانوا همُ الغُرَباء حقًا، حتَّى ظهر الإِسْلَام وانتشرت دعوته ودخل النّاس فيه أفواجا، فزالت تلك الغُربة عنهم، ثمّ أخذ في الإغتراب والتّرحال حتَّى عاد غريباً كما بدأ، بل الإِسْلَام الحقّ الّذي كانَ عليه رسول الله ﷺ وأصحابه هو اليَوْم أشدّ غربةً منه في أول ظهوره وإن كانت أعلامه ورسومه الظَّاهِرة مشهورة معروفة، فالإِسْلَام الحقيقي غريبٌ جداً وأهله غُرَباء أشدّ الغُربة بين النّاس، وكيف لا تكون فرقةٌ واحدةٌ قليلةٌ جداً غريبةً، وسبعين فرقةٍ ذات أتباع ورئاسات، ومناصب وولايات، ولا يقوم لها سوقٌ إلا بمخالفةِ ما جاءَ به الرَّسُول، فإنَّ نفس ما جاء به يضادّ أهواءَهم ولذَّاتهم وما هم عليه من الشُّبُهات والبِدَع، الّتي هيَ نصُّ فضيلتهم وعملهم والشَّهوات الّتي هيَ غايات مقاصدهم وإراداتهم.

---

(١) رواه أحمد (٢٢١٦٧، ٢٢١٩٧)، وابن ماجه (٤١١٧)، والتِّرمِذِيّ (٢٣٤٧) وضعفه الأرنؤوط، وأورده الألباني في الجامع الصغير (٢٨٩٩).

(٢) أخرجه: ابن أبي شيبة (٣٥٢١٠) ، وابن أبي عاصم في الزهد : ٢٦٢ (ط. دار الريان للتراث).

{ انظر سبحان الله! ما يقول ابنُ القَيِّم في القرن الثَّامن الهجريّ أنّ الإِسْلَام في زمانه أشد غربةً من وقت ظهر، فماذا نقول نحن اليَوْم والله المُستَعان ؟!!}.

فكيف لا يكون المؤمن السائر إلى الله عَلَى طريق المتابعة غريباً بين هَؤُلَاءِ الّذين قد اتَّبعوا أهواءهُم وأطاعوا شحَّهم وأُعجب كلّ منهم برأيه، كما قَالَ النبيّ ﷺ: «مُرُوا بِالمعرُوفِ وانهَوا عنِ المُنكرِ حتَّى إذا رأَيتُم شُحّاً مُطاعاً وهوىً متّبعًا ودُنيا مُؤثَرة وإعجاب كلُّ ذِي رأيٍ بِرأيِه، ورأيتَ أمراً لا يَدَ لكَ بِهِ فعليكَ بخَاصَّةِ نفسكَ، وإيَّاك وعوامَّهم فإنَّ وَرَاءَكُم أيّاماً صَبرُ الصَّابرِ فِيهنَّ كَالقَابضِ عَلى الجَمْرِ»[1]، ولهذا جُعل للمسلم الصَّادق في هذا الوقت إذا تمسَّك بدينه أجر خمسين من الصّحابة، ففي سُنَنِ أبي داود والتِّرْمِذِيّ من حديث أَبِي ثَعْلَبَة الخُشَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سألتُ رسولَ الله ﷺ عنْ هذهِ الآيةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥] فقال: «**بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنكرِ ، حتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا ، وَهَوًى مُتَّبَعًا ، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً ، وَإِعْجَابَ كلّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فعليكَ بخاصّةِ نفسِكَ ودَع عَنْكَ أمرَ العوامّ، فإنَّ مِنْ وَرائِكم " أيّام الصَّبرِ"، الصَّبرُ فِيهنَّ مِثلُ قبضٍ عَلى الجمرِ، للعَاملِ فيهِنَّ أجرُ خَمسينَ، قلتُ يارَسُولَ الله: أجرُ خَمسينَ منهُم، قَالَ: أجرُ خمِسِين مِنكُم**»[2]، وهذا الأجرُ العظيمُ إنَّما هو لغُربته بين النّاس والتَّمسُّك بالسُّنة بين ظلمات أهوائهم وآرائهم، فإذا أراد المؤمن الّذي قد رزقه الله بصيرةً في دينه، وفقهاً في سنَّة رسوله وفهماً في كتابه، وأراهُ ما النّاس فيه من الأهواء والبِدَع والضَّلالات وتنكُّبهم عن الصِّرَاط المُستقيم الّذي كانَ عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فإذا أراد أن يسلك هذا الصِّراط فليُوَطِّن نَفْسَه عَلَى قدح الجُهَّال وأهلِ البِدَع فيه، وطعنِهم عليه وإزرَائهم بهِ وتَنفير النّاس عنه وتحذيرهم منه، كما كانَ سلفهم منَ الكفّار يفعلون مع متبوعه وإمامِه ﷺ، فأمّا إن دعاهم إلى ذلك وقدح فيما هم عليه، فهنالك تقوم قيامَتهم ويبغون له الغَوائل وينصُبُون له الحبائل، ويجلِبُون عليه بِخَيل كبيرِهم ورجله.

---

(١) سبق تخريجه ص٤.

(٢) سبق تخريجه ص٤ .

فهو غريبٌ في دينه لفساد أديانهم، غريبٌ في تمسُّكه بالسُّنة لتمسُّكهم بالبِدَع، غريب في اعتقاده لفساد عقائدهم، غريبٌ في صلاته لسُوء صَلَاتهم، غريبٌ في طريقه لضلال وفساد طُرقهم، غريبٌ في نسبته لهم لمخالفة نسبهم، غريبٌ في مُعَاشرته لهم لأنَّه يُعاشرهم عَلى ما لا تهوى أنفسهم.

وبالجملة فهو غريب في أمور دنياه وآخرته، لا يجد من العامّة مُسَاعداً ولا مُعيناً، فهو: عالمٌ بين جهَّال، صاحب سنَّة بين أهل بدع، داع إلى الله ورسوله بين دعاة إلى الأهواء والبِدَع، آمرٌ بالمعروف ناهٍ عن المُنكر بين قوم المَعرُوفُ لديهم مُنكرٌ والمُنكرُ لديهم معروفٌ].[1] **انتهى كلامُ ابن القيِّم** رحمه الله.

ومن الآثار النّبويّة الّتي جاءت في الغُرَباء وكرامتهم وفضل الغُربة وأحوالها:

جاء في [مجمَع الزَّوائِد] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِي رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهِ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ:« أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهِ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ، الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ: ائْتُوهُمْ فَحَيُّوهُمْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ، وَخِيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ، أَفَتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءِ فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونِي، لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ، وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً قَالَ: فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد]»[2].

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ١٨٩).

(٢) رواه أحمد (٦٥٧٠) وابن حبان (٧٤٢١) وصححه شاكر والألباني والأرنؤوط.

وفي مسند الإِمَام أحمد عن عبدالله بن عمرو قَالَ: كنت عند رسول الله ﷺ وطلعت الشّمسُ فقالَ: «يَأتي اللهُ بقومٍ يومَ القيامةِ نُورُهم كنورِ الشّمسِ، فقالَ أبُوبكر: أَنَحنُ هُم يارسول الله؟ قَالَ: لا ولَكُم خيرٌ كثيرٌ، ولكنّهم الفُقَرَاءُ المُهَاجِرُون الّذين يُحشرون من أقطارِ الأرضِ»[١].

- وفي [فيض القدير: ٤-٢٧٤]:[قَالَ الثّوريّ رحمه الله: **"إذا رأيت العالِمَ كثيرَ الأصدقاء فاعلم أنّه مخلّط، لأنه لو نطق بالحقِّ لأَبغَضوه"، وقال الغزاليُّ** رحمه الله: **"وقد صار ما ارتضاه السَّلَف من العلوم غريباً بل اندرس وما أكبَّ النّاس عليه فأكثره مُبتَدع وقد صارت علوم أولئك غريبةً بحيث يُمقت ذاكِرُها"**].

هذا بعض ما جاء من الآثار في الغُربة والغُرَباء، جعلنا الله منهم ومعهم في الدُّنيَا والآخرة.

ومما جاء من الآثار النّبويّة وأقوال أهل العلم في الطَّائِفَة المَنصُورَة الظَّاهِرين عَلى الحقّ يقاتلون عَلى هذا الدّين ما نقتطف منه ما يلي:

- عن معاوية رضي الله عنه يرفَعُه: «لا يزالُ مِنْ أمّتي أمَّة قائمةٌ بأمرِ الله لا يَضرُّهُم مَنْ خَذَلُهم ولا مَنْ خَالَفَهُم حَتَّى يَأتِيَ أمرُ الله وهُم عَلى ذلِكَ»[٢].
- عن جابر بن سَمُرَة رضي الله عنه يَرفَعُه: « لَن يَبرَحَ هذا الدّينُ قائمًا يُقاتِل عليه عِصَابةٌ منَ المُسلِمينَ حتَّى تقومَ السَّاعةُ»[٣].
- عن جابر يرفعه: «لا تزالُ طائفةٌ من أمّتي يُقاتِلون عَلى الحَقِّ ظاهرينَ إلى يوم القيامةِ»[٤]، وفي رواية النسائيّ عن سلمة بن نُفيل الكندي قَالَ: كنت جالسا عند رسولِ الله، فقال رجل: يا رسول الله

---

(١) رواه أحمد والطبراني، وزاد: ثم قال: «طوبى للغرباء» قيل: من الغرباء؟ قال: «أناس صالحون قليل في ناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم» وأحد إسناد الطبراني رواته رواة الصحيح ، ورواية أحمد في المسند برقم (٧٠٧٢) وقال شاكر: إسناده صحيح جرياً على منهجه في تصحيحه حديث ابن لهيعة بإطلاق.

(٢) رواه البخاري: (٧١، ٣١١٦، ٧٣١٢، ٧٤٦٠) ومسلم (١٠٣٧).

(٣) رواه مسلم (١٩٢٢)، وأحمد (٢٠٨٥٩).

(٤) رواه مسلم (١٥٦، ١٩٢٣) وأحمد (١٤٧٢٠، ١٥١٢٧).

أذال النّاسُ الخيلَ ووضعوا السّلاحَ وقالُوا: لا جِهَادَ قَد وَضَعَتِ الحَربُ أَوزَارَها فأقبل رسولُ الله بوجهِهِ وقال: «كذبُوا الآنَ جاءَ القِتَالُ ولا يزالُ مِنْ أمّتي أَمّةٌ يُقَاتِلونَ عَلى الحقِّ ويَزيغُ الله لهُم قُلوب أقوامٍ ويَرزُقهم مِنهُم حتَّى تقومَ السَّاعَةُ وحتَّى يَأتِيَ وعدُ الله والخيلُ معقودٌ في نواصِيها الخَير إلى يَومِ القِيامَة وهو يُوحى إليّ أَنّي مَقبُوضٌ غير مُلبث وأَنتُم تتبَعُوني أفنادًا يَضربُ بَعضُكم رقابَ بعضٍ وعقرُ دار المُؤمِنِين الشّام»[1].

- عن المغيرة يَرفَعُه: «لا يزالُ ناسٌ مِنْ أُمّتي يُقاتِلُون عَلَى الحَقّ ظَاهِرين حَتَّى يَأتيهم أمرُ الله»[2].
- عن معاوية يرفَعُهُ: «مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خيراً يُفقِّهه في الدّين ولا تزالُ عِصَابةٌ من المُسلِمِين يُقاتلون عَلى الحَقّ ظاهرينَ عَلى مَنْ نَاوأَهُم إلى يومِ القيامَة»[3].
- عن معاوية يرفَعُهُ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا وَطَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ، لَا يُبَالُونَ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ نَصَرَهُمْ»[4].

جاء في كتاب العمدة في إعداد العدة، للشيخ عبد القادر بن عبد العزيز وفقه الله لرضاه وفرج كربته وفك أسره، تحت عنوان هل الفرقة النَّاجِيَة هيَ الطَّائِفَة المَنصُورَة ؟ قَالَ:

"ورد في معظم كتب العَقِيْدَة، أن الفرقة النَّاجِيَة (أهل السّنّة والجماعة) هيَ الطَّائِفَة المَنصُورَة (على سبيل المثال: انظر البَاب الأخير من العَقِيْدَة الواسطيّة لابن تَيمِيّة، وكذلك مقدّمة كتاب معارج القبول لحافظ حكمي، وغيرها)، والّذي يترجَّح عندي أن الفرقة والطّائفة ليستا مترادفتين، وأنَّ الطَّائِفَة جزءٌ من الفرقة، فالطّائفة المَنصُورَة هيَ الجزء أو البعض القائم بنصرة الدّين علماً وجِهَاداً، من الفرقة النَّاجِيَة الّتي هيَ عَلى المنهج والاعتقاد الصَّحِيح، وتفريعاً من ذلك نقول أيضاً إنّ المجدد هو أحد أفراد الطَّائِفَة

---

(١) رواه النسائي (٣٥٦١)، وأحمد (١٦٩٦٤، ١٦٩٦٥) والدارمي (٥٦). وصححه الألباني (١٩٣٥الصحيحة).

(٢) رواه البخاري (٣٦٤٠، ٧٣١١، ٧٤٥٩)، ومسلم (١٩٢١)، وأحمد (١٨١٦٦) واللفظ له.

(٣) رواه البخاري (٧٣١٢) ومسلم (١٠٣٧) واللفظ له.

(٤) رواه ابن ماجة (٩) وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف، ولكن الحديث صحَّ من طريق آخر وذكره البخاري برقم (٣٦٤١).

المَنصُورَة الّذي قام بأهمّ واجبات الدّين في زمنه، عَلى قول الجُمهور بأنّ المجدد فرد واحد ودليلي في هذا ما يلي:

١- قول الله تَعَالَى: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]، فهذه الآية فرقت بين الفرقة والطّائفة، وبيَّنت أنَّ الطَّائِفَة جزءٌ من الفرقة، وأنّها هيَ الجزء القائم بالعلم والجِهَاد من الفرقة، كما في تفسير هذه الآية [راجع ابن كثير](1).

٢- العلم والجِهَاد، وهما أهمّ صفات الطَّائِفَة المَنصُورَة، أصل مشروعيّتها أنّهما من فروض الكفاية، يجب عَلى البعض دون الكلّ من أبناء الأُمّة القيام بهما، وهذا البعض القائم بالعلم والجِهَاد من الأُمّة هم الطَّائِفَة المَنصُورَة.

و المقصد من هذا أن يسعى كلّ مسلم لأن يكون من هذه الطَّائِفَة المَنصُورَة القائمة بنصرة الدّين بالعلم والدّعوة والجِهَاد، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾ [المطففين]، قلت: ومع ذلك فإن الطَّائِفَة قد تكون هيَ الفرقة بأكملها، وذلك في آخر الزّمان حينما ينحازُ المُؤمِنُون إلى الشّام وعليهم ينزل عيسى بن مريم عليه السلام لقتال الدَّجّال، كما في الأحاديث الصَّحيحة، وعلى هذا تنزل الرِّوايات الّتي ذكرت أن الطَّائِفَة تكون بالشّام أو بيت المَقْدِس (حديث أبي أمامة)(2) وأن هذا يكون بالنسبة لآخر هذه الطَّائِفَة بَإطلاق، أما قبل ذلك من الأزمنة، فالطّائفة قد تكون بالشّام أو بغيره، وانظر كلام صاحبُ كتاب فتح المجيد شرح كتاب التّوحيد في شرح الطَّائِفَة (ط أنصار السنة صـ٢٧٨، ٢٧٩)، والله تَعَالَى أعلم". أهـ(3)

---

(١) تفسير ابن كثير(٤/ ٢٣٦).

(٢) انظر الجزء الأخير (مسك الختام) يتحدث عن الفتن وعلامات الساعة ويذكر هذه الأحاديث بشيء من التفصيل.

(٣) (العمدة في إعداد العدة ص ٧٨).

فأقول والله الموفق:

أن المستفاد مما سبق، أن العُلَماء اعتبروا الأقسام التّالية للطّائفة المَنصُورَة:

أهل العلم بالكتاب والسّنّة.

أهل الدّعوة والأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر.

أهل الجِهَاد والقتال في سبيل الله.

والّذي يبدو لي جمعاً بين هذه الأقوال – والله أعلم – ما يلي:

١) أن معظم السَّلَف ممَّن جعلهم أهل الحديث وأهل العلم قالوا ذلك لأنّهم كانوا أسبق النّاس إلى الجِهَاد والقتال إذا تعيَّنت الفريضة أو إذا لم تحقّق الكفاية في القِتَال، بل قد ورد عن بعض السَّلَف أنّه دخل الثُّغُور أكثر من مئةِ مرّة ليس بقصد القِتَال وإنَّما لأخذ الحديث لكثرة (أهل الحديث) في مواقع الرِّبَاط، وثغور الجِهَاد، وهذا عندما كانَ أهل الحديث أهل الجِهَاد وليس عندما صار أكثرهم (أهل حديث)، وأهل قيلٍ وقال وكثرة سؤال.

أنَّ الطَّائِفَة المَنصُورَة هم الّذين يتصدَّرون لأهمِّ الأولويَّات والفُرُوض والواجبات في زمانهم من هذه الأبواب الثّلاثة – العلم- الدّعوة والأمر والنَّهي – القِتَال والجِهَاد.

ففي زمن مثل زمن البُخَارِيّ والإمام أحمد رحمهما الله تَعَالَى، كانت الخِلافَة الإِسْلَاميّة قويّة مهيمنة غازية لأعدائِها، واضعةً للجِزية والصَّغار عَلى من جاوَرها من الكفّار، فكان حريَّاً أن يكون رؤوس الطَّائِفَة المَنصُورَة من أمثال أولئك الأئمة متصدِّرين للأولويَّة الأولى، وهي العلم بالسُّنة وجِهَادُ البِدَع وهو جِهَاد البيان، أو متصدِّرين لجِهَاد أئمة البَاطِل وأمراءِ الجُور، من الّذين ظلمُوا أو ابتدعوا كموقف الإِمَام أحمد رحمه الله من بني العبّاس وبدعة خلق القرآن، فكانت ثغرة شاغرة في حين لم يكن هناك من صائلٍ محاربٍ عَلى الأُمّة، بينما نجد الإِمَام ابن تَيمِيّة جعل جيش الشّام ومصر – عَلى ما كانَ فيهم من البِدَع والجَهل – من أخصِّ من عمَّهم الإنتماء للطَّائفة المَنصُورَة، لدفعهم العدوّ عن دين الله وبيضة المُسلِمِين وحوزتهم، رغم عدم اتِّصَافهم بالعلم، ولم يكن المماليك من أهل الحديث كما هو معلوم، بل كانوا للجهل والبِدَع أقرب منهم للعلم بعمومهم، ولكنَّهم كانوا عَلى الثَّغرة الشَّاغِرَة وهي دفع الصّائل.

٢) لاشكَّ أن القِتَال من غير علمٍ بدين الله، ودون انطلاق من أصوله، وإن كانَ أصحابه مأجورين بنيَّتهم في دفع أعداء الله عن الدّين والأنفس والأعراض والأموال، لا يجعل القائمين بهذا عَلى تمام صفة الطَّائِفَة الظَّاهِرة عَلى الحقّ، لأنّهم لا يكونون ظاهرين عَلى الحقّ ولا قائمين بأمر الله تماماً وكمالاً إلّا بالعلم مع الجِهَاد.

٣) ليس بالضَّرورة أن يكون كلّ فرد في الطَّائِفَة المَنصُورَة من أهل العلم، ولكن يكفي أن يكون ومن لهم الأمر والقيادة فيها قد توفَّرت في مجموعهم صفات العلم والدّعوة مع الجِهَاد والقتال، ويحكم للطَّائفة بحكم الرَّاية العَامّة والقيادة والمنهج والمُعتقد.

٤) أخيراً - ولا شَّكَّ - لا بُدَّ من البيان أنَّ الكمال في الطَّائِفَة المَنصُورَة ورؤوسها أنْ تجمع العلم إلى الدّعوة والأمر والنَّهي إلى القِتَال والثّبات عَلى ذلك، كما كانَ حال أئمة الإِسْلَام العظام من أمثال الإِمَام ابن المبارك رحمه الله[1]، وهو من كبار علماء الإِسْلَام ومحدثيهم وفقهائهم ومن كبار المُجَاهدين المرابطين في الجِهَاد، وكذلك الإِمَام ابن تَيمِيّة رحمه الله[2]وهو كذلك من كبار العُلَماء وأهل الحديث، ومن كبار المُجَاهدين كلما نزل الصّائل، ومن أولئك الإِمَام الجليل العز بن عبد السَّلام[3]، وهو كذلك سلطان العُلَماء ومن مُجَاهديهم أيّام التّتار.

---

(١) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي رضي الله عنه (١١٨ -١٨١ هـ) أمير المؤمنين في الحديث عالم عصره كان يمضي أيامه مرابطاً على الثغور ، - قال أبو حاتم الرازي : حدثنا عبدة بن سليمان المروزي قال : كنا سرية مع ابن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان، خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه رجل، فطارده ساعة فطعنه فقتله فازدحم إليه الناس، فنظرت فإذا هو عبد الله بن المبارك وإذا هو يكتم وجهه بكمه، فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو هو. فقال : وأنت يا أبا عمرو ممن يُشنع علينا.

(٢) هو شيخ الإسلام الإمام: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، الحرّاني، ثمَّ الدِّمشقيّ، ولد(٦٦١هـ)، وقد توفي رحمه الله، وهو مسجون بسجن القلعة بدمشق، ليلة الاثنين ٢٠ من شهر ذي القعدة سنة (٧٢٨هـ)

(٣) العز بن عبدالسلام : أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن السُّلَمي الشافعي (٥٧٧هـ/ ١١٨١م - ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) الملقب بسلطان العلماء وبائع الملوك وشيخ الإسلام، وكان عمره أيام غزو التتار وعين جالوت ثمانين سنة، ومواقفه مشهورة.

٥) الخلاصة أن الطَّائِفَة المَنصُورَة هيَ الطَّائِفَة القائمة بأمر الله، الظَّاهِرة عَلى الحقّ الثَّابِتة عليه، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، يقاتلون عَلى هذا الدِّين، ولا شَّكَّ أنَّ القِتَال والجِهَاد هو من أبرز خصائصهم في النّصوص (حتَّى يكاد يكون شرطاً عليهم)، لاسيَّما إذا تعين أو لم تقم به الكفاية كما هو حالنا اليَوْم، فلا يمكن للطَّائفة المَنصُورَة الظَّاهِرة عَلى الحقّ – وهم نُخبة أهل الإِسْلَام- أن يتركوا عندئذٍ أوجب الواجبات بعد الإيمان، وهو دفع الصّائل قتالاً!!

إذاً وحسب ما تقدَّم؛ من هُم الطَّائِفَة المَنصُورَة في هذا الزّمان؟ وهنا يجب أن نعلم مواصفات هذا الزّمان، تلك المواصفات الّتي أصبح العلم بها من المعلوم من العقل والفهم والنَّظر بالضَّرورة.

أولاً: بلاد الإِسْلَام من أقصاها إلى أقصاها محتلة بصائل اليَهُوْد أو النّصَارى أو الملحدين أو الشُّيُوعِيّين أو المُشركين الوَثنيين، مباشرة بالغزو والاحتلال الظَّاهِر كما هو حال فِلَسطِين والشّام عموماً، والبُوسنة والشِّيشَان، وجمهوريّات وسط آسيا وتُركستان الشَّرقيَّة الّتي تحتلُّها الصِّين، وكشمير الّتي تحتلُّها الهند، وبلادٌ كثيرةٌ وخلقٌ لا يعلمهم إلَّا الله تحت حكمِ الكفّار الأصليِّين، أو بصورة غير مباشرة عبر تولية الكفّار الأصليِّين للمرتدِّين، كما في عموم باقي بلاد المُسلِمِين.

ثانياً: كافّة بلاد الإِسْلَامِ من أقصاها إلى أقصَاها، استبعد فيها الحكَّام المرتدّون شرعَ الله، وبارَزُوه العَدَاء، وحكَمُوا بغير ما أنزلَ الله، وبدَّلوا شرائعه ووالوا أعداءه.

ثالثاً: كافّة بلاد الإِسْلَام، يُسَام فيها أهل الإِسْلَامِ عموماً، وأهل الدّين والدّعوة والالتزام خُصُوصَاً، الظُّلم والجورُ والعَسفُ والقتلُ وهتكُ الأعراض والسُّجون والعذاب، مما أصبح معلوماً للقاصي والدَّاني.

- فهل يُعقل في مثل هذه الحالات، أن نقول أنَّ الطَّائِفَة المَنصُورَة اليَوْمَ هُم الّذين لا يَعبَؤُون بكلِّ هٰذا، ويتفرّغُون لتنقيح الأَسانيد، وتصنيفِ الكُتب، وروايةِ الحديث؟!

- هل يُعقل أنهم الّذين لا يهمُّهم من أمرِ المُسلِمِين شيئاً، ويتفرَّغون للعبادة والنُّسك وترديد الأوراد والاعتزال في الزَّوايا؟!
- هل يُعقل أنَّهم الّذين لم يتكلموا في كلّ هذه النَّوازل ببنت شَفة، ثمّ لا يكون من شغلهم إلا تنقيح العَقِيْدَة الصَّحِيحة بزعمهم، ومحاربة الأضرحة والقبور وشرك الأموات ؟! والكفر يحكُمهم ويُحيط بهم، ويُدخل الفُسوق والعصيان والعُهرَ عليهم وعلى ذراري المُسلِمِين بكل وسائل الإعلام، وحالهم معهم عَلى أحسن ما يرام؟!
- أم هل يكون مِنَ الطَّائِفَة المَنصُورَة أولئك الّذين يجلِسُون في بلاد الكفّار وبين أحضانهم، ويُنادون ويُفتون بأحكام الجِهَاد والهِجرَة؟! ويَفتَتِحُون المراكز الإِسْلَامية عَلى مقاييس الإِسْلَام الغربيّ.
- أم تراهم أولئك الّذين يجلسون تحت أحكام المرتدّين أو الكفّار، يعافِسُون الأموال والأزواج والأولاد، وينهشون في لُحوم المُجَاهدين في سبيلِ الله والمُهَاجِرين إلى الله، بأي دعوى من دعاوى التَّسرُّع، وهدم الدّعوة، وتعجُّل المراحل، وصحَّةِ الرّايات، وفَذْلَكَاتِ[١] الكلام ؟!

لا نشكُّ قيد لحظة بأنّ الطَّائِفَة المَنصُورَة في هذا الزّمان وفي مثل هذه الأحوال هم أهل الجِهَاد، أهل القِتَال، أهل السِّلاح المُجَاهدين تحتَ راية لَاإِلَهَ إِلَّا الله محمّد رَسُولُ الله، يدفعون صائل الكفّار والمرتدّين.

يقول الدّكتور عبد القادر بن عبد العزيز[٢] -حفظه الله- صاحب كتاب (العمدة في إعداد العدة في ختام حديثه عن الطَّائِفَة المَنصُورَة)، من هيَ ومن تكون، وكلام أهل العلم فيها، فيقول في صفحة (٨٠) تحت عنوان " **أهمّ واجبات الطَّائِفَة المَنصُورَة في هذا الزّمان** ".

---

(١) فذلكات : مصطلح منحوت من (فذلك كذا ... وذلك كذا) ولعل الشَّيْخ قصد فضول الكلام وكثرة التفاصيل التي لا طائل منها.

(٢) الدكتور عبد القادر عبدالعزيز : (سيد إمام ، أو الدكتور فضل) له إنتاج جيد قبل أن يتغير حاله، ومن إنتاجه كتاب (العمدة)، وهو كتاب نافع في مجمله، واستفاد منه المجاهدون، وله كتابه (الجامع)، وفيه مباحث مفيدة نافعة، ولكن فيه أخطاء نبَّه الشَّيْخ الظَّواهريّ على بعضها في كتابه (التبرئة) في الملاحظات على منهج وثيقة الترشيد والتراجعات في

" هذا وأن من أعظم واجبات الطَّائِفَة المَنصُورَة في هذا الزّمان هو جِهَاد الحكَّام المرتدّين المبدلين لشرع الله الّذين يحكمون المُسلِمِين بالقوانين الوضعِيَّة الكفرية- إلى أن قَالَ- وإفساد هَؤُلَاءِ الحكَّام وتبديلهم للشرائع والمفاهيم، وإشاعتهم للفواحش في المُسلِمِين، ولو كانَ الصّحابة رضوان الله عليهم أحياءً اليَوْم لكان أعظم أعمالهم هو جِهَاد هَؤُلَاءِ الحكَّام- إلى أن قَالَ- **وما أرى أحدًا من المُنتسبين إلى العلم الشَّرعيّ في زماننا هذا لم يتكلَّم في هذه المسألة مُنكراً ومحرّضاً المُسلِمِين عَلى الجِهَاد ما أرى مثل هذا يلقى الله إلّا والله تَعَالَى ساخط عليه**، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة]

إذن لقد دخل الصّائل الكافر وانحاز إليه صائل المرتدّين والمُنَافِقين، فإذا كانت الطَّائِفَة المَنصُورَة هيَ صفوة أهل هذا الدّين، فلا يعقل أن تفرط بأوجب الواجبات بعد التّوحيد -وهو دفع الصّائل- بدعوى القيام بالأعمال الّتي هيَ دون ذلك بإجماع العُلَماء، لأنَّ من فعل ذلك هو من الطَّائِفَة المدحورة وليس من الطَّائِفَة المَنصُورَة، إنَّه من الفئة القَاعِدَةِ الفارَّة من الزَّحف، هذا حكمه وقد فجأنا العدوُّ في عقر دارنا.

فالطّائفة المَنصُورَة في هذا الزّمان هم حملة السّلاح ورايات الجِهَاد لدفع هذا الصّائل:

أولاً: دفع صائل الكفّار الأصليين من يهودٍ ونصارى ومُشركين وملحدين ومرتدِّين وأعوانهم، دفعهم بالسّلاح والسَّيف، وهذا جِهَاد السنان، فمن قام بذلك اليَوْم فهم من أرومة الطَّائِفَة المَنصُورَة وأعيانها وأهلها، أفراداً كانوا أم جماعات.

ثانياً: دفع صائل المُنَافِقين والمُجادلين عن هَؤُلَاءِ الأَعدَاء بالبَاطِل من علماء السّلاطين ومبتدعة الدّعاة والمرجفين والمخذّلين، دفعهم بالحجّة والبيِّنة بِقَال الله وقالَ رسُول الله ﷺ، وهذا هو جِهَاد البَيَان الّذي بيَّنه العُلَماء.

السجون المصريَّة التي انتهجها سيد إمام، كما رد عليه الشَّيْخ المقدسي في (النكت اللوامع)، والكمال لله وحده. وانتفاع المجاهدين بها كتب دليل على أن المجاهدين لا يعرفون الحقَّ بالرِّجال، ولكن يعرفون الحقَّ فيعرفون رجاله، نسأل الله أن يفرج كربه، ويصلح أحوالنا وأحواله، وينجينا وإياه والمسلمين من قهر الظَّالمين ومكرهم.

فمن قام بهذا اليَوْم وتحمَّل في سبيل ذلك مشاقّ المطاردة والمُحَاربة والتَّشويه فهو من أعوان الطَّائِفَة المَنصُورَة ونرجوا أن يلحق بهم، وهم دون أهل القِتَال ما لم يكن من أهل العُذر الشَّرعيّ، ولا شَّكَّ عندي بذلك.

وأما من جمع السّيف إلى القلم، والرَّشَّاش إلى اليَراع، والقتال إلى العلم والدّعوة والأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر، فلا شَّكَّ أنَّهم من رؤوس الطَّائِفَة المَنصُورَة وقادتها وأعلامها وعلمائها ودعاتها المُجَاهدين، وهم فوق سابقيهم بالمرتبة ولا شكَّ.

نسأل العلي القدير برحمته وفضله الّذي يؤتيه من يشاء، أن يجعلنا منهم ومعهم، دنيا وآخرة، تحت لواء حبيبه المُصطفى ﷺ.

****

المُقاوَمة الإسْلاميّة العَالَمِيّة

الجزء الأوّل

(الجُذُور- التّاريخ - التّجَارب)

(فصول تمهيديَّة في التّاريخ والتّحليل السّياسيّ والفقه الجهاديّ الحَركيّ)

- الفَصلُ الأوّل: واقع المُسلِمِين اليَوْم.
- الفَصلُ الثّاني: أحكامٌ شرعيّةٌ في ضوءِ هذا الواقع.
- الفَصلُ الثّالث: جُذُور النّظام الدّولي ومسار الصِّرَاع من قابيل إلى جُورج بُوش.
- الفَصلُ الرَّابع: الصِّرَاع مع الرُّوم ومُعادلات القوى فيه عبر التّاريخ.
- الفَصلُ الخامس: خُلاصة مسار الصَّحوة الإسْلَاميّة (١٩٣٠- ٢٠٠٤) م.
- الفَصلُ السَّادس: خُلاصة مسار التّيار الجهاديّ المُسلّح (١٩٦٥-٢٠٠٤) م.
- الفَصلُ السَّابع: الحلول الّتي طُرِحَت لدى الجهاديّين للخُروجِ منَ الأزمة.

الفصل الأول

واقعُ المُسلِمينَ اليَوْم

قَالَ تعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤﴾ [طه]

ورُويَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وَإِنَّ أَشْقَى الْأَشْقِيَاءِ مَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ فَقْرُ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ».[1]

«يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خِصَالٌ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَؤُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ إِلاَّ جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»[2].

«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ، وَالْبُخْلُ، وَيُخَوَّنَ الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنَ الخَائِنِ، وَيَهْلِكَ الْوُعُولُ، وَتَظْهَرَ التَّحُوتُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوُعُولُ وَالتَّحُوتُ؟ قَالَ: «الْوُعُولُ: وجُوهُ النَّاسِ وَأَشْرَافُهُمْ، وَالتَّحُوتُ: الَّذِينَ كَانُوا تَحْتَ أَقْدَامِ النَّاسِ لَا يُعْلَمُ بِهِمْ»[3].

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٣١٥٤) والحاكم في المستدرك (٧٩١١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وضعفه الألباني وأخطأ ابن الجوزي فجعله موضوعاً.

(٢) ابن ماجه (٤٠١٩) عن عطاء عن عبدالله بن عمر ﷺ، وحسنه الألباني (الصحيحة١٠٦) والأرنؤوط.

(٣) أخرجه الحاكم (٨٦٤٤) وابن حبان (٦٨٤٤)، وضعفه الأرنؤوط، وصححه لغيره الألباني(الصحيحة ٣٢١١).

الفصل الأول

﴿ واقع المُسلِمين اليَوْم ﴾

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه]

وقد روي عن رسول الله ﷺ في الحديث الّذي صحّحه الحاكم من رواية أبي سعيد الخدريّ أنه قَالَ: «وَإِنَّ أَشْقَى الأَشْقِيَاءِ مَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ فَقْرُ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الآخِرَةِ»(١).

والحقيقة : ليس أوجز لوصف واقع أكثر المُسلِمين اليَوْم من هذه الآية وهذا الحديث.

إذ يمكن تلخيص واقع المُسلِمين اليَوْم تحت عناوين رئيسيَّة ثلاثة:

أولاً: ذهاب الدّين عند أكثرية المُسلِمين.

ثانياً: ذهاب الدُّنيَا لدى الغالبيّة السَّاحقَة من المُسلِمين.

ثالثاً: تسلُّط الأَعدَاء وتحكمهم في كافّة مناحي حياة المُسلِمين.

ولنقف عَلى نبذة من التَّفصيل في هذه العناوين.

****

---

(١) سبق تخريجه.

﴿ أولاً: ذهاب الدّين ﴾

فإنَّ الأُمّة كادت تفقد معظم مقوّمات دينها، ويتجلَّى ذلك في مظاهر انهيار الحياة الدّينيّة وفسادها لدى معظم المُسلِمين، وكذلك فساد أحوالها وضياع مقدّساتها، وأهمّ ذلك غياب الحكم بشرع الله عنها، ويمكن إبراز أهمّ وجوه ذلك فيما يلي:

١- غياب الحكم بشرع الله عن كافّة بلاد المُسلِمين:

فكما رُوي عن رسول الله ﷺ قوله: «لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ»(١).

وقد تحقق إخبار رسول الله ﷺ بذلك، ونقض الحكم بشكل متدرج إلى أن اندثر بالكامل، فقد كانت الثلمة الأولى بانصرام الخِلافَة الرّاشدة الّتي سارت عَلى هدي النبوة بعد ثلاثين سنة من وفاته ﷺ، وعقب ذلك تحول الحكم إلى نظام الملك العضوض الوراثي عَلى يد بني أميَّة، ثمّ استمر ذلك في ملك بني العبّاس ومن تلاهم من الملوك الطَّوائف، مع ما يتبع ذلك مما يلازم نظام الملوك في الحكم حيث تدرجت القصور -وهي مراكز الحكم المركزيّ- في الفساد حتَّى بلغت من ذلك مبلغاً عارماً.

وبتسلّل الضّعف إلى خلافة بني العبّاس نهايات القرن الثّالث الهجريّ، تفكّكت الممالك في أطراف الدّولة الإِسْلَاميّة لتقوم بذلك سلطناتٌ ومملكاتٌ وإماراتٌ تعتمد القهر والجبروت، وتتفاوت فيها وتختلط مظاهر الصّلاح والفساد، وتحوّلت الخِلافَة شيئاً فشيئاً إلى رمزٍ شكليّ أكثر منه نظام حكم وسلطة.

وكلما أوغل الحكم مع الوقت بعداً عن شريعة الله الكاملة، بسبب تلاعب أهواء الملوك وتدليس علماء السُّلطَان، دبَّت بسبب ذلك مظاهر الفساد في كافّة مرافق حياة المُسلِمين، إلى أن وصلت الأحوال إلى اجتياح التّتار لمشرق بلاد الإِسْلَام وغزو الخِلافَة في عقر دارها، بعد أن نشطت الهجمات الصّليبيّة عَلى يد الرُّوم والممالك المسيحيَّة الأوروبيَّة وتمكَّنت من إقامة مُستَعمرات صليبيّة عَلى سواحل الشّام، إلى أن

---

(١) رواه أحمد (٢٢١٦٠) عن أبي أمامة ﷺ يرفعُه ، وصححه الألباني في صَحِيح الجَامِع: (٥٠٧٥) ، وقال الأرنؤوط : إسناده جيد.

تواصل التردِّي ليبلغ قمَّته في سقوط بغداد بيد التّتار سنة ٦٥٦ هجريَّة، وتقطّع أوصال الخِلافَة العبّاسيّة لتدخل كافّة بلاد الإِسْلَام تحت وطأة سلاطين الحكم الجَبريّ بالكامل، ولكن مع بقاء مبدأ الحكم بالشّريعة كأساس في معظم تلك الممالك بشكل عام.

ثمّ حصلت نهضة استثنائيَّة ولفترة محدودة بقيام الدّولة العُثْمَانِيّة الّتي نقلت الخِلافَة إليها، وأعادت إليها هيبتها المركزيّة ردحاً من الزّمن، ثمّ ما لبثت أن دبَّ إليها الانحلال، وبدأ الفساد يطال مجال التَّشريعات والحكم بما أنزل الله، ثمّ تكالبت عليها الدّول الاستعماريّة الأوربيَّة، وتآمر عليها اليَهُوْد كي يصلوا إلى فِلَسطِين، حيث تمكَّن حلف الخصوم من إسقاط الخِلافَة العُثْمَانِيّة سنة ١٩٢٤ ميلاديَّة وتبع ذلك سقوط كافّة البلاد الإِسْلَاميّة تحت استعمار مختلف الدّول الأوربية الصّليبيّة وعلى رأسها إنجلترا وفرنسا وروسيا وغيرها، وخلال فترة الإستعمار نشأت مذاهب العلمانيّة في بلاد الإِسْلَام وانتشرت في أوساط الطبقات المثقفة من أبناء المُسلِمِين برعاية المُستَعمر الّذي أنشأ عَلى عينه منها أحزابا سياسيّة وشخصيات وأسر مالكة مهد لها استلام السّلطة من بعده في مرحلة ما بعد الإستعمار، أو ما أطلق عليه اسم (الاستقلال)، ليقوم بذلك حكم الطواغيت بغير ما أنزل الله في كافّة بلاد الإِسْلَام برعاية وإشراف الدّول الاستعماريّة.

وهكذا مر الحكم الّذي نقض عروة عروة بالمراحل الّتي أخبر عنها رسول الله ﷺ فيما روي عنه من حديث حذيفة رضي الله عنه: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ»[(١)]. وفي رواية غاية في الأهمّيّة أوردها ابن حمَّاد في كتاب الفتن من حديث أنس رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّها ثمّ .. ثمّ مُلكٌ عَضُوض ثُمّ جَبريّة ثمّ

---

(١) رواه أحمد (١٨٤٠٦) وقال الأرنؤوط: إسناده حسن ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥).

طَواغِيت»(١)، وهذا الّذي حصل في بلاد المُسلِمِين منذُ رحيل الإستعمار وقيام حُكُومَات الطّواغيت لترعى مصالحه وتحكم بشرائعه إلى يومنا هٰذا، حيث تجاهر معظم حُكُومَات بلاد المُسلِمِين بحكمها بغير ما أنزل الله، بل وتجاهر أكثرها بعدم صلاحيَّة الشّريعة الإِسْلَاميّة للحكم في العُصُور الحديثة! بل وتنسب تخلُّف المُسلِمِين الحاليّ ومشاكلهم إلى الشّريعةِ ذَاتها!

وهكذا وضعت الدَّسَاتير، وسنَّت في ضوئها آلاف القوانين الّتي تحاربُ الله ورسولَه ودين المُسلِمِين، وتعاكس شريعة ربّهم بكلِّ صَفَاقة ودون أيّ مواربة ولا حَيَاء.

ففي كثيرٍ من بلادِ الإِسْلَامِ أُزيلَت حَاكِمِيَّة الشّريعة نصّاً من تلك الدّساتير، وأبقيت في بعضها مجرَّد عنوان ممزوج بالشِّرك الصَّريح بقولهم (الشّريعة الإِسْلَاميّة هيَ المَصدر الأساسيّ للتَّشريع) جاعلينها مَصدَراً إلى جانبِ مصادر أُخرى، في حين زعمت بعض البلاد كما (السّعُودِيّة) (أنَّ الشّريعة الإِسْلَاميّة هيَ المصدر الوحيد للتَّشريع) ولكنَّها جعلت إلى جانب المحاكم الشَّرعيَّة محاكم مدنيّة أو وضعِيَّة أو مُختصَّة بحسب ما أسموها وكلّها تحكم بتشريعاتٍ وقوانينٍ ولوائح تنظيميّة مستمدّة أو مُستَوحاة من تشريعاتِ أوروبّا أو من تلك الّتي ابتدعها كفار العلمانيين والمشرّعين المنتسبين لهذه الأُمّة بالأسماء والأشكال، فاستعلنت تلك التَّشريعات وصارت لها المحاكم والهياكل الإداريَّة والقوانين الّتي تنفذ وتحكم في رقاب المُسلِمِين إلى جانب ما بقي في بعض البلاد من قوانين الشّريعة الإِسْلَاميّة في بعض

---

(١) لم أقف له على ذكر لفظ (ثم طواغيت) في كتاب الفتن لنعيم بن حماد كما ذكر الشَّيْخ ، ولعله قصد الحديث الذي أورده أبو عمرو الداني في كتابه السنن الواردة في الفتن ورقمه (٤١٨) ونصه: – حَدَّثَنَا ابْنُ عَفَّانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شِمْرِ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: «إِنَّهَا نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ خِلَافَةٌ وَرَحْمَةٌ ، ثُمَّ مُلْكٌ عَضُوضٌ ، ثُمَّ جَبْرِيَّةٌ ، ثُمَّ طَوَاغِيتُ». ولو أنَّ الشَّيْخ ذكره من طريق بن أبي الشيبة في المصنف ورقمه (٣٠٥٦٥، ٣٧١٩٣)، ونَصّه : حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ زَائِدَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ شِمْرٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ مُلُوكٌ ثُمَّ الْجَبَابِرَةُ ثُمَّ الطَّوَاغِيتُ» الحديث موقوف على أنس ، وإسناده صحيح ، ورجاله ثقات، وإن الإمام أحمد بن حنبل قال لم يسمع الأعمش من شمر ، ولقد صحح الحاكم وابن حبان حديث الأعمش عن شمر، وروى شعبة عن الأعمش عن شمر حديثاً، وهو لا يروي عن الأعمش إلا ما صرح فيه بالسماع، فيحتمل سماع الأعمش عن شمر، وأما شمر بن عطيّة فقد كانَ بالكوفة وعاصر أنس نزيل البصرة إذ أن أنس توفي ٩٠هـ، وشمر توفي قرابة ١٢٠هـ .

مجالات الأحوال الشَّخصيَّة، حيث تتولى السُّلطات الكافرة الحاكمة بالحديد والنار إنفاذ قوانين الكفر وإخضاع النّاس لها.

وهكذا اكتمل نقض الحكم في كافّة بلاد الإِسْلَام بلا استثناء، وهذا البلاء هو أهمّ مظاهر ذهاب الدّين، وأساس كافّة أنواع البلاء الأخرى من مظاهر فساد الدّين وذهاب الدُّنيَا وتسلط الأَعدَاء، ولا جرَم أنَّ كلّ ما نحن فيه مما سنورد بعضه في هذا الفَصل متفرِّع عن هذه الطَّامة العُظمى وهي (**الحكمُ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ وتبديلُ شرائِعهِ عَلى يدِ حكَّامنا المرتدّينَ الخَونةِ وولايتِهم لليهودِ والنّصَارى مِن أسيادِهم الكافِرين**).

****

٢- احتلال المقدّسات الثّلاثة في ملة الإِسْلَام:

وهي مكّة المكرمة وفيها الكعبة والمسجد الحرام، والمدينة المنورة وفيها مسجد رسول الله ﷺ، والقُدس الشَّريفة وفيها المَسجِد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشّريفين.

فعلى عكس ما هو شائع ومعروف من أن القُدس كانت أول المقدّسات ذهابًا وذلك سنة ١٩٦٧م، وأنَّ مكّة والمدينة وجَزِيرَة العَرَب عقر دار الإِسْلَام قد وضعت تحت نفوذ الأمريكان وقوَّات التَّحالف الصّليبيّ الّتي أطبقت عليها إبّان حرب الخليج الثّانية سنة١٩٩١م، ثمّ الثّالثة سنة ٢٠٠٣م.

فإنَّ الحقيقة أنَّ مكّة والمدينة كانت قد ذهبت ووضعت تحت نفوذ الصّليبيّيّن قبل ذلك بكثير، وأن ذهاب القُدس كانَ تبعا لذهاب مكّة قبله، وأن قوى الرِّدَّة الّتي سيطرت عَلى مكّة كانت صاحبة دور أساسيّ في ذهاب القُدس عَلى أربعة مراحل رئيسيَّة، وهي: (١٩٣٦– ١٩٤٧ –١٩٦٧– ٢٠٠٢ م).

وذلك أن بَرِيطَانيَا الإمبراطوريَّة كانت قد احتلَّت منذُ مطلع القرن السَّادس عشر وعبر القرون الثّلاثة الّتي تلَته كثيرًا من أطراف العالم الإِسْلَاميّ، وبسطت سيطرتها المباشرة عليها، ومنها أطراف جَزِيرَة العَرَب (سواحل اليمن وعُمان وإماراتِ الخليج والكويت) وقد تنبَّهت بَرِيطَانيَا لما تشكّله بلاد الحجاز من قدسيّة لدى المُسلِمين وما تميّزت به بلاد نجد من الإستقلال الذَّاتيّ حتَّى عن مركزيَّة الخِلافَة العُثمَانِيّة، فعمدت إلى مكرٍ خبيث منذُ مطلع القرن التّاسع عشر من أجل السَّيطرة عليها، وذلك بالتّعاون

مع عميلهم الأكبر عبد العزيز آل سعود مؤسِّس الدّولة السّعُودِيّة الثّالثة الحاليَّة، حيث كانَ والده عبد الرحمٰن وأسرته وأولاده قد لجؤوا إلى الكويت فارِّين من نجد بعد انهيار الدّولة السّعُودِيّة الثّانية.

تلَّقفت وزارت المُستَعمرات البريطانيَّة بإشراف مندوبها وعميلها الجَدِيد عبد العزيز آل سعود سنة (١٨٩٨م) وكان قد جاوز العِشرين من عمره بقليل، ورأت صلاحيَّته للمهمّة الّتي نفّذتها بحذاقة، فقدمت له الدّعم العسكريّ والذَّهب البريطانيّ وأوحى إليه مستشاروه باستغلال الدّعوة الوَهَّابيّة وحماسُ دعاتها المُجَاهدين من (الإخوان).

وتمكَّن عبد العزيز من السّيطرة عَلى الرِّيَاض ثمّ نجد عبر عدّة حملات منذُ (١٩٠٢م) ثمّ وقع الخيار من قبل بَرِيطَانيَا عليه لمشروعها في جَزِيرَة العَرَب، بعد أن خدعت (الشَّريف حسين) عميلها الآخر في الحجاز، وتمكنت بَرِيطَانيَا من إعلان عبد العزيز سلطانًا عَلى نجد والحجاز، بعد أن ضمُّوا إليها مناطق نجران اليمنيّة، سنّة (١٩٣٢م)، حيث عقدوا معه صكَّ ضمان لملكه لتلك البلاد تحت المسمَّى الجَدِيد الّذي أقامته بَرِيطَانيَا وهو (المملكة العربيَّة السّعُودِيّة)، وضمِنَت بموجب ذلك بَرِيطَانيَا العرش لعبد العزيز وأولاده من بعده مقابل نفوذها عَلى تلك البلاد، وأخذت عليه ألا يعقد عقدًا ولا يبرم أمرًا ولاسيَّما في علاقاته الخارجيّة بغير إذنها ومشورتها، وقد أصبحت هذه الاتّفاقيات الآن وثائق منشورة معروفة تناولتها الكتب الّتي أرَّخت لتلك الفترة، وهي مثبتة فيما نشر من وثائق وزارة الخارجيّة البريطانيَّة الّتي تنشر بعض أرشيفها كلما مرَّ عليها ثلاثين سنة.

وبقيام حكم عبد العزيز آل سعود وسيطرته عَلى بلاد الحجاز بعد المذابح الّتي أقامها جيشه بمساعدة الطَّيران الإنجليزيّ (للإخوان) في معركة (السبيلة)، قضى عَلى قوى الخير الّتي أوصلته إلى الملك بعد أن خدعها بتبنِّيه المزعوم للدَّعوة الوهَّابيَّة، وهكذا صفا الجوُّ لعبد العزيز وأولاده من بعده، ليضعوا مقدَّرات الأُمّة الماليَّة ومقدّساتها الدّينيّة تحت هيمنتهم وسلطانهم الّذي تعهَّدوا أن لا يخرجوا فيه عن مشورة التَّاج البريطانيّ.

منذُ ذلك الحين ومكّة والمدينة وجَزِيرَة العَرَب تحت سيطرة الإنجليز، ومن ثمّ الأمريكان الّذين ورثوا العرش السّعُودِيّ ونفط جَزِيرَة العَرَب والإشراف عَلى مكّة والمدينة ضمن ما ورثوه من ممتلكات

التَّاج البريطانيّ بعد الحَرب العَالَمِيّة الثّانية (١٩٤٥م) الّتي أزالت سيادة أوروبّا الاستعماريّة، لتتقاسمها سيادة أمريكا وروسيا، وكانت جَزِيرَة العَرَب وأمراء محميَّاتها البريطانيَّة ومنهم آل سعود ضمن ما ورثت أمريكا من بَرِيطَانيَا، والتقى الرَّئيس الأمريكيّ (رُوزفِلت) بالملك (عبد العزيز) عَلى ظهر سفينة حربيّة أمريكيّة بعد الحَرب العَالَمِيّة الثّانية، ونقلت في ذلك اللّقاء كفالة ذلك العرش السّعُودِيّ الخَائِن إلى الأمريكان بعد البريطانيّين مقابل سمعهم وطاعتهم، فصار يتلقّى المدد من الأسياد الجدد (الأمريكان)، ويعطيهم الوَلَاء كما كانَ الحال مع أسلافهم الإنجليز.

وممّا نشر من وثائق تلك المَرحَلَة موافقة عبد العزيز عَلى بَرَامج الإنجليز في الهِجرَة الصّهيونيّة إلى فِلَسطِين وعدم الاعتراض عَلى إعطائها لليهود، وموافقته عَلى وعد بلفور.

وفي عام (١٩٣٦م) قامت الثَّورة الكُبرَى الّتي أَشعَلَهَا الشَّيْخ عزُّ الدّين القَسَّام رحمه الله(١) في فِلَسطِين ضدّ المُستوطنين اليَهُوْد، الّذين بدؤوا يزحفون عَلى فِلَسطِين بإشراف الإنجليز الّذين كانوا قد تعهَّدوا بإعطاء فِلَسطِين وطنًا قوميّاً لليهود عبر وعد بلفور رئيس وزراء بَرِيطَانيَا سنة (١٩١٧م)، وعجزت بَرِيطَانيَا عن إخماد الثَّورة، فاستنجدت بعميلها (الملك عبد العزيز)، الّذي أرسل ولده ووزير خارجيّته (فيصل) ليتحايل عَلى عرب فِلَسطِين وزعماء ثورة (١٩٣٦م)، من أجل إيقافها بعد أن كفل لهم وفاء (صديقتنا بَرِيطَانيَا) عَلى حدِّ وصفه، فأُوقفت الثَّورة ثمّ أُخمدت، وكان ذلك أوّل خطوات ضياع القُدس.

ثمّ أشرفت الجُيُوش العربيَّة السَّبعة وحكّام بلادها عَلى الانسحابات الشَّكليّة للجُيُوش العربيَّة بإشراف بَرِيطَانيَا، لتقوم عَلى إثر تلك الهزائم المبرمجة دولة إسرائيل سنة (١٩٤٧م) عَلى أكثر أرض فِلَسطِين، وليضيع معها النّصف الغربيّ للقدس.

وعبر مؤامرةٍ شبيهةٍ سنة (١٩٦٧م) تمَّ لإسرائيل احتلال القُدس الشَّرقيَّة وفيها مسجد الصّخرة والمسجد الأقصى ضمن ما احتلَّت من الضِّفة الغربيّة وأجزاء من سوريا ومصر والأردن.

---

(١) هو الشَّيْخ محمد عز الدين بن عبدالقادر القسام الشهير بعزِّ الدين القسام، عالم وداعية مجاهد من مواليد جبلة من أعمال اللاذقية سنة ١٨٨٣م درس في الأزهر وتوفي في ٢٠نوفمبر ١٩٣٥م .

ثمّ تتالت فصول المؤامرة – وليس هذا الكتاب محلَّ تفصيلها – لتمرّ بمحطة مؤتمر مدريد للسّلام سنة (١٩٩١م) من أجل التَّطبيع مع اليَهُوْد حيث شاركت فيه السّعُودِيّة وصدرت الفتاوى التّارِيخِيَّة بإباحة ذلك والتَّدليل عليه بالآيات والأحاديث من قبل هيئة كبار العُلَماء في السّعُودِيّة ورئيسها – أبُوهم الوَالد – الشَّيْخ (عبد العزيز بن باز)(١)، بعد أن كانوا قد أفتوا بإباحة دخول جُيُوش الصّليبيّين الأوربّيين والأمريكان لجَزِيرَة العَرَب بدعوى ضَرورة مُوَاجَهة خطر صدَّام حسين!

ثمّ تابع قطار المؤامرة والكوارث مسيره ليصل إلى (مبادرة الأمير عبدالله بن عبد العزيز) وليّ العهد السّعُودِيّ، والحاكم الفعليّ الحاليّ للرِّياض أواسط عام (٢٠٠٢م) ليعرض التَّطبيع الكامل مع اليَهُوْد والاعتراف بإسرائيل مقابل إعادة ما احتلَّته سنة (١٩٦٧م) متنازلًا عن باقي فِلَسطِين! ولينعقد مؤتمر القمّة العربيّ الّذي حول مبادَرته إلى مشروعٍ عربيّ كانَ الغرض منه إجهاض الإنتفاضة الّتي انطلقت بعنفٍ وقوةٍ في رجب (١٤٢٣هـ) أي قبل المبادرة بسنة، وقام (سعود الفيصل) وزير خارجية السّعُودِيّة بتسويق المبادرة عربياً وعالمياً ليكمل ما قام به أبُوه وعمُّه وجدُّه من قَبل، رغمَ أنَّ إسرائِيل قبِلَت نصفَ

---

(١) عبدالعزيز بن عبدالله بن باز: عالم مشهور وفقيه قاض شغل منصب مفتي عام للسعودية منذ ١٩٩٢م وحتى وفاته (١٣ مايو ١٩٩٩م)، كما أنه شغل منصب رئيس هيئة كبار العلماء في السعودية، وكان يرى حكام الجَزِيرَة ولاة أمر المسلمين ويجب طاعتهم. ومن أقواله : (وهذه الدولة السعودية دولة مباركة وولاتها حريصون على إقامة الحق وإقامة العدل ونصر المظلوم وردع الظالم واستتباب الأمن، وحفظ أموال الناس وأعراضهم) نقلاً من شريط مسجل للشيخ في ٢٩/ ٤/ ١٤١٧هـ. بعنوان "حقوق ولاة الأمر على الأمة ".

وقال عنه الشّيخ أبو محمّد المقدسيّ: (يعلم أنّهم علماء في الشّريعة وأنّ أصولهم وقواعدهم سلفيّة صحيحة، وقد استفاد منهم في غير هذه الأبواب وتتلمذ عليهم وعلى كتاباتهم أكثر أهل هذا الزّمان وأنا واحدٌ منهم، لكنّ هذا لا يعني أن نقرّهم على أخطائهم في تلكم الأبواب أو أن نسكت عن الانكار عليهم فيها، بل ننكرها ونشدّد أو نخفّف في إنكارها عليهم وعلى مقلّدتهم بحسب فداحة الخطأ وعظمه، ولا يضرُّنا مع هذا كلِّه من شنَّع علينا في ذلك واتّخذه ذريعة للطَّعن فينا عموماً والتّنفير عن كتاباتنا ودعوتنا أو سلَّماً لنيلِ رضى الطّواغيت وأذنابهم، فحسبينا نحن وهؤلاء وأولئك من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصُّدور وعنده سبحانه قريباً سيجتمع الخُصوم) [الدّولة السّعودية وموقف الشّيخين بن باز والعثيمين منها] للمقدسيّ.

المُبَادَرَة (التَّطبيع والاعتراف بها) ورفضت نصفها (الانسحابات مما احتلَّته سنة ١٩٦٧م) وتوَّجت ذلك بالإطاحة بالسّلطة الفلسطينيّة وإعادة احتلال ما خوَّلتها إيَّاهُ من الضِّفّة الغربيّة وقطَّاع غزَّة، وصعَّدت مجازرها للفلسطينيّين منذُ ذلك الحين.

وخلال تلك السِّنين وفي أواخر (١٩٩٠م) وأوائل (١٩٩١م) زحفت جُيُوش التَّحالف الدّولي وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا لتُنزل في جَزِيرَة العَرَب مليون جندي بمعدَّاتها وآليَّاتها العسكريّة وبوارِجها وطائِراتِها تحتَ سِتارِ تحريرِ الكويتِ ليبدأ الإحتلالُ والتَّمركزُ المُنظَّم للأمريكان والهجمة الصّليبيّة الحديثة عَلى الشَّرق الأوسَط (جَزِيرَة العَرَب والشّام ومصر والعراق)، وهكذا وُضِعَت مقدّسات المُسلِمِين الثّلاثة (مكّة والمدينة وبيت المَقْدِس) تحت الإحتلال الصّليبيّ المباشر بإشراف حُكَّام آل سعود وأمراءِ جَزِيرَةِ العَرَبِ الّتي توفّي رسولُ الله ﷺ وهو يُوصي المُسلِمِينَ وينشدهم بقوله «**أخرجوا المُشرِكينَ مِنْ جَزِيرَة العَرَب**»[1]، وبوجود (القُدس) تحت احتلال اليَهُوْد بمساعدة الأمريكان وتعهُّد الإنجليز تكونُ مقدّسات المُسلِمِين الثّلاثة قد وُضعت تحت احتلال اليَهُوْد والصّليبيّين وهذا من أظهر مظاهر فساد الدّين لدى المُسلِمِين الّذين خلَّوا بين أعدائهم وأقدس مقدّساتهم وللأسف.

****

٣- فساد عَقِيْدَة التّوحيد لدى معظم المُسلِمِين وانتشار البِدَع واندثار السُّنة:

فإن النَّاظر في أحوال المليار وربع المليار من المنسوبين لملّة الإِسْلَام اليَوْم يجد أنّ أغلبهم لم يعد لديهم من الدّين إلّا رَسَمهُ، بل ربما إلّا اسمهُ، ويجد أنّ الملتزمين بالشّعائر منهم وهم في أهل الإِسْلَام قلّة في هذا الزّمان، قد توفّروا عَلى عقائد مشوّهة، ليس فيها ممّا كانَ عليه سلف هذه الأُمّة ورعيلها الأوّل إلا النّزر اليسير، فقد درست معالم العَقِيْدَة السّمحَاء الّتي جاءنا بها رسول الله ﷺ ووصف أصحابها بخُلاصة قوله «**مَا أَنَا عَلَيهِ اليَوْمَ وأصحَابِي**»[2]، قد وَهَت هذه العَقِيْدَة في نفوس أكثر من يُنسبُون إلى الالتزام بل إلى

---

(١) متفق عليه، البخاري (١١٤، ٣١٦٨) ومسلم (١٦٣٧).

(٢) جزء من حديث افتراق الأمة، أخرجه التِّرمِذِيّ (٢٦٤١) وقال الألباني: حسن (السلسلة الصحيحة ٢٠٤)

الإنتماء للصَّحوة الإِسْلَاميّة ومدارسها المختلفة، وحصل ما أخبر به ﷺ من افتراق هذه الأُمّة عَلى ثلاثٍ وسبعينَ شُعبة كلّها في النّار إلا واحدة، كما تحقّق ما أخبر عنه من قيام دعاة عَلى أبواب جهنّم من أجابهم إليه قذفوه فيها، وقد تدرّج اندراس هذه العَقِيْدَة لدى المُسلِمِين منذُ القرن الثّاني الهجريّ، وما زال البلاء والبِدَع والانحرافات تطرأ تدريجيّاً عليها بما أفسد الملوك وفجّار القرّاء من هذا الدّين، كما قَالَ ابن المُبَارَك رحمه الله:

وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا المُلُوكُ ۞ وأَحـبَارُ سُـوءٍ وَرُهْـبَانُـهَا

والنَّاظر في أحوال العُلَماء اليَوْم وتلاميذهم وأحوال المنسوبين لقيادة مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة، لا نجد ممّن يدعوا إلى ما كانَ عليه الرَّعيل الأوّل إلَّا أحاد الغُرَباء هنا وهناك، فمن نجا من (ترهَّات) المبتدعة والضَّلال والمنحرفين وأهل الأهواء والملل والنِّحل المختلفة، لم ينجُ في الغالب من البلاء العامّ في زماننا هذا وهو عَقِيْدَة الإرجاء، وهو دينُ الملوك في زماننا هذا وكلّ زمان، فلا تجد في أكثر قادة وعلماء ورموز من يُنسبون للصَّحوة الإِسْلَاميّة والعمل الإِسْلَاميّ والدّعوة، من أَقصى المُتصوِّفة إلى أقصى السّلفيّة مرورًا بمعظم روّاد الحركات الإِسْلَاميّة والدَّعويّة، إلا مُسبِّحًا بحمد السّلاطين، مواظبًا عَلى موائد الحكّام ومجالسهم، مُستجدياً لِرضَاهُم، ممَّا أضعف مكانة الدّين كلّه في نفوس العامّة، فقد مَسخت عَقِيْدَةُ الإرجاء توحيدَ الألوهيّة وتوحيدَ الحاكِمِيَّة في ضميرِ أكثرِ الأُمّة، حتَّى أصبح الحكّام المرتدّون العملاء الحاكمون بغير ما أنزل الله، الظّالمون لرعيّتهم وأهل ملّتهم، الفاسقون في سلوكهم وأحوالهم، الكافرون بشريعة ربّهم أصبحوا لدى أغلب علماء اليَوْم وكأنّ القرآنَ – حاشاه – قد نزل فيهم: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئكَ همُ المُؤمِنون الصّالحون! وليس كما نزل بالحقِّ والعدل والصّدق﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة]﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥﴾ [المائدة]﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤٧﴾[المائدة][كما عبَّر عن ذلك شهيدُ الإِسْلَامِ سيّد قُطب رحمه الله][1].

---

(١) سيد قطب: الأستاذ الداعية الكاتب الأديب المفكر الشهيد عملاق الفكر الإسلامي، ولد رحمه الله في قرية من قرى الصعيد اسمها (موشه) سنة (١٩٠٦م) وسَجنه وحَكَمَ عليه المجرم الطاغية جمال عبد الناصر بالإعدام وطلبوا منه أن يعتذر لِيُلغى الحكم فأبى وقال: إنّ الإصبع التي تشهد بالتَّوحيد لا يمكن لها أن تخطّ اعتذاراً لطاغية ، وتمَّ التنفيذ في =

وهذا من أعظم مناحي فساد العَقِيْدَة لدى العامّة والخاصة، ناهيك عما انتشر بين من بقي في أنفسهم للدين مكانة، من أنواع الخرافات والبِدَع و(الخُزَعبَلات) والتَّعلُّق بالأموات والقُبور والمَزَارَات وشعوذات المشعوذين، هذا عند أكثر من ينسب للتَّدين.

أما الدَّهماء والعوامّ، فقد نَسي معظمُهم اللهَ فأنساهُم أنفسَهم، وأصبحَ أكثرُهم يعبدُ الحُكُومَات، أو يعبد المال، أو يعبد أهواءَ نفسِه، أو يعبدُ القنوات الفضائيَّة وشاشات التّلفزيون يقوم عليها اللّيل ويعتقد بكل ما تدسّه في رأسه من سُمُوم.

وصارت إلٰـه العصر (أمريكا والغرب) وثقافتهم وأفكارهم، تعبد وتقدّس ويُعتقد بها أكثر مما يتعبّد النّاس لله بعقيدتهم الصَّحِيحة، وصار أكثر النّاس يعتقدون في رؤسائِهم وكبرائِهم وأغنيائِهم أنّهم ينفعون ويضرّون، ويُرزقون ويَحرمون، ويعطون ويمنعون ويرفعون ويخفضون، بل يُحيون ويُميتون، فأيّ معنى وأيّ إيمانٍ بقي لأَسماء الله الحُسنى وصفاته العلى في نفوس أئمة وعلماء هَؤُلَاءِ ناهيك عن عوامهم؟! وأي طعمٍ بقي لزعمِهم تصحيح العقائد.

وأما أكثر من يسمَّون (طلاب علم) فقد تفشّى في أكثرهم داءُ عبادة الأحبار والرّهبان الّذين أحلّوا لهم الحرام فتبعوهم، وحرَّمُوا عليهم الحلال فصدّقُوهم، ونافقوا لملوكهم ورؤسائهم فاقتدوا بهم، ونشروا فيهم بدعًا وضلالاتٍ ما أنزل الله بها من سلطان عَلى أنَّها دين الله فتبعوهم.

وأمُا (دعاةُ الإسلام) والعاملونَ في الحركات الإِسْلَاميّة فقد أنزلوا أحزابهم وقياداتِهم، مثل ما أنزلَ طلابُ العلم مَشَايخَهُم من الإتّباع والطّاعة العمياء، رغم علمهم بأنّ ذلك مُنافٍ لأبسطِ مقوّماتِ عقائد

---

٢٩ أغسطس ١٩٦٦م ﷺ، يقول سيد في فصل (نقلة بعيدة / معالم في الطريق ٢٠٦): (لن نتدسس إلى الناس بالإسلام تدسساً ولن نربِّت على شهَواتهم، وتَصَوُّرَاتِهم المنحرفة، سنكون معهم صُرَحاء غاية الصَّراحة، هذه الجاهليَّة التي فيها خبث، والله يريد أن يطيِّبكم)، ولسيِّد العديد من المواقف والكتب العظيمة والمقالات الأدبية والأشعار ولعل من أشهر كتبه (في ظلال القرآن – هذا الدين – معالم في الطريق ...) وغيرها وللتعرّف على هذه الشّخصية العظيمة إقرأ كتيب [عملاق الفكر الإسلامي الشّهيد سيّد قطب ـ بقلم الشّيخ عبدالله عزّام ﷺ].

الوَلَاء والبَرَاء، وأن لا طاعة لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق، ثمّ لا تجد إلّا متمحّكاً لتبريراتٍ، ومتعسّفًا لتعليلاتٍ من أجلِ تسويغ الإتباع الأعمى وعبادة الرّجال، إلّا من رحمَ الله وقليلٌ ما هم.

والمصيبة أنّ كثيرين منهم يظنُّون أنّ تصحيح العَقِيْدَة هو مجرّد التّوغّل في بحوث الأسماء والصّفات، ومحاربة القبور والموتى والمزارات، وما دروا أنّ صحّة الاعتقاد تشمل كافّة مناحي الحياة عَقِيْدَةً وعبادةً وسلوكاً واتباعاً.

حتَّى صار الدَّاعي إلى الله، وإلى حقيقة العودة إلى دينه غريباً بين النّاس، قابضاً عَلى جمرة الصّبر، منطوياً عَلى حُرقة المعاناة تمامًا كما وصف رسول الله ﷺ، فقد انتشرت البِدَع، واندثرت كثيرٌ من السُّنن حتَّى عند الملتزمين من المتديِّنين وهم القلَّة في الأُمّة، وأما أكثر باقي الأُمّة، فما هم في السُّنة ولا في البِدَعة لقد أصبح أكثرهم يستنُّ بسُنن المُغنّيين والمُغنّيات والرّاقصين والرّاقصات والرِّيَاضيين والرِّيَاضيات، الأحياء منهم والأموات، وأصبحت دور الأزياء ورموز الفنّ والمجلّات، ونجوم الشّاشات الصّغيرة والكبيرة نموذجاً للتَّقليدِ والإتِّباعِ، ولم يَعُد عند هَؤُلَاءِ من النِّسبة لأهل الإِسْلَام إلا التّسمّي بالأسماء والتّمسّك ببعض العادات والتَّقاليد ذات الأصول الدّينيّة مع بعض رسوم العِبَادات والمواسم الدّينيّة.

****

٤- انتشار الفسوق والعصيان والمجاهرة بالمُنكرات:

فقد صار هذا سمت أغلب المنسوبين للإسلام، وماذا نسوق من الأمثلة وعن ماذا نعرض؟! فالبلاء عامّ، والكوارث طامة.

فإذا جئت لدنيا المال والأعمال ومعايش النّاس؛ لرأيت أكثر النّاس لا يبالون هل حصلوا رزقهم من حلالٍ أم من حرامٍ، ولرأيت التَّعامل بالرِّبا قد حلّ في كلّ زاوية، وأنّ النّاس يأكلون أموالَ بعضهم بالبَاطِل، بالغشِّ والخداع وبيع العينة ونظام البُنوك والتّعاملات، وأما معاملات الأسواق فقائمةٌ أصلاً عَلى الحرام، هذا ناهيك عن تفشِّي الرّشوة والفساد والسّرقات والاحتيال والنَّهب.

وإن جئت لوسائل الإعلام من الفضائِيَّات والدّشوش وشاشات التّلفزيون إلى محطات الإذاعة إلى شبكات الانترنت والمعلومات الدّولية إلى الصّحف والمجلّات، إلى المُنتديات والمَراكز الثَّقافيَّة... إلخ،

لرأيت غالبيّتها مصدر البَلاء وبوّابات الشّياطين عَلى بني البَشر، فإن سمّتها الأساسيّة قائمة عَلى أنواع المحرّمات والموبقات، من الموسيقى والطرّب إلى اللّهو والعريّ وعروض الاختلاط وبَرامج الزّنا والدّعارة، إلى نشر الرَّذِيلة وأفكار الفساد وموديلات الأزياء الغربيّة الفاضحة، هذا ناهيك عن نشر فلسفات الإلحاد وأفكار العلمانيّة والثّقافات المحاربة لله ورسوله ودين المُسلِمِين، هذا فضلاً عما ابتدعوه حديثاً من عرض ما أَسموه (الإِسْلَام المُعتدل) ونموذج حياة أصحابه وطرق تفكيرهم، وقد صار لبوابات الضَّلال هذه فُقَهَاء ومُفتون وأُسُسا تُؤطِّر للكفر والمروق من الدّين باسم الإِسْلَام (المعتدل) بدعوى مواكبة العصر وعدم إعطاء الحجّة لأعداء الدّين بتهمتنا بالتّطرف والإِرهَاب، ويكفيك أن تتابع عَلى الفضائيّات بَرامج (فتاوى عَلى الهوا) ولو صدقوا لكتبوها بالألف المقصورة لتصبح (فتاوى عَلى الهوى) عَلى هوى كفار الحكّام وفسّاق المحكومين.

وأما حياة أكثر المُسلِمِين الاجتماعيَّة والأخلاقيّة، فلم تعد تقوم عَلى أصول الإِسْلَام من الحياء والحشمة والصّدق والإخلاص والرّحمة والتّعاون عَلى البرّ والتّقوى، فحياة أكثر العامّة قائمة عَلى الرّياء والنِّفَاق والغيبة والنّميمة، وقطيعة الرّحم، والتّدابر والتّناكر، والتّحاسد والكذب، والغشّ والمكاسب الحرام، هذا ناهيك عن انتشار السّفور حتّى صار الحجاب نادراً ومحارباً عَلى الصّعيد الرّسميّ والاجتماعيّ، كما أدَّت حياةُ الاختلاط وعمل المرأة في أوساط الرّجال في كلّ مجال إلى انتشار الفساد والرَّذِيلة والخيانات الزّوجيّة، وتفشّى الزّنا، وانتشار الطّلاق، مما أورث المجتمعات أمراضاً خطيرةً لم تكن فيها من قبل، هذا فضلاً عن مصائبِ السياحةِ وشواطئِ العراةِ، وأنديةِ الرَّذِيلة ومقاهي الفساد، وصالات الأفراح، وملاهي المُجون، وانتشار الخمور والمخدّرات وصالات القمار ومختلف أنواع المحرمات.

وأما عن الحياة الثَّقافيَّة والفكريّة! فثقافات مُستوردة من شرقٍ وغربٍ، وفلسفاتٍ قائمةٍ عَلى الإلحاد والعلمانيّة والتّنكّر لدين هذه الأُمّة وهويّتها وأصالتها في كافّة مجالات الفكر والثّقافة والأدب والفنون، وكأنّه لم يكفنا ما حصل لنا عبر العقود المُتوالية منذُ الإحتلال وما تلاه من بلاء حُكُومَات الإستقلال، فها هيَ أمريكا اليَوْم تطاردنا بمخطّطاتٍ تُغيُّر مناهج التّعليم والإعلام والتّدريس الدّيني

عَلى كلّ صعيد، وتصنع لنا بَرَامج التَّغيير الثّقافيّ لتطال كلّ مجال، في اللّغة والتّاريخ والدّين والثّقافة وكل مكوناتنا الحَضَاريَّة والدّينيّة.

وأمّا عن الحياة السّياسيّة، فمجالٌ أخصبُ للفساد والبُعد عن الدّين؛ فقد انتشرت الأحزابُ والتّياراتُ والتَّجَمُّعاتُ السّياسيّة القائمة عَلى معتقداتٍ وأفكارٍ مناهضةٍ لدينِ الإِسْلَام، ويكفي أن تستعرض الشّرائح السّياسيّة في بلاد المُسلِمِين داخل ما يسمّى (البرلمانات)، ويكفي أن تطّلع عَلى قوانين تشكيل الأحزاب وسَيرِ الإنتخابات، حتَّى تعلم أيّ نوعٍ من البشر صار هَؤُلَاءِ الّذين يسمّون (مُسلِمِين)! ولتدرك أنّ بينهم وبين كلّ أمّةٍ نسبٌ إلّا مع أمّتهم ودين آبائهم وأجدادهم!

فقد صارت (الدِّيمقراطيَّة) ونموذجها الغربيّ ديناً يُعتقد، وتسيل في سبيله الدِّماء في المظاهرات وعلى صناديق الاقتراع، وأما الأحزاب الّتي تسمَّى (إسلاميّة) فبَرَامجها السّياسيّة قائمةٌ عَلى مزيجٍ من الأصول الإِسْلَاميّة والدِّيمقراطيَّة الغربيّة مع كمٍّ من الفكر المُستورد ومنوَّعات من الإنحرافات والبِدَع الّتي اخترعها أصحابها ومزجوها ببعض أصول الدّين ليسمّوها (بَرَامج إسلاميّة) و(أحزاب إسلاميّة)، بل ليطلقوا عَلى ضلالها مصطلح (فقه برلمانيّ)!

وهكذا دبَّ الفساد في كافّة مرافق الحياة، السّياسيّة، والدّينيّة، والاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة، والأخلاقيَّة، والفكريّة، والثَّقافيَّة...إلخ.

وكيف لا ينتشر الفساد والرَّذِيلة ومقوّمات الصّلاح في أمّة الإِسْلَام قد دبّ فيهما العطب: فكما روي في الأثر: «صِنفَانِ مِنَ النّاسِ إذا صَلحَا صَلَحَ النّاس وإذا فَسَدَا فَسَد النّاس، العُلَماءُ والأمراءُ»[(١)].

كيف لا ينتشر الفساد ويجاهر بالمُنكرات ؟ والحُكُومَات القائمة في كافّة بلاد الإِسْلَام مشجّعة عَلى ذلك؟! تنفق ميزانيّاتها ومصادر ثرواتها في وجوه الفساد والإفساد، كيف لا والقيادات السّياسيّة والأمراءُ منَ المُلُوكِ والرُّؤساءِ والسَّلاطِينِ وحاشيتِهم ووُزرائهم ومُشرِّعيهم وقياداتهم العسكريّة

---

(١) أثرٌ مروي عن عبدالله بن المبارك وبعض السَّلف، ولم تصح نسبته لابن عباس فقد رواه أبو نعيم في الحلية عنه ﷺ وقال الألباني: موضوع عن ابن عباس – ضعيف الجامع (٣٤٩٥).

والأمنيّة والسّياسيّة، هم أئمة الرَّذِيلة والفساد، وهم من أكابر روّاد مراتع المُنكر وهم المستخفّون بلا حياء بشرائع الدّين وشعائر الإِسْلَام؟! إنَّهم باختصار: أئمَّة الكفرِ والفَسادِ.

وكيفَ لا وعلماءُ المُسلِمِين ومَشَايِخِهم وقادَتِهم قد هجروا الأمرَ بالمعروفِ والنّهيَ عن المُنكر وصارَ أكثرُهم مجرّد (ديكور) يكمّل به الحكَّام موائدهم ومنصّاتهم وصالوناتهم، في الإجتماعات والحفلات والمناسبات! كيف لا والصّالحون منهم اكتفوا بالسّكون في جحور العجز وأعذار الرَّخص والتقيَّة! حتَّى صغر شأنهم وهيبتهم في أعيُنِ العامّة ولم يعودوا قدوةً تُحتذى بل زهّدوا النّاس في أمور الدّين وصارَ كثيراً منهم نموذجاً للضِّعَة والتَّخلُّف والعمالة والجهل.

****

٥- غربة أهل الحقّ:

ومن جرَّاء مَظاهر فَساد الدّين واستعلاء أَهل الضَّلالة، وكَون أَكثر أَكَابر النَّاس في مُجتَمعَات المُسلِمِين هم أَكَابِر المُجرمين مِمَّن قَدَّمنا أَحوالهم مِن أعيان رِجال السِّيَاسَة والتِّجارة والفُنُون والفَسَاد ومَن فِي حَاشِيَتِهم من المُنحرفين.

فقد أصبحت الفئة المتمسكة بدينها، الآمرة بالمعروف الناهية عن المُنكر، الداعية إلى تغييره، صارت غريبة في المجتمع، وأصبحت الثلة المؤمنة المتمسكة بالاعتقاد الصَّحِيح والسُّلُوك الملتزم بقواعد الدّين غريبة في تلك الفئة الصّالحة، وصارت القلة المُجَاهدة في سبيل الله، المُوَاجَهة لأعداء الله في الداخل والخارج من أجل تصحيح هذه الأوضاع ودفع هذا البلاء، صارت هذه القلّة غريبة في تلك الثّلّة، وصار حالها إلى ما وصف رسول الله ﷺ مما قدّمنا له في فصل الغُربة والغُرَباء والظَّاهِرين عَلى الحقّ.

وعلى هذا الحال انصرم القرن الميلادي العشرون ودخلنا في القرن الحادي والعشرين، لتجد أنّ أكثر النّاس وكأنّهم يتهيّؤون لإتّباع المسيح الدَّجَّال، لا يحول بينهم وبين ذلك إلا خروجه، والعياذ بالله ونسأل الله السَّلامة في ديننا وأعراضنا وأنفُسِنا وذريَّاتنا وكلِّ أمرنا.

****

﴿ ثانياً: ذهاب الدُّنيَا ﴾

وأما عن ذهاب دنيا أكثر الْمُسلِمِين، فإن الأكثرية السَّاحقَة للمليار وربع المليار من الْمُسلِمِين تعيش في هذا الزّمان معيشة ضنكا، من سوء حال دنياها، وضيق معايشها، فضلا عما قدمنا من فساد دينها وبعدها عن ربها، ويكاد يطابق حال أكثرهم ما وصف رسول الله ﷺ في الحديث الّذي رواه ابن ماجة وصححه الحاكم من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه حيث قَالَ: «وَإِنَّ أَشْقَى الْأَشْقِيَاءِ مَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ فَقْرُ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ»(١) فكأن غالبهم يصير إلى هذا الحال ما لم تتداركهم رحمة الله وعفوه.

وتتجلى مظاهر ذهاب دنيا الْمُسلِمِين وأسبابها في أمورٍ كثيرة لعلّ أهمّها ما يلي:

١- سرقة بيت مال المُسلِمِين وثرواتهم الأساسيّة:

فمن المعلوم للقاصي والداني أن منطقة الخليج العربيّ تحتوي عَلى أكبر احتياطي للنفط المعروف في الكرة الأرضية، وهو خزان النّفط الأوّل في الأرض كما أن الكشوف الحديثة أثبتت أن الخزان الثّاني في الأهمّيّة عَلى مستوى العالم هو في منطقة جمهوريّات وسط آسيا الإِسْلَاميّة، والمنطقة الممتدة من بحر قزوين إلى القفقاس، بالإضافة إلى أن ثروات نفطية وغازية هامة أُخرى تتركز في بلاد العراق والشّام، وهنالك بحيرة نفطية أُخرى في جنوب السُّودَان والقرن الأفريقي وثالثة ممتدة من مصر إلى الجَزَائِر، هذا عَلى صعيد الثّروات الأساسيّة في العالم الحديث وهي مصادر الطاقة الّتي تشكل الثقل الأساسي اقتصادياً وسياسيّاً بل واستراتيجياً عَلى كلّ المستويات، فإذا ما أضفنا إليها أن العالم الإِسْلَاميّ الممتد من أفغانستان والباكستان والفلبين شرقا إلى شواطئ المحيط الأطلسي وسواحل المغرب وموريتانيا والسنغال غربا ومن أوسط آسيا والقفقاس والبلقان وشمال أفريقيا شمالا وإلى جنوب آسيا وجزر إندونيسيا وأواسط أفريقيا السوداء جنوبا إذا علمنا أن هذا العالم الإِسْلَاميّ يمتلك من الثّروات المعدنية المختلفة مخزونا هائلا استراتيجيا، بحيث أن عددا من دوله تعتبر من الدّول الأولى المصدرة لمعادن صناعية هامة وإذا

(١) سبق تخريجه.

أضفنا إلى ذلك الثّروات الحيوانية والزراعية الّتي تتوفر عليها هذه المناطق، بالإضافة لما توفره مصادر المواصلات البرية والبحرية والجوية وحقوق (الترانزيت) لهذه المنطقة الّتي تحتوي عَلى أهمّ أربع مضائق ومعابر مائية عالميّة من أصل خمسة هيَ مضيق هرمز، وباب المندب، وقناة السويس، ومضيق جبل طارق وتشكل أجواؤها عقدة مواصلات بين الجهات الجغرافيّة الأربع في العالم; لعجبنا كيف أن هذه المنطقة تشتمل عَلى بلاد قد تصدرت قوائم الدّول الأكثر فقرا وتخلفا وجهلا وأمية في العالم!! وأن الأكثرية السَّاحقَة لشعوب هذه المنطقة بما فيها شعوب دول نفطية ذات عضوية في منظّمة الأوبك تعيش تحت خط الفقر، رغم أن الإحصائيات الاقتصاديَّة المنشورة علنا من قبل مراكز الدراسات العَالَمِيّة، تشير إلى ثروات خيالية، تفوق الحصر وتذهل المطلع.

ويكفي عَلى سبيل المثال أن نعلم أن ٦٥٪ من استهلاك أوروبّا للغاز الطبيعي يأتي من الجَزَائِر مرورا بالمغرب، وأن نعلم أن جَزِيرَة العَرَب وهي عقر دار الإِسْلَام وبيت مالهم الأساسي تحوي ٧٥٪ من احتياطي النّفط المعروف في الأرض، وأنها تنتج نحو ١٦ مليون برميل نفط يوميا!! وأن أحد حقول النّفط في جنوب العراق قادر عَلى إنتاج ٥ مليون برميل نفط يومياً هذا عدى ما ينتج من الغاز فيها، هذا عدا ما هو معلوم من احتياطي النّفط والغاز في بلاد مثل إيران والجَزَائِر وسوريا والسُّودَان، وعن ثاني أكبر احتياطي للنفط في العالم في محيط ببحر قزوين.

فكيف اتفق هذا ؟! أن تكون شعوب أغنى بقعة في الأرض، هيَ أفقر شعوب الأرض!

يزول العجب إذا اطلعنا عَلى آلية السرقة التارِيخِيَّة الأسطورية الّتي يمارسها الغرب بدوله المختلفة، وعلى رأسها أمريكا ودول أوروبّا النّاتو وروسيا، وهم العدوّ الصّليبيّ الزاحف علينا اليَوْم، حيث يمول حُرُوبه الّتي تزهق أرواح أطفالنا بأموالنا وثروات بيت مالنا، إنهم ببساطة يأخذونها ويذبحوننا بها! يأخذون بترولنا ليحركون به طائراتهم وأساطيلهم ودباباتهم الآتية لقتل أطفالنا ونسائنا، ولتعود أرباحه عَلى شعوبهم لتعيش رفاه العيش.

إن الثّروات تسرق من مصادرها، لأنها تستخرج كلها عبر شركات أجنبية تشرف عَلى مراحل الاستخراج والتسويق والتجارة، وتدير البنوك الدّولية حيث تستقر الأرصدة، فتستكمل دائرة السرقة من البداية إلى النهاية!!

ذلك أن السرقة تبدأ من عقد العقود مع الحُكُومَات الخَائِنة عميلة اللصوص المُستَعمرين الّذين يمتلكون ويديرون تلك الشركات، حيث يذهب ما بين ٤٠-٦٠٪ إليهم عبر عقود الشراكة، وهذه أول مراحل السرقة! ثمّ تأتي المَرحَلَة الثّانية من السرقة بتزوير كميات المواد المستخرجة لأنّهم هم المشرفون عَلى استخراجها بواسطة مهندسيهم وخبرائهم، فضلا عن رشوتهم للمشرفين من حاشية حكامها عَلى هذه الثّروات من أجل تزوير الكميات في العديد من البلاد، ثمّ تأتي ثالث مراحل السرقة، في تحديد أسعار هذه المواد وتسويقها عالمياً بأبخس الأثمان، ويكفي أن نعرف أن السعر الحقيقي المفترض أن يكون لبرميل النّفط الخام إذا ما قيس بأسعار المواد المصنعة، ودوره في تشغيل مصانعها هو بحسب بعض مراكز الدراسات الاقتصاديَّة العَالَمِيّة في بلاد الغرب ذاته ٢٦يجب أن يكون ٢٦٠ دولار للبرميل الواحد، في حين لم يتجاوز في الحقيقة سعره عالمياً في تاريخه ٤٥ دولار!! وقد تراوح في معظم وقته حول ٢٠دولار للبرميل! وانخفض في بعض الأحيان عن ١٠ دولار!! كلّ ذلك لأن أسياد البورصة العَالَمِيّة الّتي تلعب باسعار البضائع الأساسيّة، وقيمة العملات الدّولية، هم من اليَهُوْد ومن كبار الرأسماليين الصّليبيّين، أي نفس المحتل المُستَعمر لبلادنا! ثمّ نضيف للمأساة فصلا جميلا حين نعلم أن حُكُومَات بلادنا العميلة، واللصوص المحليين من حكامنا وملوكنا وأبنائهم وإخوانهم وكبار حاشيتهم، يحصلون من هذا البترول عَلى هبات من خارج الحصص المقرر إنتاجها عالمياً في تلك البلاد، فيبيعوه بنحو٣ دولار للبرميل الواحد في المياه الدّولية وأعالي البحار، فيخسفون بسعر النّفط عالميا، ولكن ناقلة صغيرة من نصف مليون برميل تكفي عائداتها (١,٥ مليون دولار) لتغطية مصاريف نزواتهم من الزنا والفجور والقمار لعدة أسابيع!!!

هذا مثال واحد من عالم النّفط وقس عليه كافّة الثّروات وطرق سرقتها.

ثمّ تأتي المَرحَلَة الرَّابعة من السرقة، حين تنتقل حصة بلادنا من ثمن هذه المواد إلى بنوكهم، لتتحول إلى أرقام وأصفار الكترونية متراكمة عندهم في الحسابات يشغلون بها اقتصادهم ولا يسمحون لحُكُومَاتنا أن تسحب منها إلا كميات محدودة ومحسوبة، لتذهب معظمها في شراء المواد الصناعية والأَسْلِحة واحتياجاتنا مما نستورده من عالمهم المصنع، حيث يفرضون أسعار موادهم كما يحبون ويشتهون! بل يفرضون عَلى بلادنا نوع وكميات السّلاح والذخائر الّذي نستورده! وسعره طبعا! يكفي مثالا أن أحد نواب مجلس الأُمّة الكويتي قد فجر فضيحة حين كشف عن فاتورة بمليارات الدّولارات الّتي تحاسب بها أمريكا الكويت عن نفقات قوّاتها هناك، حيث سجل في مصاريف الطعام ثمن (الخسة) من الخضار المستخدمة في السّلطة ٣٠ دولار أمريكي!!

لتكتشف في نهاية المطاف أنّنا لا نحصل من ثرواتنا إلا عَلى نسب مئوية مضحكة يذهب معظمها للحسابات السرية لحكامنا وجلادينا في البنوك السويسرية والأوروبية والأمريكيّة ذات الإدارة اليَهُوْدية، ولا يصل للشعوب إلا ما يغطي نفقات تلك الحُكُومَات وبعض مشاريعها الأساسيّة، أما معظم الثّروات المعدنية فهي تسرق بنفس الطَّريقة وتنقل غالبا عَلى شكل فلزات وأحجار ومواد خام للتصدير، بحيث لا تصنع وتستخلص محلياً حتَّى لا يكون في أكثر تلك البلاد بنى تحتية صناعية ولا تستعمل اليد العاملة المحليَّة فيها إلا عَلى صفة حمالين من المناجم إلى موانئ التّصدّير!!

وهكذا تحولت تلك الثّروات والنعمة العظيمة الّتي منحها الله بلاد عباده المُسلِمِين، إلى نقمة صارت سببا لتصارع الحُكُومَات والانقلابات السّياسيّة والعسكريّة محلياً من أجل تولي السّلطة، والإشراف عَلى نهب هذه الثّروات وتسليمها للسيد المُستَعمر من قبل الحكَّام المرتدّين المتعاقبين عَلى حكم بلادنا، وسببا في النهاية للغزو الأجنبيّ والحُرُوب والموت ولباس الخوف والجوع، هذا ناهيك عما تفرضه أمريكا عَلى معظم حُكُومَات بلادنا ولاسيما في عقر دارهم وبيت مالهم (جَزِيرَة العَرَب) من فواتير تكاليف غزواتها في بلادنا عَلى شكل نفقات قوَّات (حفظ السَّلام) و(المساعدات العسكريّة) المزعومة!! وهو الاسم الملطف للاستعمار العسكريّ الحديث، كما فعلت أمريكا بالسّعُودِيّة عندما قدرت تكاليف (عاصفة الصَّحرَاء/ تحرير الكويت) بـ (٥٦٠ مليار دولار)! فاستولت عَلى ميزانية السّعُودِيّة

لديها وجعلت ما عجزت عنه عَلى شكل ديون ربوية جعلت السّعُودِيّة – أكبر مصدر للنفط في العالم – دولة مدينة ربوياً لصندوق النقد الدّولي!! هذا بعض ما كشفته وسائل الإعلام، والمخفي عنا أدهى وأعظم وأمر.

****

٢-سوء توزيع الثّروة في بلادنا الإِسْلَاميّة:

لا تنتهي مأساة سرقة بيت مال المُسلِمِين وثرواتهم عند حد سرقتها، فالمصيبة الأعظم هيَ أن ما يسلم من الثّروات المحليَّة وما يصل منها لبلادنا يتولى سرقة معظمه حفنة من الحكَّام الفراعنة المسيطرين عَلى مقدرات البلاد والعِبَاد لينهبوا معظمه، وليتقاسموا بعضه مع المقربين من حاشيتهم وشركائهم وعملائهم وكبار التجار والقائمين عَلى أجهزتهم السلطوية والطَّاغوتية! فيكفي أن تعلم أن ثروات بلاد الخليج النفطية والغازية الّتي تجاوز مواردها المليار دولار يوميا، يتقاسمها أسر حاكمة ومالكة لا يتعدى تعداد أفرادها في بعض الدّول العشرات من الأمراء، وهم بمجموعهم في دول الخليج العربيّ لا يزيدون عَلى بضعة مئات من الملوك والأمراء وكبار أبنائهم، يتقاسمون ثروة الأُمّة الإِسْلَاميّة بكاملها، فيكفي أن تعلم مثلا أن المصروف اليومي للأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثّاني لملك ما يسمى بـ (المملكة العربيَّة السّعُودِيّة) يبلغ ٣ مليون دولار يومياً بحسب بعض مراكز الدراسات الملمة بإحصائيات دنيا المال والأعمال وحياة الأغنياء! حيث تغطي هذه المبالغ خدمات قصوره الممتدة من سواحل أمريكا إلى أوروبّا إلى شرق آسيا بما فيها من خدمات اللهو والدعارة والقمار والفساد، وقس غيره عليه، ومن الطريف المحزن أن تعلم أن الأخبار قد نشرت أن فيصل بن فهد ملك السّعُودِيّة مات فجأة بسكة قلبية لأنه خسر عَلى موائد القمار في بعض معاركه عَلى طاولة الميسر (١٠ مليار دولار) يعني عشرة آلاف مليون دولار، وقس عليه حُكَّام باقي بلاد العالم الإِسْلَاميّ المنكوب حيث يتولى أبناء الملوك والرؤساء وكبار أعوانهم وقواد جُيُوشهم وأجهزة استخباراتهم تقاسم ثروات البلاد، بحيث يعيش معظم أفراد الشّعوب الإِسْلَاميّة عملياً تحت خط الفقر بموجب إحصائيات دراسات اقتصاديَّة واجتماعيَّة يتفطر لها القلب ويندى لها الجبين فسوء توزيع الثّروة يتدرج عَلى كلّ المستويات.

فثمة سوء توزيع للثروة بين البلاد الإِسْلَاميّة ذاتها بحكم التقسيم السّياسيّ الاستعماريّ لبلاد العالم الإِسْلَاميّ وتوزيعها بين دول غنية متخمة ودول فقيرة هالكة، ففي حين يصل متوسط دخل الفرد في بعض البلاد الإِسْلَاميّة مثل بنغلادش وأفغانستان وبعض البلاد الأفريقية الإِسْلَاميّة ليقل عن ١٠٠ دولار في السنة للفرد! أي نحو ربع دولار يومياً يصل متوسط دخل الفرد في البلاد الخليجية إلى عشرات آلاف الدّولارات سنوياً للفرد الواحد حيث تسجل بعضها -مثل الكويت وقطر- أعلى معدل لدخل الفرد في العالم، ثمّ هناك سوء توزيع ثروة داخل كلّ بلد، ففي حين تصل ثروة بعض الأفراد في بعض البلاد الإِسْلَاميّة حتَّى الفقيرة ولاسيَّما في طبقات السِّلطة العليا في كلّ بلد إلى مرتبةِ المليارديرات، حيثُ يتصدَّر بعض حُكَّام بلاد المُسلِمِين وبعض أبنائهم وإخوانهم قوائم أغنى عشر مليارديرات في العالم، تجد بعض أفراد رعيتهم يموتون جوعًا وتُسحَقُ البَطالة مُعظم أفرادِ شُعوبهم.

كلّ هذا علمًا أنَّ من أساسِيَّات ديننا أنَّ أمَّة الإِسْلَام واحدة، وأنَّ ذمَّتهم واحدة، وتكاملهم واحد، حتَّى أنَّ رسول الله ﷺ، أخبرنا بأنَّه ما آمن من بات شبعاً وجارُه جائعٌ ... الحديثَ[1].

فثروات المُسلِمِين هيَ ملك المُسلِمِين، بمعنى أنَّ جميعَ الثّرواتِ لجميعِ المُسلِمِينَ.

ولكنَّ تقسيمات وزارات المُستَعمراتِ الغربيّةِ لبلادنا قسَّمت الثّرواتِ ووزَّعت الفقر والغنى، فأين حالُ الأُمّة ممَّا كانَ عليه الأمرُ الأوّلُ؟!

فقد روت الآثار أنَّ الصّحابة رضوانُ الله عليهم لَّما فتحوا العراق وكَثُرَتِ الغنائم والمال، نظر عمرُ في سعة الأرض بعد فتوح العراق وما أفاء الله عَلى المُؤمِنين، فجمع الصّحابة وناظرهم في أنه يرى ترك أراضي سواد العراق لبيت مال المُسلِمِين، ثروة لمن يأتي من بعدهم رغم أن بعض الصّحابة احتج وطالب بأن تقسم عَلى المُجَاهدين الّذين غنموها، وكان لهم في ذلك أدِلّة ونصوص من كتاب وسنة.

ومما جاء من الآثار في ذلك:

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :«ليس المؤمن بالذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه»، رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٢) وصححه الألباني (الصحيحة ١٤٩).

«عن أَسْلَمَ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ رضي الله عنه يَقُولُ: " اجْتَمِعُوا لِهَذَا المَالِ، فَانْظُرُوا لِمَنْ تَرَوْنَهُ وَإِنِّي قَدْ قَرَأْتُ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ الله سَمِعْتُ اللهَ يَقُولُ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الحشر: ٧] إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر: ١٠] وَالله مَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ إِلَّا وَلَهُ حَقٌّ فِي هَذَا المَالِ، أُعْطِيَ مِنْهُ أَوْ مُنِعَ، حَتَّى رَاعٍ بِعَدَنَ».(١)

فقد فكَّر رضي الله عنه في الّذين جاؤوا من بعدهم، وقال رضي الله عنه: (وَوَالله لَئِنْ بَقِيتُ لَهُمْ، لَيَأْتِيَنَّ الرَّاعِيَ بِجَبَلِ صَنْعَاءَ حَظُّهُ مِنْ هَذَا المَالِ وَهُوَ يَرْعَى مَكَانَهُ)(٢).

وقال رضي الله عنه: (ما عَلى وَجْهِ الأَرْضِ مُسلِمٌ إلّا وَلَهُ فِي هَذَا الفَيء حَقٌّ أُعطِيَهُ أو مُنِعَهُ إلَّا ما مَلَكَت أَيمانُكُم)(٣).

وقد ضرب عمر رضي الله عنه المثال بحق فقير يمني بما فتح الله في العراق، وهي من أبعد ما كانَ يصل إليه حكمه من ديار الإِسْلَام عن مكان الثّروة والمال الجَدِيد، فجعل لأهلها نصيبا مما دخل بيت المال من الثّروات حتَّى الزراعية وهي أرضي سواد العراق، فما بالك بثروات باطن الأرض الطائلة ؟! ولكن السياسات الاستعماريّة قسمت البلاد وأذلت العِبَاد، حتَّى تمكنت من سرقة الجزء الأكبر، وجعلت المُسلِمِين يتفاضلون فيما بقي منه في أسوء مثال لتوزيع الثّروة في التّاريخ والواقع، وبذهاب الثّروة وضياعها وسوء توزيع ما تبقى منها، نتجت نتائج خطيرة جدا عَلى الصعيد الاقتصاديّ والاجتماعي والسّياسيّ في بلاد المُسلِمِين، وانعكست بالإضافة لما نتج عن غياب شرع الله والحكم به مما قدمنا، لتولد باقي أعراض ذهاب الدُّنيَا نكد العيش عَلى كلّ صعيد، ومن بعض وجوه ضياع الدُّنيَا ونكد العيش عَلى سبيل الذكر وللإشارة.

****

(١) كنز العمال (١١٥٤٧)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٣٠٠٢) وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١٢٤٥).

(٢) كنز العمال (١١٥٤٧)، وروى أحمد (٢٩٢) نحوه وصححه أحمد شاكر.

(٣) كنز العمال (١١٥٤٨)، وأخرجه الشافعي في مسنده ص٣٢٥، وصححه الألباني إرواء الغليل (١٢٤٥).

٣- الظُّلم:

إن غياب عدالة الشّريعة، وغياب عدالة توزيع المال، جعل أكثر النّاس وحوشا ضارية يأكل بعضهم بعضا ويظلم بعضهم بعضا، والناظر في تسلسل مراتب الظُّلم والمظالم يجده طابعا أساسياً لعيش المُسلِمِين، فأمريكا والدّول الاستعماريّة تظلم بلاد المُسلِمِين حكاماً ومحكومين وتخضعهم لجبروتها، والحكَّام الفراعنة يظلمون من تحتهم من أعوانهم وشعوبهم ويقهرونهم، وكبار الأعوان يظلمون صغارهم بحسب تفاوت قربهم وبعدهم من السُّلطَان، وبحسب مناصبهم وصلاحيات طغيانهم، وهم بجملتهم يظلمون باقي النّاس بحسب قدرتهم أيضا أغنياءَهم وفقراءَهم عَلى حد سواء، ويبتزون أموالهم وينتهكون حرماتهم، وحتى داخل طبقات الشعب ؛ فإنك تجد القوي يظلم الضعيف، والغني يظلم الفقير، وهكذا، حتَّى أن الظُّلم كاد أن يكون عرفا مقبولاً، لا تكاد تجد عليه اعتراضاً من أحد، وكأنه قدر مقدور لا طاقة ولا قبل لأحد بإزالته، حتَّى أصبحت المحاكم وهي ما تسمَّى (بيوت العدالة) أصبحت دورًا لأخذ الرشوة وأكل الحقوق، فأين ينتصف مظلوم من ظالم؟!

****

٤- القهر والذل:

وهكذا ألبس النّاس ثياب الذّلّ والانكسار، كلّ ضعيف تجاه من هو أقوى منه، وكل فقير تجاه من هو أغنى منه، وكل محكوم تجاه من بيده شيء من السُّلطَان أكثر منه، وأصبحت الضغائن ومشاعر القهر تسيطر عَلى معظم النّاس تجاه حكامهم خاصّة، وفيما بين أكثريتهم عامة، وأورث هذا النّاس أمراضا اجتماعيَّة مستعصية من الرياء والنِّفَاق والتحاسد والتباغض.

****

٥- الخوف:

وأما لباس الخوف فهو سربال يتسربل به أكثر المُسلِمِين منذُ نعومة أظفارهم بسبب ما تقدم من العوارض، فالمسلمون حكاما ومحكومين يخافون من سيطرة وسلطان الأَعدَاء وعدوانهم، والشّعوب تخاف حكامها، وكل ضعيف يخاف من هو أقوى منه.

ففي ظل الأنظمة البوليسية حيث تتعدد أجهزة الإستخبارات، ويتفنن الجلادون في صنوف التعذيب، وتنفق الحُكُومَات قسطا كبيرا من ميزانيتها في بناء السّجون، يسيطر الرعب عَلى كافّة طبقات النّاس، فالموظف يخاف المدير، والأستاذ يخاف المخبر من التلاميذ، والسائق يخاف شرطي المرور، والمواطن يخاف المخابرات، والمتظاهر يخاف القمع، وخطيب الجمعة يخاف الجاسوس بين المصلين، والكتاب يخافون الرقابة، وهكذا، إلى الحاكم العميل الّذي يخاف من أمريكا، ويواليها خوفا وطمعا كي تُبقي عليه، وتضمن توريث ملكه لأبنائه أو ذويه وأتباعه.

****

٦- الجوع والأمراض:

وبسبب سرقة بيت مال المُسلِمِين الأساسي (نفطهم وثرواتهم)، وبسبب سوء توزيع ما تبقي ونهبه من قبل الكبراء، ألبس النّاس لباس الجوع مع لباس الخوف، فالأكثرية السَّاحقَة للمسلمين تعيش تحت خط الفقر، وتثبت هذا إحصائيات المنظمات المحليَّة والعَالَمِيّة ذات العلاقة بهذا الشأن، كما أن كثيرا من بلاد المُسلِمِين مثل بلاد القرن الأفريقي وبنغلادش وسواها تجتاحها المجاعات والأمراض والكوارث، الّتي تحصد مئات آلاف البشر كلّ سنة، ومعظم بلاد المُسلِمِين نتيجة اختلال موارد الثّروة تعيش حياة متدنية عَلى مستوى الخدمات الصحية، مما نشر الأمراض المزمنة والأوبئة وجعل إمكانيَّات الحكومة دون مستوى التّصَدّي لها، كما جعل تكاليف العلاج بعيدة عن متناول معظم العائلات الفقيرة.

وقد أودى الفقر بكثير من الشَّبَاب والرّجال إلى الرحيل عن بلادهم طلبا لموارد الرزق، حتَّى صارت كثير من بلاد المُسلِمِين كالباكستان ودول شمال أفريقيا وتركيا وسواها، بل معظم بلاد المُسلِمِين مصدرا لتصدير العمالة الرخيصة المهاجرة إلى كافّة أنحاء العالم ليضيع الرّجال شبابهم بعيدا عن أسرهم

ونسائهم وأطفالهم من أجل كفاف العيش، أما عن الجهل فحدث ولا حرج، ويكفي عَلى سبيل المثال أن نعلم أن الإحصائيات تشير إلى وجود (٦٥ مليون) أمي في العالم العَرَب فقط، علما أن تعداد السّكّان فيه يناهز الـ٣٠٠ مليون نسمة!!

٧-القتل الجماعي:

تتعرض كثير من بلاد المُسلِمِين اليَوْم لحملات للإبادة الجماعية من قبل المُستَعمر الغربيّ في ظل النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وتكاد لا تخلو نشرة أخبار يوميًّا من خبر أو أكثر عن تلك المجازر، فخلال العقدين الأخيرين فقط، حصدت المجازر مئات آلاف المُسلِمِين في البوسنة، والشِّيشَان، وكوسوفو، وكشمير، والهند، والفلبين، وأفغانستان، والعراق، وفلسطين، ولبنان، والصّومال، وإندونيسيا، ونيجيريا، وبورما، واريتريا، وكردستان العراق، وغيرها.

بل إن حملات القتل المنظّم والتّجويع نالت ملايين الأطفال كما في العراق، حيث لم تكتف أمريكا بقتل أكثر من ٣٠٠ ألف مدنيّ وعسكريّ في حرب الخليج الثّانية (عاصفة الصَّحرَاء)، فقتلت عبر ١٠ سَنَوات من الحصار أكثر من مليون ونصف طفل من سوء التّغذية وانعدام الدَّواء، وملف المجازر الجماعيّة وعمليَّات الإبادة العرقيّة والتّصفية الجسديّة الحاصلةِ للمسلمين اليَوْم تحتاج إلى مجلّدات قائمة بذاتها ومؤرّخين متفرّغين يتابعون تفصيلها وإحصائيّاتها!

هذا ناهيك عن عمليَّات القتل والإبادة عبر أنظمة وبَرَامج تحديد النّسلِ، والأدوية المعقّمة والفاسدة والنّاشرة للأمراض، الّتي يُرسل بها الغرب عبر شحنات الأغذية والمُسَاعدات الّتي تدخل بلاد المُسلِمِينَ المنكوبة تحت عناوين المساعدات الغذائيّة!!

ناهيك عن عمليَّات التّصفية والمجازر الّتي تقوم بها الحُكُومَات وأنظمتها الطَّاغوتيّة لشعوبها، وخاصّة للشّباب المسلم في حال شعورها بأيّ خطر، وقوائم جرائمهم طويلة، فقد قَتَلَ صدّام خلال حكمه في العراق أكثر من مليونِ إنسان، وقتل الملكُ حسين في الأردن في أيلول الأسود ١٩٧٠م عشرين ألف فلسطينيّ، وقَتَلَ حافظ أسد مطلع الثّمانينيَّات أكثر من ٤٠,٠٠٠ من الشَّعب السّوريّ وفي تلّ الزّعتَر في بَيروت - لبنان نحو ٦٠,٠٠٠ من الفلسطينيّين، وفي طرابلس كذلك أكثر من ٢٠,٠٠٠

لبنانيّ، كما حصد النّظام الجَزَائِري بعد الإنقلاب العسكريّ ١٩٩١م وإلى اليَوْمِ أكثر من ١٥٠,٠٠٠ إنسان، وهلُّمَ جرّاً.

****

٨-التَّهجيرُ الجَماعيّ:

كذلك وفي كلّ مناطق الحُرُوب والكوارث، وفي مناطق المجازر آنفةِ الذِّكر، نجد أنَّ كثيرًا ممَّن سلِمُوا منَ القَتل، خرجُوا في أفواجِ هِجرَةٍ جماعيّةٍ فارِّينَ من عمليَّات الموت الزَّاحف، كما حصل في البُوسنَة والشِّيشَان وأفغانستان والصّومال وإرتريا وفلسطين وكشمير وكوسوفو، ويكفي أن تطَّلِع عَلى إحصائيَّات المنظَّماتِ الدّوليّة لرعاية اللّاجئين، لتكتشفَ أنَّ عشراتِ الملايين من المُسلِمِينَ يعيشُون مُهجَّرين عن بِلَادِهِم في مخيَّاتٍ تفتَقِرُ لأدنَى مقوّماتِ حقوقِ الحيوان فضلاً عن حقوقِ الإِنسان.

****

٩-انتهاكُ الأعراضِ:

وفي كلّ تلكَ المناطق المنكوبة بالحُرُوبِ وعُدوان الدّولِ والعِصَاباتِ الصّليبيّةِ والهندوسيَّة والملحِدَةِ وغيرها من أنواعِ الكافرين، لم تَسلَم أعراض المُسلِمِين من أبشعِ عمليَّات الانتهاك والاعتداء من قبل الكفرة، بل بلغت مدى مرعبًا في بعضِ مناطقِ البَلاءِ كما حَصَل في البوسنة حيثُ سجَّلت منظّماتُ حقوق الإنسان أكثر من٥٠٠٠٠ حالةِ اغتصابٍ للمسلماتِ هناك، فضلاً عمَّا ترصُده الأخبارُ هُنا وهُناك من هذه الجَرائم، هذا من قِبل الأَعدَاء الخارجيين، فضلاً عما تقوم به أجهزة الحُكُومَات البوليسيّة الفاجرة ورجال استخباراتها في بلاد المُسلِمِين من العدوان عَلى أعراضهم في سجونها بلا حسيبٍ ولا رقيبٍ، هذا عن الانتهاك الإجباريِّ للأَعراض، ناهيك عمَّا فشَا في المُسلِمِين من انتهاك طوعيٍّ للأعراض بفضلِ سياسات الحُكُومَات وأجهزة إعلامها الدَّاعرة في نشر الرَّذِيلة والفساد وسوء الأخلاق، حتَّى انتشر الزّنا في المُسلِمِين انتشار الوَباء.

****

١٠- القَلَقُ والضَّيَاعُ النّفسِيُّ:

وهو النَّتِيجَة الطّبيعيّة لكل ما سبق، فإنّ أمّة تعيشُ بعيدةً عن دينِ ربِّها، غريبةً عن معتقداتِها، محكومَةً بشرائِعِ أعدائِها، قد هجَرَت دينَها ولم تَنسَجِم في دين أعدائِها، فبقيت مغرَّبة لا هيَ تعيش الإِسْلَام، ولا هيَ تذوب في دين غيره، يعيش أفرادها انعكاسات كلّ ما قدَّمنا من ألوان البلاء، من الفقر والجوع، والخوف والمرض والقهر والذُّل والظُّلم والفساد، وتسلُّط الفراعنة الحكَّام، وطُغيان الأَعدَاءِ وعدوانهم، بكل ما أورثَ ذلك من الأزَمَاتِ السّياسيّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة والفكريّة والنّفسيَّة، لا شَّكَّ أنَّ أمَّة كهذه سيعيش أفرادها التِّيه والضَّياع والقلق، فلا هيَ في دنيا مريحة، ولا هيَ تتسلح بدينٍ يُسعفها بالصّبر والتَّوكُّل والقدرة عَلَى مقارعة الخُطُوب، وهذا ما أثبتته دراساتٌ مطّلعة، وإحصائيَّات مُقلقة، من ازدياد معدّلات الانتحار، والطَّلاق، والأمراض النّفسيّة والاجتماعيَّة، وانتشار كثيرٍ من مظاهرِ الهستيريا وأعراض الإكتئاب، وبالخُلاصة، وكما عبر القرآن عن ذلك بكل اختصار وصرامة، وصدق الله تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه]

وما أوجز العبرة فيما روي عن رسول الله ﷺ فيما روي عنه: «وَإِنَّ أَشْقَى الأَشْقِيَاءِ مَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ فَقْرُ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الآخِرَةِ»(١).

****

(١) ضعيف، سبق تخريجه مقدمة الفصل.

﴿ ثالثا: تسلط الأعداء وتحكمهم في كافّة مناحي حياة المُسلِمين﴾

تماماً وحرفياً، وكواحدة من أنصع دلائل النبوة، حلّ بالأُمّة ما أخبر بحصوله ﷺ، فقد روى أبو داود عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(١).

فالعالَمَ الإِسْلَاميّ اليَوْمَ يعيشُ حَالَةً مِنَ التَّسَلُّطِ الكَامِلِ لِلأَعداءِ عَلى جميع مقدَّراتهم وسُبل حيَاتهم بشكلٍ فظيعٍ ما مرَّ في تاريخِهم مِثله، ويتجلَّى ذلك في مظاهر عدّة من أهمّها:

١- تحويل بلاد المُسلِمينَ إلى مَيدانٍ لنهبِ الثّرواتِ وسُوقٍ لتصريفِ مُنتجاتِ الأَعدَاءِ:

أما نهب الثّروات فقد مرَّت نبذةٌ عنهُ، وخلاصةُ ذلكَ إشراف الإستعمار وعلى رأسه أمريكا وأوروبّا الغربيّة عَلى عمليَّات استخراج الثّروات النَّفطيّة والمعدنيّة وغيرها من الموارد، ثمّ الإشراف عَلى نقلها وتحديد أسعارها والتِّجارة بها والاستيلاءِ عَلى أثمانِها في بنوكِهم الصّليبيّة اليَهُودِيّة.

وفي مقابل ذلكَ يقومُ الغربُ المُستَعمر في بلادنا الّتي تضمّ نحو خُمس سكان الأرض، بتحويلها إلى سوقٍ لتصريفِ منتجاتِه بدءًا من الأَسْلِحة والآليات والكمبيوتراتِ ومُختَلفِ مُنتجات التّكنولوجيا، وانتهاءً بالصّناعات الاستهلاكيّة العاديّة من أنواعِ الأطعمةِ والملبوساتِ والموادِ الاستهلاكيّة المصنَّعة.

فالمسلمون يستوردُون من الغربِ حتَّى الملابس الداخليَّة والشَّباشِب، بل حتَّى الخُبز والورق النَّاشِف، وبالرَّغم من أنَّ العدوّ المُستَعمر يفرض عَلى الدّول المُستَعمرة ومنها العالم الإِسْلَاميّ أسعار

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧) وحسنه الأرنؤوط ، وقال الألباني : صحيح - السلسلة الصحيحة (٩٥٨).

ثرواتها المعدنيّة ومنتجاتها الزّراعيّة والحيوانيّة، وهي عصب صناعاته وموارد غذائه، بل يفرض عليها قيمة عملاتها الشّرائيّة؛ فإنّه في الوقت ذاته يفرض أعلى الأسعار والرُّسوم عَلى منتجاته المصدَّرة إلينا، بل وتبلغ المأساة مَدَاها إذا علمنا أنَّ الغرب ذاته وعلى رأسه أمريكا يقوم بعمليّة منعِ انتشارِ التَّصنيع الحديث والتّكنولوجيا، بل وحتّى التّصنيع المتوسّط في معظم بلاد العالم الإِسْلَاميّ، كي نَبقى سوقًا لتصريفِ منتجاتِه بل إنَّهم يفرضون حتَّى السِّياسات الاقتصاديَّة وبَرَامج التَّنمية وخطط الزِّراعة والإنتاج الحيوانيّ، الّتي يتحكَّم بها بالتَّفصيل صندوقُ النَّقد الدّوليّ، بحيث لا تصل بلادنا إلى الاكتفاء الذَّاتيّ من الأغذية الأساسيّة كالقمح والسّكر والأرزّ وغيره، وهناك أمثلة كثيرة صارخة عَلى هٰذا، فقد منع صندوق النّقد الدّولي السُّودَان – مثلاً – من البدء بمشروعِ اكتفاءٍ ذاتيٍّ بالقمحِ بعد وصول حكومة (البَشير) إلى السّلطة، ولما أصرَّت هدَّدها بوقفِ المساعداتِ، وأغرَّتها أمريكا بإمدادِها بالقمحِ لمدَّة عشرِ سَنَواتٍ بقروضٍ غير ربويَّة، وبكميَّاتٍ منَ المِنَحِ الغِذَائيَّة عَلى شكل هبات بدون مقابل! وكان الغرض واضح، وهو تحويل الأراضي الخصبة إلى أراضي بور لا تَصلحُ للزِّرَاعَة، وربطِ رغيفِ الخبزِ في السُّودَانِ بالقرارِ الأمريكيِّ، ويكفِي أنْ نعلمَ أنّ مصرَ الّتي كانَت في العهد الرُّومانيّ تكفي الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة من القمح، تعيش اليَوْم عَلى احتياطيٍّ من القمح الأمريكيِّ يكفي المصريين من الخبز لمدَّة ثلاثةِ أشهرٍ، وليس هنا محل سردِ الإحصائيّاتِ والتّقاريرِ، فباختصارٍ يمكنٌ القول بأنَّ الحالَ الاقتصاديّ والغذائيّ والصّحيّ للشّعُوبِ الإِسْلَاميّة مُرعبٍ بسببِ هذهِ السِّيَاسَاتِ.

****

٢- تسخير اليد العاملة الإِسْلَاميّة لخدمة صناعات الأَعدَاء:

فبسبب سياسات التجويع والحصار وحُكُومَات الظُّلم، هاجر من بلاد المُسلِمِين ملايين العمال، ومئات الآلاف العُلَماء والمثقفين وحملة الشهادات إلى بلاد الغرب ولاسيما أوروبّا وأمريكا، ليسدوا ثغرات ضخمة في البنية التحتية لمصانعهم بأبخس الأثمان، وفوق ذلك فإن الدّول الرأسمالية الغربيّة جميعها ولاسيما الأوروبية قد أنشأت مصانعها المتخصصة في لصناعات البسيطة والمتوسطة في بلاد المُسلِمِين، ولاسيما في مجالات الأغذية والملبوسات والمواد الإستهلاكية تحت مسمّى (الماركات) العَالَمِيّة

الشهيرة التَّابعة لها، لتستفيد من رخص اليد العاملة في بلادنا دون أن تخل بالقَاعِدَة الصارمة المفروضة من قبلهم بأن لا تكون تلك الصناعات من مستوى التكنولوجيا حتَّى لا تستفيد تلك البلاد من الخبرات الصناعية.

بل إن نظام التسخير للعمالة - شبة المجانية - من قبل الغرب لليد العاملة في البلاد الإِسْلَاميّة وبلدان العالم الثّالث ولاسيما غير المسيحي، دخل المجال العسكريّ منذُ الحَرب العَالَمِيَّة الأولى والثّانية، ويكفي أن نعلم أن وقود المعارك الضخمة الّتي دارت رحاها في شمال أفريقيا وغيرها من ساحات المُوَاجَهة بين دول الحلفاء ودول المحور - كمعركة العلمين وغيرها - كانت من الجنود المجندين من دول المُستَعمرات ومعظمها دول عربيَّة وإسلاميّة، وأن نعلم أن فرنسا خسرت في فيتنام في معركة سقوط (دان بيان فو)، أكثر من ١٦٠٠٠ من القوَّات الخاصّة كانَ منهم الآلاف من الجَزَائِريين والمغاربة وجنود المُستَعمرات الإفريقية وكثير منهم مسلمون، واليوم تشكل قوَّات الأمم المتحدة وقوَّات حفظ السَّلام في مختلف مناطق التوتر ولاسيما في البلاد الإِسْلَاميّة من جنود ومرتزقة ومتطوعين من المُسلِمِين، أو من قطعات عسكريّة ساهمت بها حُكُومَات نوابهم الطواغيت في بلادنا! وها هيَ أمريكا اليَوْم تقوم باستخدام جنود بعض بلادنا لغزو بلاد أُخرى، ولما تفتحها، تشكل من أبنائها شرطة وعساكر، تجعلهم درعا واقيا لعساكرها، وتستخدمهم في ذبح أبناء بلدهم المُستَعمر ذاته!! كما يجري الآن في العراق.

بل إن نظام الاستعباد والعمالة المسخرة لخدمتهم وصل إلى مجال الدعارة والترفيه في استيراد نساء المُسلِمِين للترفيه عن جنود المُستَعمرين الغُزَاة لبلادنا كما حصل وذكرت بعض الصّحف ووسائل الإعلام عن استخدام القوَّات الأمريكيّة والغربيّة في حرب الخليج الثّانية لما يسمى بعاصفة الصَّحرَاء أو تحرير الكويت لمئات العاهرات من بعض الدّول العربيَّة استقدمن بالاتفاق مع حُكُومَات تلك البلاد للترفيه عن القوَّات الأمريكيّة والغربيّة في استراحات معارك عاصفة الصَّحرَاء، وهم يحررون الكويت!

فهذا النّظام الاستعبادي الجَدِيد هو اختراع جديد لإعادة نظام العبودية بأسلوب معاصر يتناسب مع العقليَّة العبقرية لحضارة ما يسمونه الجنس الأبيض الأوربي الأمريكيّ.

٣- سلب الإِرادَة لصالح العدوّ:

في ظل أنظمة الفراعنة القائمة في بلاد المُسلِمِين، فإن المواطن العادي مسلوب الإِرادَة، مقهور من قبل السّلطة، وحتى رجال الفكر والثّقافة والفعاليات الاجتماعيَّة والسّياسيّة والاقتصاديَّة فإنهم مسلوبي الإِرادَة لصالح أجهزة القمع السلطوية المتشعبة، ولا تنتهي هذه المصيبة هنا، فإن حُكُومَاتنا ذاتها مسلوبة الإِرادَة لصالح إِرادَة العدوّ المُستَعمر، ولاسيما أمريكا وحلفاءها الأوروبيين في ظل النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد.

فلا عقود تجاريَّة ولا نظام تسليح، ولا نظام تحول للسلطة، ولا انتخابات ديمقراطية أو انقلابات عسكريّة إلا بإشراف السيد الخفي الظَّاهِر (أمريكا وحلفائها).

والأمثلة كذلك تحتاج لمجلدات متخصصة بالتّاريخ السّياسيّ للمنطقة العربيَّة والإِسْلَاميّة، ومن ذلك عَلى سبيل النموذج :

هلك حافظ أسد في سوريا سنة (٢٠٠٠م)، فحضرت (أولبرايت) وزيرة الخارجيّة الأمريكيّة – اليَهُوْدية – وأشرفت عَلى نقل السّلطة، وراحت تتنقل بين القاهرة وعمان ودمشق وتل أبيب، ولم تغادر المنطقة إلا بعد أن صرحت في مؤتمر صحفي بكل وقاحة بأن أمريكا مرتاحة لعملية انتقال السّلطة في سوريا! وذلك أن حافظ أسد كانَ قد رتب خلافته لولده الأكبر باسل ورتبت عقود النّفط المستقبلية، كما وقعت اتفاقية التطبيع السرية مع إسرائيل وغير ذلك من المؤامرات باسمه، ولكن باسل اختطفه القدر وهلك في حادث تحطم سيارته فجأة، وتطلع عمه (رفعت الأسد) للاستيلاء عَلى السّلطة ودعمه بعض رؤوس النصيرية، وكذلك تطلع بعض ضباط السنة من حزب البعث الحاكم للسلطة، ولكن حافظ أسد وبترتيب مع أمريكا وحلفائها استدعى ولده الأصغر بشار الّذي كانَ يدرس في بَرِيطَانيَا، حيث جرى تعديل الدّستُور لتخفيض عمر الرَّئيس من ٤٠ سنة إلى عمر بشار ٣٦ سنة وصوت البرلمان السّوري في جلسة عاجلة استغرقت نصف ساعة فقط ليحصل الإجماع عَلى ولاية بشار لما مات أبوه! بإشراف أولبرايت رغم أنف الأكثرية من الطَّائِفَة السنية المحكومة، والأقلية من الطَّائِفَة النصيرية الحاكمة عَلى حد سواء.

ومثل ذلك دون أن ندخل في التفاصيل الخارجة عن موضوع الكتاب، نذكر ما حصل من ولاية عهد الملك حسين رغم أنف الأسرة الهاشمية، حيث استبعد أخاه وولي عهده لأكثر من أربعين عاماً (الأمير حسن) وعيّن ابنه (عبدالله) وعدّل الدّستُور كذلك لإزالة شروط تقف في وجه تعيينه ملكا، وتم كلّ ذلك خلال الدقائق الأخيرة من حياة الملك حسين.

ومن ذلك قتل الملك فيصل في السّعُودِيّة لما لم يلتزم في بعض مواقفه بما تعهد به أبوه من الوَلَاء فوق سطح البارجة الأمريكيّة لروزفلت!

ومن ذلك اغتيال الرَّئيس الباكستاني (ضياء الحقّ)[1] والإشراف عَلى تعيين القيادات المتوالية في باكستان وصولا إلى الإنقلاب الأمريكيّ الّذي جاء بـ(برويز مشرف)[2] ليشرف عَلى الإطاحة بطالبان، ثمّ أشرفت أمريكا عَلى إعادة نموذج أمريكي للديمقراطية في باكستان لمتابعة لعبة غزوها لباكستان ووسط آسيا والشرق الأوسط، وكما قلنا فالأمثلة كثيرة يضيق عنها المجال، ويكفي أن نعلم أن من المعلومات الّتي حصل عليها الطلاب الإيرانيون عندما احتلوا السفارة الأمريكيّة بعيد ثورة (الخميني) سنة ١٩٧٩م أن المخابرات الأمريكيّة (CIA)[3] كانت تدفع أكثر من ٢٥٠ ألف مرتب شهري لعملاء في منطقة الشّرق الأوسط تتراوح مراكزهم من رؤساء دول، إلى وزراء وقيادات حزبية وسياسيّة حاكمة ومعارضة عَلى حد سواء، وتتسلسل المراتب من العملاء، لتصل إلى تجار وفنانين وكناسين في الشَّوارع!! هذا من عالم السّياسة.

ومن الأمثلة من عالم الاقتصاد بعد السّياسة:

---

(١) ضياء الحق :الرئيس السادس لباكستان من عام ١٩٧٨م حتى اغتياله في عام ١٩٨٨م.

(٢) برويز مشرف : طاغوت حَكَمَ باكستان بانقلاب عسكري في ٢٠ يونيو ٢٠٠١م واستقال بعد أن عقد البرلمان جلسة لعزله في ١٨ أغسطس ٢٠٠٨م وكان أهم سبب لعزله قضية اقتحامه للمسجد الأحمر في اسلام آباد، وهو من الطائفة الإسماعيلية ومن أصول هندية.

(٣) وكالة المخابرات المركزية الأمريكية : (Central Intelligence Agency) وتعرف إختصاراً بـ" سي آي إيه "

فقد أرادت الحكومة السّعُودِيّة سحب مبالغ كبيرة من ودائعها لبعض مشاريعها الداخليَّة، فاعترضت الحكومة الأمريكيّة بحجة أن الاقتصاد الأمريكيّ لا يحتمل ذلك، ولم يستطع (فهد) خلال زيارة قام بها لأمريكا أن يحصل عَلى موافقة من (ريغان) وعاد خائبا، في حين أن إدارة (ريغان) أرادت خفض عائدات إيران من النّفط إبّان حرب الخليج الأولى مع العراق، فطلب (ريغان) من (فهد) هاتفيا خفض سعر برميل النّفط من (٤٠ دولار) إلى (١٥ دولار) للبرميل، ومن أجل أن تحافظ السّعُودِيّة عَلى وارداتها – أو بالأحرى أن تحافظ البنوك الأمريكيّة اليَهُوْدية عَلى مداخيلها من ودائع السّعُودِيّة – فأمره بزيادة الإنتاج اليومي من (٥ مليون) إلى (١٠ مليون) برميل، وهكذا خسرت السّعُودِيّة ١٠,٠٠٠,٠٠٠ × ٢٥ – = ٢٥٠ مليون دولار، هذا عدا آلاف الملايين من الدّولارات الّتي سببتها من الخسارة لكل الدّول الإِسْلَاميّة المصدرة للنفط، كلما أشرقت الشّمس وغربت من أموال المُسلِمِين الّذين يموت الملايين منهم جوعا، بل خسرت معها كلّ الدّول المصدرة للنفط في العالم، ولم يكلف ذلك (ريغان) إلا هاتفا فقط!!

وأما تدخل المؤسسات المالية الدّولية في السياسات المالية والاقتصاديَّة للدول العربيَّة والإِسْلَاميّة فأشهر من أن ننقل الأمثلة عليه.

وقد وصل الأمر اليَوْم بفقدان الأُمّة الإِسْلَاميّة لإرادتها، وسلب العدوّ لهذه الإِرادَة، أن يصل ذلك لمجال أخص خصوصيات الأُمّة، وهو مناهج التّربية والتّعليم الّتي تتدخل أمريكا والغرب اليَوْم فيها، وتملك القدرة عَلى أن تحذف وتضيف فيها! ووصل الأمر حتّى للخطب في المساجد! والحبل عَلى الجرار.

فالأُمّة الإِسْلَاميّة مسلوبة الإِرادَة أمام حكامها، وحكامها لا إِرادَة لهم أمام أعدائها.

****

٤- الإحتلال العسكريّ المباشر وغير المباشر لكافة بلاد العالم الإِسْلَاميّ:

العالم الإِسْلَاميّ اليَوْم محتلّ من قبل مختلف أنواع الكفّار، من اليَهُوْد، والصّليبيّين، والهندوس، والملحدين، والوثنيّين، إمّا مباشرة وإمّا بصورة غير مباشرة.

فبقاع كثيرة ترزح تحت الإحتلال المباشر كالفلبّين، وأجزاء من إندونيسيا وبورما، وأجزاء من الهند وكشمير، وتركستان الشّرقيّة، والمقاطعات الإِسْلَاميّة في روسيا، والقفقاس والشِّيشَان، والبلقان والبوسنة وكوسوفو، وفلسطين وأجزاء من بلاد الشّام، وبقع من المغرب الأقصى، والعراق أخيراً وليس آخراً، والسُّودَان الّتي يبدو أنّه قد حان دورها، والإشارات بوضع سوريا ومصر، وبقاع من جَزِيرَة العَرَب عَلى القائمة أيضـًا.

وأمّا باقي بلاد العالم الإِسْلَاميّ قاطبة، فهي تحت الإحتلال غير المباشر من قبل دول الغرب الصّليبيّة بنيابَةِ الحكَّام المُرتدّين، وباستحكام الإحتلال الاقتصاديّ للاحتكارات الرّأسماليّة الكبرى، وبانتشار القواعد العسكريّة البريّة والبحريّة والجويّة في جميع أجزائه، وبشبكة مكاتب الإستخبارات الأجنبيّة ولاسيّما (CIA) و(FBI)[1] الّتي انتشرت في جميع بلاد المُسلِمِين بشكل علنيٍّ أو بستار المنظَّمات والمؤسسات المتنوعة.

****

٥- التبعية الثَّقافيَّة والفكريّة للعدو:

بسبب مظاهر الإحتلال العسكريّ والاقتصادي والسّياسيّ والأمني الّتي ربطت الأُمّة بعجلة العدوّ الصّليبيّ اليَهُوْدي الكافر في كافّة المجالات، جاء دور الإستعمار الفكريّ والثقافي والاجتماعي، حيث تسن القوانين وتوضع المخططات وتعقد المعاهدات وتبرمج وسائل الإعلام والتّربية والتّعليم والثّقافة لتغريب مجتمعاتنا وإعادة صياغتها وهيكلتها تبعا لهوى المُستَعمر، فتارة باسم حقوق الإنسان،

---

(١) هي إختصار لـ (Federal Bureau of Investigation) وتعني مكتب التحقيقات الفيدرالي أو الاتحادي وهي وكالة استخبارات داخليَّة تابعة لوزارة العدل الأمريكية ومقرها واشنطن.

وتارة باسم تحرير المرأة، وتارة باسم التطبيع الثقافي، وتارة باسم التطوير الاجتماعي، وأخرى لتحديث المناهج التّعليميّة، ولبَرَامج إعادة صياغة المجتمعات، وهكذا.

حتَّى طال تدخل العدوّ بَرَامج تدريس الأطفال في المَرحَلَة الابتدائية فما فوقها، حيث تتدخل الأمم المتحدة وبَرَامج اليونسكو، فضلا عن سفارات الدّول الغربيّة في تقرير ما يجوز ومالا يجوز في مواد الدّراسة، بل بلغ تدخل الحُكُومَات الطَّاغوتية بأوامر أسيادها في تحديد ما يقال وما لا يقال في خطب الجمعة حتَّى منعوا فيها ذكر اليَهُوْد والنّصَارى بالسوء، حتَّى في السّعُودِيّة! بلاد التّوحيد المزعومة.

ناهيك عن ما يسمح بنشره وما لا يسمح في الصّحف والمجلات وجميع أوجه النَّشَاط الفكريّ والأدبي، وقد أجبر الغرب حُكُومَات بلادنا عَلى توقيع معاهدات عَلى بَرَامج اجتماعيَّة تتنافى مع أسس ديننا وأعرافنا وتقاليدنا، ولم تعد أخبار حرب الأفكار الّتي أعلنها وزير الدّفاع الأمريكيّ (رامسفيلد) بخافية عَلى أحد، هذا ناهيك عمّا استفحل في مجتمعاتنا من حمّى تقليد الغرب اختيارًا، في أساليب تفكيره وعيشه وطرق طعامه ولباسِهِ بل وحتَّى بناءِ حمَّاماته ودور خَلائِه!

****

والخُلَاصةُ:

باختصارٍ، فإنَّ هذا بعض من واقعِ المُسلِمِينَ خلالَ العُقودِ السَّبعةِ الأخيرةِ من القرنِ العِشرين، والّذي تدرَّجَ فيه البلاءُ منذُ سُقوطِ الخِلافَةِ وتجزئةِ بلادِ المُسلِمِينَ عَلى شكلِ مُستَعمراتٍ تحتَ الإحتلالِ الصّليبيِّ، ثمّ ما تلا ذلك من مرحلةِ ما سُمِّي (حُكُومَاتِ الإستقلالِ) إلى أن بلغَ البلاءُ قمَّتهُ بعد انهيارِ الإتِّحاد السُّوفييتيّ وتفرّد أمريكا وحلفائها في أوروبّا النّاتُو بَاطِلاقِ ما سمِّي (النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد) منذُ مَطلعِ التِّسعينيَّات وإلى اليَوْم.

وكانَ منَ المفروضِ أن يقفَ لكلِّ هذه الانهياراتِ حَمَلَةُ الإِسْلَام وحرَّاسه منَ العُلَماءِ والدُّعاة وما سُمِّي بجماعاتِ الصّحوةِ الإِسْلَاميّةِ والحركاتِ الجهاديّةِ، ولكن وكما سنُفَصِّلُ في الفُصُولِ القَادِمَة، فقد شهدتِ العُقودُ الأربعةُ الأخيرة مَخاضاً صَعبًا، كانت خُلاصَته أنَّ مُعظم علماءِ الهَيكلِ الدّينيّ المعروفِ لأهلِ السّنّةِ في كافّةِ بلادِ العالمِ الإِسْلَاميّ قد توزّع إمَّا في متاهاتِ النِّفَاقِ للحكّامِ والدّخولِ في تبريراتٍ

عرجَاءَ من أجلِ تَسويغِ خيانَاتِهم للدِّينِ وعَمالَتِهم للمُستَعمرينَ الجُدُدِ، وإمَّا في جحورِ العَجزِ والتّسويغات المُتعسِّفة، من أجلِ تفادي دفعِ ضريبةِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المُنكرِ وقولةِ الحقِّ عندَ سلاطين جائرين فَسَقة ظَلَمة كافِرين.

وأمَّا مَا سُمّي بالصّحوة الإسْلَاميّة الّتي انطلقت بُعَيْدَ سقوطِ الخِلافَة بقليلٍ، فقد خَرَجَت من مُصَادَمَاتِها مع حُكُومَاتِ بلادها مقلَّمَةَ الأظافرِ مدجَّنة، تتقاسمها التَّشكيلات السّياسيّة والحزبيَّة المُسَمَّاة "إسلاميّة"! لتجد لها أمكنةً في منتصف الطّريق مع الجاهِليَّة، بعد أن انسلَخَت عن معظمِ مبادِئِهَا وشِعَاراتِها وبَرَامجِها وأفكارِ مُؤَسِّسِيها الأوائل رَحِمَهُم الله، ليتحوَّل شعارها من كونِه (الله غايتنا والرَّسُولُ قُدوتُنا، والقرآنُ دُستُورُنا، والجِهَادُ سبيلُنا، والموتُ في سبيلِ الله أَسمَى أمانينا) ليتحوَّلَ وكأنَّه صارَ (البرلمانُ غايتُها، والدِّيمقراطيَّةُ الغربيّةُ قدوَتُها، والدّستُور العلمانيُّ دُستُورُها وعليه قَسَمُهَا، والانتخاباتُ سَبيلُهَا، والفوزُ بالمقاعدِ في حُكُومَاتِ الكُفرِ أَسمَى أَمانِيهَا!!).

وأما الصّحوة العقديَّة لإعادةِ المُسلِمِينَ إلى مَا كانَ عليهِ السَّلَفُ الصّالحُ، فقد توزَّعت جهودُها في جدليَّات الأبحاثِ والانشغالِ بمكافحةِ أنواعِ البِدَعِ ومكافحةِ القُبورِ والأمواتِ، وانتهت إلى الإرجاءِ وتقديسِ الملوكِ وأولياءِ الأمرِ ومكافحةِ مناوِئيهم، وأخذتْ بحظِّهَا من السَّعيِ للبرلماناتِ أيضاً.

وأمَّا الجماعاتُ الإصلاحيَّة والصُّوفيَّة والتَّبليغيَّة، فقد ازدادَت عبثيَّةً وبُعدًا عن واقعِ المُسلِمِين.

وأمَّا التّيارُ الجهاديُّ المُسلّحُ وتنظيماته في بلادٍ عربيَّةٍ وإسلاميّةٍ كثيرةٍ، فقد أبلَت بلاءً حسنًا وقدَّمت وسعَها منذُ مطلعِ السِّتينيَّات، وضحَّى أفرادُها في أجواءِ قعودِ الصّحوةِ وخُذلانها، وقعودِ عامَّة الأُمَّة وضياعهم وَتِيهِهِم، فانفردَ العدوُّ بها وسجَّل روَّادُها ومُجَاهدوها أسماءَهم في سجلَّات الشُّهداءِ والأَسرى والمُشَرَّدين في سبيل الله، ليكونوا شُهود أخدودٍ جديدٍ عَلى أمَّةٍ مقهورةٍ قاعدةٍ مُفكَّكةٍ، أمَّةٌ نسيَ معظمُ شعوبِها اللهَ فأنساهُم أنفسَهم وأعقبَهُم نكدَ العيشِ، وحُكُومَاتٍ كافرةٍ بالله مُحكِّمةٍ لشرائعِ أعدائِهِ، وعُلماء كانوا السَّببَ الأساسيَّ في تخديرِ هذهِ الأُمّةِ من بينِ منافقٍ وعاجزٍ، ودعاةٍ لما سُمِّي صَحوَة إسلاميّة، انتهى كثيرٌ منهم دعاةً عَلى أبوابِ جهنَّم، وهكذا انفردت حُكُومَاتُ الفراعنَة بشراذِم الجهاديّين ذبحًا وسجنًا وتعذيبًا وتشريدًا وقهرًا.

وانهارت بُؤَرُ الجِهَاد واحدةً تلوَ الأُخرى ولم ينصرم القرنُ العشرونَ إلَّا ومعظمُ المحاولاتِ الجهاديّة مفكّكة مشتَّتة، تتقاسمُ من بقيَ من روَّادها ثابتًا عَلى الطّريق متاهاتُ الهِجرَةِ والتَّشريد والغربةِ، يعيشون أكبرَ مُطاردةٍ لأهلِ الحقِّ عرفَها تاريخُ البَشَريَّة.

وانصَرَمَ القرنُ العشرونَ، وانصرمَت الألفُ الثّانيةُ للميلادِ، لنستقبل القرنَ الحاديَ والعِشرينَ وألفيَّته الثّالثَة، ولتفتتحه أمريكا وحلفاؤُها من أوروبّا النّاتو بمخطَّطاتٍ جعلت منَ الإِسْلَامِ والمُسلِمينَ عدوَّها الإستراتيجيّ والتّاريخيّ القائِم والقادِم، ولتتبنَّى سياساتها عَلى مبادئ صِرَاع الحضارة الغربيّة النّصرانيَّة مع حضارةِ الإِسْلَامِ والمُسلِمينَ، ولتنطلقَ الحملاتُ الصّليبيّةُ الثّالثةُ صراحةً وعلنًا.

وصحَا العالمِ عَلى دويِّ انفجاراتِ الحادي عَشَرَ من سِبتَمبرَ، قبل أن ينصرمَ العامُ الأوّل من القرنِ الحادي والعشرين، وابتدأنا ما سُمِّي (عالمَ ما بَعد سِبتَمبر).

فما هو واقعُ المُسلِمِين اليَوْم في ضوءِ ظروفِ هذا العالم ؟؟

****

﴿ واقع المُسلِمِين اليَوْم في عالم ما بعد ١١- سِبتَمبر -٢٠٠١م ﴾

كما أسلفت في التَّقديم فإن ما نعيشه اليَوْم من أوضاع في العالم الإِسْلَاميّ بعد أحداث الحادي عشر من سِبتَمبر، ليس أبدًا نتيجةً لذلك الحدث المحدود وإن كانَ عظيمًا، فما نحن فيه هو مرحلة جاء دورها وفق مخطّطات الأمريكان والأوروبّيين وأسيادهم اليَهُوْد، وهي فصول من مقتضيات النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد الّذي انطلق مطلع التّسعينيّات، بعد تفكيك حلف وارسو وإدخال مكوّناته في حلف النّاتو، وبدء مرحلة القطب الواحد (الأمريكيّ اليَهُوْدي) الّذي يريد إدارة شؤون العالم.

ولذلك فإن قولنا (واقع المُسلِمِين بعد سِبتَمبر) هو من باب التّاريخ الزّمني وليس قناعة بما تريد أمريكا إقناع العالم به من كون ما نحن فيه نتيجةً لسِبتَمبر.

ويكفي من الأدِلَّة عَلى ذلك ما نشر من المخطّطات الصّهيونيّة عن عزم اليَهُوْد عَلى استكمال احتلال فِلَسطِين وهدم المَسجِد الأقصى، وطرد من تبقّى من الفلسطينيين منها، وفرض سياسة التطبيع الشّامل مع جيرانها من حُكَّام العَرَب والمُسلِمين، هذا التّطبيع الّذي أعلنت خططه في مؤتمر مدريد ١٩٩١م.

ومن الأدِلَّة عَلى ذلك أيضاً ما نشر عن بَرَامج الأمريكان لإعادة احتلال الشّرق الأوسط والسّيطرة عَلى منابع النّفط فيه وفي وسط آسيا، وتشكيل قوّات التّدخل السّريع في أمريكا من أجل ذلك منذُ أيّام كارتر سنة ١٩٧٣م، وما تبع ذلك من سياسات استعماريّة أمريكيَّة مُعلَنة.

وما العاصفة الأمنيّة الحاليَّة الّتي تثير هياجها أمريكا وما أسمته (الحَرب العَالَمِيّة لمكافحة الإِرهَاب) إلَّا تنفيذاً لبَرَامج المؤتمرات الأمنيّة الّتي انطلقت منذُ ١٩٩٠م وتتابعت بمعدّل مؤتمرٍ عالميٍّ أو إقليميٍّ كلّ ثلاثة أشهر؛ مثل مؤتمرات برشلونة، وباريس، وميلانو، وشرم الشَّيْخ، واجتماعات وزراء الداخليَّة العَرَب في تونس وجدّة والقاهرة كلّ ستّة أشهر، والمؤتمرات الأمنيّة لدول المتوسّط الّتي شاركت فيها أوروبّا وحكام العَرَب وإسرائيل وأمريكا رغم بعدها عن المتوسّط! ثمّ تتابع المؤتمرات الأمنيّة في آسيا وأفريقيا.

ومن الأدِلَّة عَلى هذه الحملة قبل سِبتَمبر، أنّ عدد مكاتب الـ (FBI) العلنيّة قد بلغ في الشّرق الأوسط إلى ما قبل سنة ٢٠٠١م، (٢٣) مكتباً، في الرِّيَاض وعمّان والخرطوم وتونس والمغرب، وغيرها، هذا عدا مئات المكاتب السّريّة للـ (CIA).

وكما قلت، فنحن نعيش الآن حالة استغلال إعلاميّ أمريكيّ يهوديّ مبرمج، وتضخيم إعلاميّ لسِبتَمبر وتداعياته وأصحابه، من أجل تبرير عدوانهم وإقناع العالم بعكس الحقيقة الّتي تدل عَلى أنّ سِبتَمبر وغيرها من العمليَّات، وكذلك الإنتفاضة وسواها من أعمال المُقاوَمة، ما هيَ إلّا ردود أفعال عَلى عدوان وليست عدوانًا ابتدءًا كما أقنعوا معظم العالم بذلك وحتَّى كثيرًا من المُسلِمِين.

وإذا ما أردنا أن نجمل القول عن واقع المُسلِمِين اليَوْم بعد سِبتَمبر ٢٠٠١م فإنّنا نقولُ بأنَّ أحوالهم قد ازدادت سوءًا وتماديًا تحت كافّة العناوين الّتي أوردناها سابقا، من ضياع دينهم ودنياهم وتسلّط الأَعدَاء عليهم.

ففي ضياع دينهم، ازداد إصرار الحُكُومَات ومبرّراتها لتبديل الشَّرَائع ومحاربة الإِسْلَام، كما ازدادت حالة احتلال المقدّسات صراحة، وتفاقمت موجة إفساد العقائد ونشر البِدَع وسعار الفسوق والضّلال، بسبب شراسة الهجمة الإعلاميَّة وانتشار الفضائيَّات الهادفة إلى سياسات الإفساد، وازدادت غربة المُؤمِنِين والمُجَاهدين والآمرين بالمعروف والنّاهين عن المُنكر بفعل شراسة الهجمة الأمنيّة.

وأما تحت عنوان ذهاب الدُّنيَا: فنحن اليَوْم لسنا أمام تمادي سرقة الثّروات بالحيلة والنّيابة، وإنّما أمام حالة إعادة احتلال لمصادر الثّروات، وأما سوء توزيع الثّروة والظُّلم والقهر والذّل والخوف والقتل وانتهاك الأعراض فازدادت معدّلاته المُخيفة، وانتشرت حيث لم تكن قائمة قبل سِبتَمبر، في مجتمعاتٍ كانت أكثر أمنًا واستقرارًا كمجتمعات الخليج العربيّ وبلدان المُسلِمِين البعيدة عن مركز الشّرق الأوسط كبلاد آسيا وأفريقيا الإِسْلَاميّة.

وأما تسلّط الأَعدَاء فهو سمة عالم ما بعد سِبتَمبر المعلنة الموغلة في العدوانيّة، فلم يعد هناك إِرادَة حُكُومَات وخصوصيّات شعوب، والبرنامج اليَوْم عبارة عن إعادة احتلالٍ شاملٍ، هذا إذا أردنا الإجمال، ولكن يجدر بنا تسليط الضَّوء من باب التّاريخ الموجز، ومن باب التَّوصيف المفيد، من أجل

تحريك دواعي المُقاوَمة لدى الأُمّة، وذلك بذكر بعض ما حلّ بالمُسلِمين بعد أحداث الحادي عشر من سِبتَمبر ٢٠٠١، ومن أهمّ ذلك باختصار:

١- تدمير الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان:

فقد كانت أمريكا وحلفاؤها قد أعلنت سياستها وإرادتها بإسقاط حكومة طالبان في أفغانستان منذُ أواسط ١٩٩٧م، وتزايدت وتيرة نواياها ظهورًا مع الوقت واتّخذت لذلك إجراآت اقتصاديّة وسياسيّة من الحصار والعقوبات والتّلويح بالغزو والحَرب، إلى أن جاءت أحداث سِبتَمبر فوضعت نواياها موضع التّنفيذ، وبتعاون غربيّ ولاسيّما من بَرِيطَانيَا وأوروبّا النّاتو، ووسط سكوتٍ دوليٍّ وخيانة صريحة من الحُكُومَات العربيّة والإِسْلَاميّة، ولاسيّما حُكُومَات باكستان والسّعُودِيّة وإيران، تمَّ إسقاط حكومة طالبان في ديسمبر ٢٠٠١م عبر حملة عسكريّة أمريكيّة، تحركت في طليعتها عَلى الأرض قوّات المرتدّين العملاء في أفغانستان، الّذين دخلوا كابل بحماية الطّائرات الأمريكيّة، وهكذا تمَّ إجهاض التّجربة الوحيدة الوليدة لإقامة الدّولة الإِسْلَاميّة منذُ سقوط الخِلافَة العُثمَانِيّة، ونصبت أمريكا حكومةً عميلةً في كابل لتحوِّل أفغانستان إلى قلعة أمريكيّة تسيطر منها عَلى كافّة المنطقة في وسط آسيا ذات الأهمّيّة الاقتصاديّة والإستراتجيّة.

****

٢- محاولة إبادة خُلاصة الصّحوة الجهاديّة في العالم الإِسْلَاميّ:

من المعلوم أنّ قيام الإمارة الإِسْلَاميّة ورسوخ حكم طالبان، في ظل أوضاع دوليّة كانت تتصاعد فيها هجمة الغرب وحلفائه عَلى التّيار الجهاديّ المُسلّح، منذُ انفراط عقده في أفغانستان ١٩٩٢م، وما تبع ذلك من تصفية جيوبه في البوسنة والشّيشَان، وإغلاق ملاذاتهم الآمنة مؤقّتا في أوروبّا والسُّودَان واليمن وتركيا وبعض البلاد العربيّة، جعل ما تبقّى من خُلاصة التّيار الجهاديّ تفيء طبيعيّاً إلى أفغانستان، الّتي لجأ إليها أيضاً كثيرٌ من المُجَاهدين من وسط آسيا.

وقد اتخذت أمريكا من أحداث سِبتَمبر ستارًا، ومن دمار الإمارة الإِسْلَاميّة وسيلةً، من أجل تحقيق هدفها في ذبح ما تبَقّى من خُلاصة هذا التّيار المُجَاهد الّذي يمثِّل آخر خطوط دفاع أمَّة الإِسْلَام عن نفسها في هذا الزَّمن المؤسف.

وعبر معارك القصف الجويِّ المتوحّش، والهجمات الضّارية للمرتدّين الأفغان الّذين أسقطوا الحكومة الإِسْلَاميّة، أنزلت أمريكا وحلفاؤها بالمُجَاهدينَ العَرَبِ والمُجَاهدينَ من وسط آسيا والباكستان خسائرَ فادحة قتلاً وأسرًا، وقد أضافت الحكومة الباكستانيّة برئاسة (مشرف) فصلًا مروعًا إلى المذبحة، حيث قتلت عَلى أراضيها العشرات وأسرت عدّة مئات من المُجَاهدين وسلّمتهم لأمريكا، وسط صمت وبلادة مخجلة من الشّارع الإِسْلَاميّ في باكستان، رغم ما أبداه بعض الصّالحين من الإخوة الباكستانيين من تعاون أنقذ ما يمكن إنقاذه ممن تشرّدوا عبر باكستان وإيران، وتمكّنوا من إعادة الانتشار في الدُّنيَا يلتقطون أنفاسهم بعد المعارك الطّاحنة والمطاردة العمياء، راجع تفاصيل ذلك في كتاب: (باكستان مشرف – المشكلة والحلّ والفريضة المتعينة) للمؤلف.

وقد ترافقت هذه الهجمة عَلى أفغانستان، مع هجمةٍ شرسةٍ وتعاونٍ أمريكيٍّ روسيٍّ لتصفية المُجَاهدين في الشِّيشَان، والَّتي نجحت إلى حدٍّ كبيرٍ، بعد أن كانت حملةٌ غربيَّةٌ أمريكيَّةٌ أُخرى قد نَجحت في تصفيَةِ المُجَاهدين في البوسنة سنة ١٩٩٥م، وتابعت أمريكا الحملة في محاولة لتصفية الجيوب المُسلّحة في الفلبِّين واليمن والقرن الأفريقي وحيثما استطاعت بعد أن خضبت شوكتهم الرَّئيسيَّة في أفغانستان، وما تزال المُوَاجَهة مستمرَّة مع اليَهُوْد في أكنافِ بيتِ المَقْدِس منذُ نحو ثلاثِ سَنَواتٍ.

****

٣- العاصفة الأمريكيّة الأمنيّة عَلى الإِسْلَام والمُسلِمين في جميع أنحاء العالم بدعوى مكافحة الإرهَاب بعد أحداث سِبتَمبر:

وهذا عنوان يكتب تحته كتبٌ بل مجلداتٌ بكاملها، لإحصاء تاريخ وأحداث هذه الهجمة البربريّة الظَّالمة عَلى الإِسْلَام والمُسلِمين، والّذي برجموا له عبر العقود الثّلاثة الماضية مستغلّين أحداثِ سِبتَمبر، ولا يتَّسعُ المقامُ هنا للتَّفصيل، وإنَّما أورد أهمّ ما حدث في عناوين:

تصفية معظم التّيار الجهاديّ المُسلّح عَلى مستوى الجماعات والقيادات والرُّموز والهيئات والـمؤيّدين والـموالين، عن طريق الاغتيالات المعلنة والسّريّة وعمليَّات الخطف والأسر، ونقل المعتقلين إلى سجن غوانتانامو الأمريكيّ في كوبا، أو سجونها المتناثرة في قواعدها الأمريكيّة في أفغانستان وفي مختلف أنحاء العالم، أو بالتّعاون مع حُكُومَات الرِّدَّة وسجونها الكبرى المشرعة الأبواب للشّباب المسلم في هذا الزّمان، ولاسيّما الحُكُومَاتِ العريقة في مكافحة الجِهَاد والإِسْلَام والمُسلِمين كحُكُومَات السّعُودِيّة ومصر والأردن والمغرب وسوريا وتركيا وباكستان وتونس والجَزَائِر وَ...إلخ، وقد طالت هذه الحملة كثيرًا من الأبرياء حتَّى من (التّهمة الجهاديّة) إن جاز التّعبير.

محاولة تصفية كامل طيف الصّحوة الإِسْلَاميّة السّياسيّ والدَّعويّ والاجتماعيّ بإطاره العريض العام، تحت دعوى مكافحةِ الإِرهَابِ، وقطع جُذُور الأصُوليَّة الّتي تكوِّن مَحضنًا له، بل لقد طالت الحملة كلّ ما نسب للإسلام والإِسْلَاميّة، مؤسّسات إغاثيّة إسلاميّة إنسانية، هيئات اجتماعيَّة، شركات تجاريَّة، بنوك إسلاميّة، جماعات، أحزاب، حتَّى بنوك إسلاميّة – نصف ربوية! بل لقد نال البلاء حتَّى شخصيات عادية، نالها الاعتداء الأمريكيّ لأنّهم مسلمون أثرياء يشكلون صيدا للصوصية الأمريكيّة، كلّ ذلك باستغلال مسمّى الإِرهَاب والحملة لمكافحته.

البدء بخطة متدرجة لتصفية الجاليات الإِسْلَاميّة والعربيَّة ووجودها في الغرب، فقد سنت أمريكا وكافة الدّول الأوروبية قوانين لمكافحة الهِجرَة واللجوء السّياسيّ، بل وأحكاما عرفية تتيح لها اعتقال الأجانب وتوقيفهم وسحب جنسياتهم إن كانوا مجنّسين وإلغاء إقامتهم الرَّسميَّة إن كانوا مقيمين، واعتقالهم لمدد مفتوحة دون توجيه أي تهمة، قوانين عرفية أشرس بكثير من الأحكام العرفية الّتي تسنها الحُكُومَات الانقلابية العسكريّة في العالم الثّالث، ولم تسلم من هذا حتَّى أعرق بلاد الدِّيمقراطيَّة كبريطانيا والدّول الإسكندنافية وفرنسا، وفي ظل هذا السعار والكلب الّذي رافقه موجة إعلاميَّة موجهة من وسائل الإعلام الّتي يسيطر عليها اليَهُوْد والصّليبيّون عبر التلفزيونات والصّحف والأفلام وكافة وسائل النشر والإعلام، كما تزايدت أعمال الجرائم العنصرية حتَّى ذكرت إحدى الإحصائيات في أوروبّا أن هذه الاعتداءات العنصرية عَلى المُسلِمين قد تزايدت بعد سِبتَمبر خلال سنة ٢٠٠٢م بمعدل

٦٦٪ عن السنة السَّابقة، وخلال هذا الأسبوع الّذي أجري فيه التصحيحات، والإضافات الأخيرة عَلى الكتاب، ونحن في (نوفمبر ٢٠٠٤م) أحرق في هولندا عشرين مسجدا ومركزا إسلاميا في غضون عشرة أيّام!!

فقد أحرقت مساجد، وانفجرت قنابل عَلى مراكز إسلاميّة، وقتل أفراد من الجاليات المسلمة وجرح آخرون، واعتدي عَلى محجبات، حتَّى أنه قتل بعض الهندوس في أمريكا اعتقادًا من الرعاع هناك أنَّهم مسلمون لأَنّهم يلبسون عمائم هندوسيَّة! هذا فضلاً عن انتشار ما دون ذلك من العدوان من السبِّ والشَّتم والضَّرب في الطُّرقات وإرسال رسائل التَّهديد.. إلخ.

أجبرت أمريكا كافّة دول العالم بالتَّرغيب والتَّرهيب بكافَّة الوسائل، عَلى الدخول في حملتها لمكافحة الإرهَاب وقام وزير خارجيَّتهم (كولن بول) وسفراؤهم الدّبلوماسيّون والأمنيّون، فجابوا العالم يعقدون المعاهدات الأمنيّة والاتّفاقيّات البوليسيّة هنا وهناك في كافّة أقطار الأرض، وألزمت أمريكا حُكُومَات الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة بالتّعاون الكامل في الحملة تحت تهديد السّطوة العسكريّة، حتَّى صرّح بعض رؤساء الدّول العربيَّة بذلك كرئيس اليمن ومصر.

كما ضربت أمريكا بعرض الحائط بكافّة الأصوات المعترضة عليها من منظّمات حقوق الإنسان أو الهيئات الدّولية أو أعيان الشّخصيّات العامّة رغم كثرة المعترضين عَلى تجاوزها لكافّة القوانين الدّولية ولوائح حقوق الإنسان، وسوء معاملتها للأسرى والموقوفين، واستهتارها خلال عمليَّاتها العسكريّة بالمدنيّين وقتلهم، وبفضائح سجنها التّاريخي في غوانتانامو، فتجاهلت كلّ ذلك بصرف النَّظر عن مصدره سواءً كانَ من بلاد المُسلِمِين أو أوروبّا أو من الدّول الحليفة لها أو حتَّى من داخل أمريكا.

****

٤ – انطلاق الحملات الصّليبيّة الثّالثة نحو احتلال الشّرق الأوسط:

فقد صرح بوش بذلك علنا وأنه بصدد حرب صليبيّة، ثمّ اعتذر ببلاهة معللا ذلك بأنه زلة لسان، ثمّ توالت زلات لسانه، وألسنة معاونيه وكذلك تصريحات الوزراء والقيادات العسكريّة لبعض دول

النّاتو بذلك، ناهيك عن آلاف المقالات الصحفية والتصريحات من مختلف المصادر، وهكذا بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر.

واتخذت أمريكا من مشروع احتلال العراق بداية لبرنامج إعادة رسم خارطة المنطقة سياسيّاً وجغرافيا، بل تكشفت معلومات عن مشاريع لتقسيم بلاد الشّام والعراق ومصر والسّعُودِيّة وحتى تركيا إيران، واحتلال بعضها مباشرة، حيث يتزامن هذا مع برنامج أمريكي كبير للسيطرة عَلى وسط آسيا انطلاقًا من أفغانستان وباكستان، وقد تدرجت أمريكا بانتحال الأعذار الواهية من أجل احتلال العراق كبوَّابة للزَّحف عَلى الشّرق الأوسط، بدءًا من ضرورة إسقاط صدام، وانتهاء بتدمير أَسْلِحة العراق للدمار الشّامل الّتي لم يعثر عليها، ولست هنا بصدد التّاريخ لتفاصيل ما يجري وهو معلوم.

ويكفي أن أقول أن كلّ التفاصيل تشير بوضوح إلى حملة احتلال صليبيّة تقودها أمريكا وبريطانيا وإسرائيل، ويتعاون فيها كافّة دول النّاتو الأوروبية وروسيا وحلفاء أمريكا في المنطقة وعلى رأسها الهند وتركيا والباكستان وحكام البلاد الإِسْلَاميّة، كلّ هذا وسط صمتٍ وبلادةٍ دوليةٍ مخيفةٍ.

٥- توسيع حلف النّاتو ورفع شعارات الحملات الصّليبيّة:

عقد حلف النّاتو مؤتمره في شهر ١١ -٢٠٠٢م برئاسة بوش ورؤساء ١٩ دولة أوروبية من أجل ضمّ عدّة دول من أوروبّا الشرقية، بعد أن عرض ضمّ روسيا في مؤتمر آخر قبيل بضعة أشهر، حيث صرح (أثنار) رئيس وزراء أسبانيا (اليميني الصّليبيّ) خلال الحفل بأن دخول روسيا في الحلف يعزز الهويّة والروح العقائدية للحلف، في إشارة واضحة إلى التوجه الصّليبيّ.

وهكذا يتجهز العالم الصّليبيّ اليَوْم برئاسة أمريكا وعضوية أوروبّا الغربيّة ومن لحق بهم من أوروبّا الشرقية لبدء المَرحَلَة الرَّئيسيَّة من الحملات الصّليبيّة الثّالثة الّتي ابتدأت عام ١٩٩٠م بحرب عاصفة الصَّحرَاء، بعد تفكيك الإتحاد السُّوفيتيّ، حيث يتحرك النّاتو بزعامة أمريكا في هذه الحملة نحو الشّرق الأوسط بعد أن وصل عدد أعضائه مطلع (٢٠٠٤م) ليصل أعضاؤه إلى ٢٦ دولة، معظمها أوربية.

****

٦- توسيع الإتحاد الأوروبي عَلى أسس صليبيّة أيضا:

وذلك بإدخال باقي دول أوروبية الشرقية فيه تدريجيا، واللافت للنظر أيضا، إبراز الهويّة المسيحية للإتحاد الأوروبي برفض عضوية تركيا في الحلف رغم استجدائها عَلى بابه لعدة سَنَوات، ورغم علمانية حكومتها وذلك لأن شعبها مسلم، فقد أرجأ الإجتماع الأخير للإتحاد خلال شهر ١٢-٢٠٠٢م برئاسة (الدانمرك)، بحث عضويتها إلى أواخر ٢٠٠٤م، وقد أوجز الرَّئيس الفرنسي الأسبق (ديستان) السّبب بصراحة بقوله: "إنّ الإتحاد الأُوروبّي يضمّ دولاً مسيحيَّة، وإنّنا إن قبلنا تركيا فيجب أن نتساءل عن حدود أوروبّا"، وقد أصبح تعداد سكّان دول الإتّحاد الأوربّي الآن ٤٥٠ مليون نسمة!

****

٧- انطلاق البرنامج اليَهُوْدي التّلموديّ الكبير:

برعاية شارون الّذي يتحرك في حالة من وحدة الصف السّياسيّة والدّينيّة والاجتماعيَّة في إسرائيل حول هذا المشروع، الّذي يشتمل عَلى هدم المَسجِد الأقصى، وطرد ما تبقى من العَرَب الفلسطينيين بعد إحداث مجازر مروعة فيهم كما ينبىء بعض ما يتسرب من أخبار.

فقد جاء اليَهُوْد بشارون الّذي رئس حكومة وحدة وطنيّة من أجل مُوَاجَهة الإنتفاضة الّتي انطلقت بشراسة وانتقلت إلى المُوَاجَهة المُسلّحة لليهود، منذُ عام ٢٠٠٠م، وتبنت أسلوب العمليّات الاستشهادية الّتي أودت بأكثر من٤٠٠ قتيل ومئات الجرحى من اليَهُوْد عبر نحو سبعين عمليَّة استشهادية حتَّى الآن.

وتجري هذه الأيّام سلسلة من المجازر الرّهيبة للفلسطينيين عَلى يد الجيش اليَهُوْديّ وسط دعمٍ أمريكيّ علنيّ، وأوروبيّ مبطّن، وصمت دوليٍّ مُخزٍ، وتعاونٍ عربيٍّ خيانيّ ولاسيّما من حكومتي الأردن ومصر، ويبدو التّناغم كاملاً بين المشروع الصّهيونيّ الّذي يقتضي حضوراً أمريكيًا وصليبيًا كبيرًا من أجل دعم التّحرّك العسكريّ للجيش الإسرائيليّ قليل العدد، وبين المشروع الصّليبيّ الّذي يقتضي تعاونًا إسرائيليًا عَلى الصّعيد العسكريّ، ودعمًا يهوديًا عالميًا عَلى الصَّعيد الماليِّ والسّياسيِّ والإعلاميِّ.

٨- انعدام أي معارضة دولية لهذه الهجمة والغطرسة الأمريكيّة الصفيقة:

اللّهمَّ إلَّا شذرات تنطلق عَلى استحياء من بعض الدّول مثل الصّين وألمانيا وفرنسا وبعض المواقف الرُّوسية بين الحين والأخر، مواقف يمكن اعتبارها تمثيليَّات دبلوماسيَّة، ومظاهر تململ وإثبات وجود، وسعي لحصّةٍ أكبر في قصعة المُسلِمِين الّتي تشرف أمريكا عَلى توزيع حصصها، أكثر من حملها عَلى محمل الجد، والأدِلَّة كثيرة ولا يتّسع المجال للاستفاضة بمزيد من التَّحاليل السّياسيّة هنا.

****

﴿ أحوال العَرَب والمُسلِمين في ظلّ هذا الوَضع الدّوليّ بعد أحداثِ سِبتَمبر ﴾

١ – على الصَّعيد الرَّسميّ لحُكُومَات الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة:

فقد لخّصت آخر مؤتمرات للقمّة العربيَّة والإِسْلَاميّة في ظلّ عالم ما بعد سِبتَمبر الحال بكل وضوح، فقد انفضّ المؤتمرون من كلّ تلك الإجتماعات المخجلة، بعد طول خلاف ولسان حال الأُمّة يقول:

لا يلامُ الذِّئبُ في عُدوَانِه ۞ إن يَكُ الرَّاعي عدوّ الغَنَمِ[1]

فأما مؤتمر القمة العربيَّة الشهير عام ٢٠٠٢م، فكان أبرز ما فيه وفي أهدافه:

تبني الدّول العربيَّة لمبادرة ولي العهد السّعُودِيّ (الأمير عبدالله بن عبد العزيز)، والَّتي عرض فيها عَلى إسرائيل تطبيعاً عربياً كاملاً، مقابل انسحابها من الأراضي الّتي احتلتها سنة ١٩٦٧م.

وقد جاء رد إسرائيل مبكِّرًا حتَّى قبيل انفراط اجتماعات المؤتمر، فقد اقتحم الجيش الإسرائيلي الضفَّة الغربيّة وأعاد احتلالها! ونفّذ مجازر واسعة طالت البنية الإداريّة والأمنيّة للسّلطة الوطنيّة الفلسطينيّة، والبنية التّحتيّة للمنظّمات الفلسطينيّة مخلفةً مئات الضّحايا الأبرياء وآلافَ الأسرى، كما دمّرت مخيّمات بكاملها.

وأما عن مبادرتهم فقد قبلت إسرائيل نصفها وهو التّطبيع، ورفضت نصفها وهو الانسحاب المطلوب مقابل ذلك، وأحرجت صاحبها عبدالله ومملكته السّعُودِيّة، وذلك بطلبها منه أن يزور إسرائيل أو يسمح لرئيسها أن يزوره في السّعُودِيّة لمناقشة المبادرات إن كانَ جادّاً!!

وأما مؤتمر قمة منظّمة الدّول الإِسْلَاميّة الّذي تلاه بعد وقت قصير، فعدا عن ترحيبِه بوفدِ أفغانستان الجَدِيد من المرتدّين والعُملاء الّذين عيّنتهم أمريكا، فقد خرج المؤتمر بمقرّرات شبيهة ومن ذلك:

- تأييد المبادرة السّعُودِيّة الّتي صارت عربيَّة من أجل التَّطبيع مع اليَهُوْد والتَّنديد الأجوف بعدوان اليَهُوْد، دون طرح أي مقابل لذلك.

---

(١) الشاعر: عمر أبو ريشة.

- خذلان فِلَسطِين والقُدس وعدم تقديم أيّ مشروع جدِّي لأجلها.
- تأييد الحملة الأمريكيّة لمكافحة الإرهَاب والتَّأكيد عَلى أنّ الإِسْلَام الّذي يمثِّله الحكَّام المرتدّون لأكثر من ٥٢ دولة إسلاميّة ينبذ (العنف والإرهَاب)، وهو المُسمَّى العَالَمِيّ الجَدِيد للجِهَاد وحقّ المُقاوَمة!

وما يزال الوضع العربيّ والإِسْلَاميّ في تدهور منذُ سِبتَمبر ٢٠٠١م.

فقد وضعت الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة ولاسيّما تركيا والباكستان ودول الخليج والأردن أراضيها وبحارها وسماءها وجُيُوشَها في خدمة الحملة الأمريكيّة البريطانيَّة لاحتلال العراق، حيث تدفق مئات آلاف الجنود ومئات الطّائرات وحاملاتها والبوارج والسُّفن والمعدات الحَربية إلى المنطقة، وسط إعلانات أمريكيَّة عن ضرب إيران وسوريا ولبنان وتقسيم السّعُودِيّة والتّجهيز لنزع سلاح الباكستان، ووصلت الصّفاقة والابتزاز، أن تسرّب أمريكا معلومات عن نيّتها الاستيلاء عَلى جميع الودائع الماليّة للحكومة والمواطنين السّعُودِيّين في البنوك الأمريكيّة، وهي مبالغ خرافيّة من مرتبة مليارات المليارات من الدّولارات، وذلك بدعوى دعم الإرهَاب.

ولم تزد هذه الأحوال الحُكُومَات الإِسْلَاميّة إلَّا انبطاحاً وارتماءً عَلى أعتاب باب البيت الأبيض، ثمّ استضافت قطر قيادة القوّات الأمريكيّة الّتي نُقِلت من فلوريدا إليها، وأدارت أمريكا غزو العراق من أراضيها، وأما الجيش الأردنيّ فقد أجرى مناورات عسكريّة مع أربع آلاف جنديّ أمريكي في المنطقة المُمتدَّة من خليج العقبة إلى حدود العراق قبيل الغزو بقليل، ثمّ تكشّفت الأنباء عن عبور القوّات الأمريكيّة للعراق من غربه عبر الأردن! وقد أيدت دول الخليج كاملة الحَرب عملياً ساعدت فيها، وتغيّب معظم رؤسائها عن مؤتمر مجلس التّعاون الخليجيّ قبل أيّام منها في قطر، تهرّباً من مسؤوليّة المواقف المعلنة، ووضعت الكويت ٦٠ ٪ مساحتها الشّماليّة كمنطقة عسكريّة أمريكيّة للتّدريب والخدمات اللوجيستيّة للجيش الأمريكيّ البريطانيّ!! حيث عبر منها أكثر من ١٤٠٠,٠٠٠ جنديٍّ أمريكيٍّ بالإضافة إلى ٤٥,٠٠٠ جنديٍّ بريطانيّ، وترك ثلثها الباقي لاستراحة واستجمام الجنود، وطار بشَّار الأسد رئيس سوريا إلى لندن والعواصم الأوروبيّة ليطمئنَّ عَلى حفظ عرشه من الاهتزاز وسط

زلازل حرب العراق ونيران الإنتفاضة في فِلَسطِين، وحرَّكت إيران المعارضة الشِّيعيّة العِرَاقيَّة بين طهران ولندن وواشنطن، وتابعت باكستان كسائر حُكُومَات البلاد الإِسْلَاميّة تَصَيُّدَ المُجَاهدين العَرَب والطَّالِبَان وتسليمهم لأمريكا.

ثمّ غزت أمريكا العراق، ودخلت عاصمة الرَّشِيد، ودخل جنودها فيها وتبروا ما علو تتبيراً، ثمّ أعلنت أمريكا وضع العراق تحت الإحتلال بتأييد من أوربّا، وترخيص دوليٍّ من مجلس الأمن! ثمّ عيّنت فيه حكومةً عميلةً، وفرضت الاعتراف بها قسراً عَلى الدّولِ العربيَّةِ، والجامعة العربيَّةِ!

ثمّ استدعى بوش رئيس تونس (بن علي)[1] إليه قبيلَ انعقاد القمة العربيَّة برئاسة بلاده بشهر، وأملى عليه الأوامر الأمريكيّة لينقلها لباقي أمثاله من الرُّؤساء العَرَب! ثمّ اجتمع وزراء الخارجيّة العَرَب وتشاجروا، بسبب عدم تنسيق مواقفهم تجاه إملاءات بوش، ثمّ اجتمع مؤتمر القمَّة العربيّ ٢٠٠٤، تحت ضغط الشَّارع العربيّ ليتمخَّض عن الفراغ المنتظر، فتمخَّضُوا ولم يلدوا لنا حتَّى فأراً!!

وهكذا أعلن النّظام العربيّ إفلاسَه، ليتابع كلّ زعيم لهاثه عَلى حده وهرولته خلف إدارة بوش! والعامل المشترك بين الجميع هو السّباق في مكافحة الإِرهَاب إرضاءً لأمريكا وسيِّد البيتِ الأبيض.

وها نحن نشارف عَلى نهايات ٢٠٠٤، وما تزال الإستخبارات العربيَّة والإِسْلَاميّة تعمل جنباً إلى جنبٍ مع ضبَّاط الـ(FBI) والـ(CIA) الأمريكيّة، في مكافحة إرهاب الإِسْلَام والمُسلِمين، من سوريا إلى مصر إلى المغرب إلى الجَزَائِر إلى تونس إلى السُّودَان إلى جَزِيرَة العَرَب، إلى باقي بلاد المُسلِمِين، الكلّ في خدمة أمريكا اليَوْم، ويحتاج استقصاء تأريخ وتسجيل ما يجري إلى مجلداتٍ كثيرةٍ.

****

---

(١) زين العابدين بن علي : رئيس تونس ما بين ٧ نوفمبر ١٩٨٧م إلى ١٤ يناير ٢٠١١ حكم تونس بالحديد والنار وطغى كثيرا حتى أنه سعى في منع صلاة الجماعة وتقييدها ، ثم لجأ إلى آل سعود بعد أن فشل في إيقاف الثورة التي اندلعت ضده بعد إحراق بوعزيزي نفسه ، وقد رحب الديوان الملكي به ترحيب الأبطال .

٢- على صعيد العُلَماء (علماء المُسلِمين)!:

و يا حسرتاه عَلى النّسبة والمنسوب إليهم (علماء)، (المُسلِمين)!!

فباختصارٍ شديدٍ لموضوعٍ يقزِّزُ النّفس ويملؤها ألماً:

لقد ازداد المنافقون منهم نفاقاً بعد سِبتَمبر، وازداد السّاكتون الخائفون منهم سكوتاً، فاستعلنَ علماءُ السّلاطين المنافقون حتَّى عَلى منابرِ خطبِ الجمعةِ في المَسجِد الحرامِ في مكّةَ، والمسجد النَّبوي في المدينة والمساجد الكُبرى في العَواصم العربيَّة والإِسْلَاميّة من القاهرةِ إلى دمشقَ إلى الدَّار البَيضاء إلى غيرها يُهاجمون الجِهَاد والمُجَاهدين، ويُدافعون عن الحكَّام، ويدعون لعصمَةِ دماء الغُزَاة الكافرين! حيث نقلت شاشات التّلفزيونات خطب أئمتها وهم يدعون لمكافحةِ الإرهَابِ، ويُطالبون بمطاردةِ أصحابه، وتجفيفِ منابِعهم الماليّة، ودعاء الله أن يكشفهم وينقذ المُسلِمين من شرورهم، وبُثّت خطبهم وهم يطالبون أولياءَ الأمور بمطاردتهم وقطع دابرهم، وتحريض المُسلِمين عَلى نبذِهم ومحاربتِهم، من دونِ نسيانِ الحديث عن حقوقِ الكفّار الّتي حفظها الإِسْلَامُ في بلادِ المُسلِمينَ، وضرورة حسنِ معاملتهم، وخلطِ الأحكامِ الشَّرعيَّةِ لأنواع الكفّارِ والذِّمّيين والمُستأمنِين.. إلخ

حالة من الاستخذاء والاستجداء والنِّفَاق للأعداء، حملة دعائيّة توقر المسامع وتدمي القلوب وتجمّد الدّموع في العيون حسرةً وألماً، آيات الله تُتّخذ هُزوًا وتُحرَّف وتُؤوَّل، وأحاديث الرَّسُول ﷺ، تُفَسَّر وتُشَوَّه وتُوضَعُ في خدمةِ بُوش!

وتسابق أرتال العُلَماءِ العُمَلاء، عَلى شاشات الفضائِيَّات ليتباروا في سباق ماراتوني للنِّفاق والخيانة، حتَّى خرج - عَلى سبيل المثال ليُعلَم إلى أيّ مدا وصَل البلاءُ - أحد مشاهير علماءِ المُسلِمين في بلادِ الحرمين، وهو: (عايض القرنيّ)[1] ليستنكر ويصيح: عَلى شاشة (MBC) الفضائيّة معلّقًا عَلى

---

(١) عائض بن عبدالله القرني: أديب وداعية سعودي ولد في ١٩٥٩م الموافق لـ ١٣٧٩هـ حاصل على دكتوراه في الحديث النبوي، كان أحد المنتقدين للقوات الأجنبية في الكويت أيّام حربها ، فتمّ التّضييق عليه لفترة ثم سُجِنَ وبعد إطلاق سراحه خرج ليَلبس ثوبَ النفاق ويدافع عن آل سعود صباح مساء، ثم ليصبح رائد مشروع الإصلاح داخل السجون الذي يعمل على إقناع المجاهدين بعد التحقيق معهم ببطلان جهادهم، وصحة إمامة ولي أمره السعودي، وأن

أحداث سِبتَمبر: (هل أمرنا الّذين بقتل النّاس ؟هل أُمرنا بهدم العمارات ؟! لماذا لا نركّز عَلى دعوتهم للإسلام؟! لماذا لا ندعوا أعضاء الكُونغرِس الأمريكيّ للإِسلام ؟ بضعَ سنيين ويدخلون في دين الله)!!

ترى هل يدري هذا المِسكين (الّذي كانَ قد طالب بضرورة محاكمة الشّهِيد البطل خطّاب(١) وزميله المُجَاهد البطل – شامل باساييف(٢)– أبطال الجِهَاد في الشِّيشَان، عَلى ما سبّبوا من سفكِ دماء المُسلِمِينَ!! لأنّهم يجاهدون الرُّوس!!)، هل يدري أن الإحصائيّات تشير إلى أنّ ٨٥ ٪ من أعضاء الكونغرس هم من اليَهُوْدِ أو أزواج ليهوديَّات! وأنَّ الخمسة عشر الباقين، أكثرهم من الصّليبيّين المتهوّدين وأتباع الكنيسة الإنجيليّة، الّذين يعتقدون بأنّ مسيحهم لا يخرج إلا بعد مذبحة عُظمى تجتثُّ خضراء المُسلِمِين ؟! أظنّه لا يدري، فقد روى لنا إخوة مُجَاهدون من الجَزِيرَةِ أنَّه لبس بزّة عسكريّة وصلّى بالقوّات السّعُودِيّةِ المرابطة عَلى حدود العراق بقيادة (شوارزكوف) وتحت رايات أمريكا، أيّام عاصفة الصَّحرَاء،

مقارعة الصليبيين على أرض الجزيرة فتنة وغيرها من الأفكار المسمومة، ولقد سُجِّلت للقرني العديد من المواقف المخزية بحق الأمة كمدحه لبوتفليقة وحكومته وتعظيمه لعلي عبدالله صالح وغيرهم وكإنكاره على المجاهدين بالعراق جهادهم وذمّه المتكرر للشيخ أسامة لتحطيمه بُرجي التجارة وحربه ضد اليهود والنصارى وإنكاره على الشَّيْخ الزرقاوي عمليَّاته ..إلخ .

(١) سيف الإسلام (خطاب): سامر بن صالح بن عبد الله السويلم، من مواليد ١٤ أبريل ١٩٦٩م ، أحد أبرز رموز المجاهدين المهاجرين في هذا العصر، تشهد له ساحات أفغانستان وداغستان وطاجيكستان والشيشان، وقصصه وإرثه منشور مشهور، ولشدة الرعب الذي بثه في قلوب جنرالات الروس سخروا له فرق خاصة للقضاء عليه ، وتوفي إثر دسّ السمّ له في رسالة سلّمها إيّاه عميلٌ مزدوجٌ في أوائل شهر صفر من عام ١٤٢٣ هـ، والموافق ٢٠ مارس ٢٠٠٢م ﷺ.

(٢) شامل سلمانوفيتش باساييف: أحد أكبر قادة المجاهدين في القوقاز من مواليد ١٩٦٥م، خاض ملاحم القوقاز وعُيِّن نائباً لرئيس الوزراء في حكومة أصلان مسخادوف بين عامي ١٩٩٧-١٩٩٨م ثم استقال، واختير قائدًا لقوات مجلس شورى المجاهدين في القوقاز، ولم يمنعه بترُ رجله وقتلُ الروس لأهله وعائلته عن أن يواصل مشاركة المجاهدين ميدنياً في الحروب والمعارك مع زميله خطاب، رغم أن شامل ولمدةٍ من الزمن كان المطلوب الأوّل لروسيا ومطلوبا للأمم المتحدة والاتحاد الأوربي، وفي ٨ أغسطس ٢٠٠٣، أعلن وزير الخارجية الأمريكي كولن باول أن شامل باساييف يشكل تهديدًا لأمن الولايات المتحدة ومواطنيها، وقد استقال شامل من جميع مناصبه ليدير حرب عصابات طويلة المدى ويستهدف الروس بعملياته الموجعة إلى أن استشهد بانفجار لغم ﷺ في ١٠يوليو ٢٠٠٦م.

وخطب فيهم صائحاً: (سِرْ يا خادم الحرمين ونحنُ نبايعكَ عَلى الجِهَاد!) فكيف يدري أمثال هذا ما عليه حال الكونغرس؟

وتتابعت لقاءات نظيره، الشَّيْخ (سعد البريك)[1] الّذي بذل كلّ جهده عَلى الفضائِيَّات السّعُودِيّة لإقناع المُسلِمين أنّ الله ماخلق جَزِيرَة العَرَب إلّا للمشركين! وليثبت أنّ المُجَاهدين لهم ولأسياده هم كلابُ أهلِ النَّار.

وأما الّذي يستحق لقب (**شيطان العُلَماء**) بكلّ جدارة، فهو المنافق الخبيث المنكوس الشَّيْخ (**عبدالمحسن العبيكان**)[2] فقد وصلت فيه قلّة الحياء -قبّحهُ الله- أن يتابع سلسلة من حلقات عَلى الفضائيّة السّعُودِيّة، وعلى قناة (MBC) اللبنانيّة الإدارة المموّلة من السّعُودِيّة، حيث ذهب للقول دعمًا لحكومة العميل (علّاوي)[3]، بعد زيارة الأخير للسّعوديّة: فقال، أنّه وليّ أمر شَرعِيّ تجب طاعته، فلما قَالَ له السّائل (ولكنّ أمريكا هيَ الّتي عيّنته وفرضته!)، فقال: (**ولوعيّن الكفّار وليّ أمرٍ لبلادِ المُسلِمِينَ، فهم إمامٌ شَرعِيٌّ تجبُ طاعته**)، ولا أدري حقيقة عَلى أي دين تخرج مثل هذه الفتاوى، الّتي لا يقبلها ولا دين المجوس ولا عبّاد البقر، فكل الشّعوب والأديان تنكر حاكمًا عيّنه العدوّ وتعتبره غير شَرعِيّ، وحتّى قوانين أوربّا والأمم المتحدة، ولذلك يعتبروه مؤقّتًا وليس شرعيًا، أمّا هذا الضّال المضلّ فيعتبره إمامًا شرعيًا! ثمّ لمّا سأله السّائل عن جواز مقاومة جنود الأمريكان لعدوانهم، قَالَ له – وتأمّل: (**هم يدافعون عن أنفسهم ضدّ من يعتدي عليهم في العراق!! ولا يضربون من لا يضربهم!!**)

---

(١) سعد البريك: داعية سعودي وأكاديمي وإمام وخطيب ومحام ومستشار قانوني ، مواليد:١٩٦٢م، عضو في فريق مناصحة السجناء الذين يحملون الفكر الإرهابي (إخواننا المجاهدوين فك الله أسرهم)، وهو مشهور على القنوات في دفاعه عن آل سعود أولياء أمره وتخطيئه للمجاهدين إضافة لكونه تلميذا للعبيكان.

(٢) عبد المحسن بن ناصر بن عبد الرحمن آل عبيكان آل عمران: ولد عام ١٣٧٢ هـ في مدينة الطائف، لشدة تقربه من آل سعود عُيّن قاضيا ثم مستشاراً برتبة وزير ثم أعفي بعد مدة ، ومن أشهر فتاويه أن الجهاد فرض كفاية وليس بعين، ويُعتبر العبيكان الأشهر في نفاقه وعدائه للمجاهدين.

(٣) علاوي: عراقي بعثي شيعي رافضي، تولى رئاسة الحكومة العراقية العميلة المؤقتة التي تلت مجلس الحكم العراقي وذلك بالفترة من ٢٨ يونيو ٢٠٠٤ إلى ٦ أبريل ٢٠٠٥م.

فتخيّلوا مشروعيّة دفاع أمريكي مدجّج بالسّلاح عن نفسه في العراق! ضدّ مدنيّ عراقيّ يعتدي عليه!! وليست هذه الأمثلة أقذر ما تُصبِّحنا وتُمسِّينا به الفضائِيَّات والصّحف ووسائل الإعلام من دور علماء السّلاطين اليَوْم في هذه الحملة الصّليبيّة، فلشيخ الأزهر (طنطاوي)[1] إبداعاته الّتي زعم في بعضها أنَّ منع فرنسا للحجاب مسألة داخليَّة[2]، ليس للمسلمين أن يتدخَّلوا فيها! ولعلماء الشّام كما المغرب العربيّ فنونهم أيضاً، وما كانَ كثير من علماء العجم في باكستان وغيرها، بأقلّ براعة في النِّفَاق والاستخذاء من أقرانهم علماء سلاطين العَرَب، قبَّحهم الله وأسكنهم مضائق سَقَره، فهذا المدعو بـ (المُفتي الأعظم) في باكستان الشَّيْخ (رفيع عُثمَانِيّ)[3]، قَالَ في خُطبة حفل لختم البُخَارِيّ: أنَّ الّذين يقتلون وهم يُدافعون عن أنفسهم في (إقليم وزيرستان) ضدّ غارات الجيش عليهم، بأنّهم ليسوا شهداء! ولا أدري أين يذهب حمار البُخَارِيّ هٰذا، الّذي حمله أسفاراً، أين يذهب بقوله ﷺ: «من قُتِل دُون ماله.. دُونَ أهلِهِ.. دُون دَمِهِ.. فهُو شَهِيدٌ»[4] ؟! وأضاف أنَّ الجِهَاد لا يكون إلا بأمر وليّ الأمر مشرَّف، وأنَّ الأمريكان وأشكالهم في باكستان (ذمّيّين لا يجوز العدوان عليهم)، بل لا يجوز العدوان عليهم في بلادهم! وقاس فاعلُ ذلك

---

(١) محمد سيد طنطاوي: شيخ الجامع الأزهر من عام ١٩٩٦م إلى حين موته في ٢٠١٠م، في شهر فبراير ٢٠٠٣، وقبل احتلال القوات الأمريكية للعراق أقال طنطاوي الشيخ علي أبو الحسن رئيس لجنة الفتوى بالأزهر من منصبه بسبب ما قيل إنه صرح بفتوى يؤكد فيها «وجوب قتال القوات الأمريكية إذا دخلت العراق، وأن دماء الجنود الأمريكيين والبريطانيين تعد في هذه الحالة حلالا، كما أن قتلى المسلمين يعدون شهداء». وأصدر قرار بإيقاف الشيخ نبوي محمد العش رئيس لجنة الفتوى عن الإفتاء وإحالته للتحقيق؛ لأنه أفتى بعدم شرعية مجلس الحكم الانتقالي العراقي وحرم التعامل معه، كما أن جلساته ومصافحاته مع شمعون بيريز الرئيس الإسرائيلي تكررت على الإعلام.

(٢) وذلك خلال استقباله لوزير داخلية فرنسا نيوكولا ساركوزي في الأزهر في ٣٠ ديسمبر٢٠٠٣.

(٣) مفتي باكستان: ولد بالهند عام 1355 هـ تولى عدة مناصب منها: مستشار المحكمة الشرعية العليا بباكستان ورئاسة جامعة دار العلوم بكراتشي.

(٤) يقصد الشَّيْخ حديث سعيد بن زيد ﷺ الذي أخرجه النسائي برقم (٤٠٩٥) وأهل السنن وأحمد وصححه الألباني، وله شواهد في الصحيحين، وهو عن سعيد بن زيد ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :« من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد».

عَلى قولِ سيّدنا موسى عليه السلام لمّا قتلَ نفساً: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [القصص: ١٥] الآية! وقس عَلى ذلك، والحبل عَلى الجرَّار.

وأما دعاة الصّحوة ومشاهيرها، فأكثرهم منشغلون في الدّعوة للاعتدال، فهذا شيخ الصّحوة سفر الحوالي(١) (هداه الله) قد فتح بيته لدعوة المُجَاهدين للإستسلام لفراعنة بلاده والتَّوبة! التَّوبة من جِهَاد الأمريكان في بلاد الحرمين!!

و راح صنوه (سلمان العودة)(٢) يحدّثنا عَلى شاشة (الجَزِيرَة) عن فقه (المشروع الخاص)، وأن ليس عَلى كلّ أحد أن يفزع لِجهَاد الأمريكان في غزو العراق، فقد يكون بقاءه عَلى مشروعه الخاصّ أجدى، ولو كانَ أطروحة ماجستير، أو مشروع زواج، أو قراءة كتاب، أو حتَّى جلسة تأمّل! ولم يخبرنا، التَّأمُّل في ماذا؟!

أما الأخيار، أخيار العُلَماء في هذا الربع الأوّل من القرن الخامس عشر الهجريّ، فهم السَّاكتون عن الحقّ، الصَّامتون الخرس، القاعدون عن الجِهَاد وعن الأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر في كلّ ما يثير حفيظة السّلاطين، حتَّى صار من يريد مدح أحدهم يقول عنه: (جزاه الله خيراً، لا ينافق للحكومة ساكتٌ معتزلٌ)!

---

(١) د.سفر بن عبد الرحمن الحوالي: من مواليد حوالة جنوب غرب الجزيرة العربية ١٣٧٥هـ، له نتاج علميّ مفيد نافع لا تُنكر فائدته ، نسأل الله أن يصلح حاله ويرده رداً جميلا، ومؤخرا تم اعتقاله بعد توجيهه نصيحة لآل سعود رغم مرضه وحالته الصحية.

(٥) سلمان بن فهد بن عبدالله العودة : داعيةٌ سعوديّ حاصلٌ على دكتوراه في الشَّريعة من أشهر رموز الصَّحوة ومن مواليد جمادى الأولى 1376 هـ الموافق ١٤ ديسمبر ١٩٥٦م ، برز في الثَّمانينيَّات والتّسعينيّات، واعترض على تعاون الخليج مع أمريكا بعد حرب الخليج فمُنع من الخُطب والدّروس ثم اعتقل في سجون آل سعود وتمّ الإفراج عنه في١٩٩٩م، وبعد سبتمبر بدأ يدعو للمصالحة مع الأنظمة الملكيّة، ويُخذِّل الشَّباب عن النَّفير للعراق واصفاً الشَّيْخ أسامة وصحبه بالخوارج، إلى غيرها من المواقف التي لا ترضي الله ، ومؤخرا وضعه محمد بن سلمان في السجن ولا يزال، نسأل الله أن يرزقه العودة ويرده رداً جميلا.

أحوال تقطِّع القلوب كمدًا، هذه هيَ خُلاصة أحوال العُلَماء والأمراءِ، وصدق ابن المبارك حين قَالَ:

وَهَلْ أَفسَدَ الدّينَ إلّا المُلُوكُ ۞ وأَحبَارُ سُوءٍ ورُهبَانُهَا

فنحن اليَوْمَ أمام هذه الهجمة ولا صلاح الدّين يواجه الصّليبيّين، ولا قطز يواجه التّتار، ولا العزّ بن عبد السَّلام ولا ابن تَيمِيّة يجيّشون المُسلِمِين ويسيرون أمامهم، فنحن أمام أحفاد ابن أبي دؤاد، ولا أحفاد (لابن حنبل) وإنّما نحن أمام مثل الّذين حمّلوا التوراة ثمّ لم يحملوها، وأمام الّذين أتتهم آيات الله فانسلخوا منها فاتبعهم الشّيطان فكانوا من الغاويين، أمام حمير تحمل أسفارَ الحقّ، ثمّ تجد سعيًا في مكافحة الإرهَاب مع حكامها! وكلابٌ إن تحمل عليها تلهث أو تتركها تلهث، ما فتئت تنبح تكافح الإرهَاب مع أمريكا وتكافح المُسلِمِينَ المُجَاهدينَ لصالحِ جورج بوش!

وأما من تتعلق بهم آمال بعض الآملين، من مظنَّة الخير في العُلَماء في مختلف بلاد المُسلِمِين، فما زال أمل الآملين في انتظار، وما أدري ماذا ينتظرون ؟! فاسألوهم إن كانوا ينطقون، ودعنا نأمل مع الآملين لنقول: هذا هو حال عموم عملاء (عفواً) أقصد (علماء) المُسلِمِين اليَوْم - إلّا مَن رحمَ اللهُ -!

و ليظنّ كلّ طالب علم أنّ شيخه الجليل -ممن رحم الله- وليستريح البعض إلى أن محبوبهم (أبو فلان) وشيخهم (ابن علّان) ممن قصدنا بمن رحم الله.

والحقيقة لابدّ أن يكون هناك من أهل الخير من العُلَماء من لم نسمع بهم! رغم متابعتنا لوسائل الإعلام! فأمّتنا أمّة خير!

فالسَّلام عَلى كلّ واحد من أولئك يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّاً.

ونسأل الله تَعَالَى الشَّهَادة في سبيله وأن يقبضنا وقد اكتحلت عيوننا برؤيتهم يقودون الجِهَاد، وتشنَّفت آذاننا بسماع نداءاتهم للنَّفير أو نحتسبها حسرة ضمن حسراتٍ كثيرةٍ في (زمن الصّبر والقهر) هٰذا، ونستريح من عيش زمن صار فيه بطن الأرض خير من ظاهرها والحَمْدُ لله الّذي أحيانا لنشهد نبوءته – فدته نفوسنا وآباؤنا وأمّهاتنا وأبناؤنا- ﷺ، فكما جاء في الأثر الّذي رواه أبو عمرو الداني في كتابه: (السنن الواردة في الفتن – ٣٧١):

«لَا يَزَالُ الْجِهَادُ حُلْوًا أَخْضَرَ مَا قَطَرَ الْقَطْرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَقُولُ فِيهِ قُرَّاءٌ مِنْهُمْ: لَيْسَ هَذَا زَمَانَ جِهَادٍ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ فَنِعْمَ زَمَانُ الْجِهَادِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاحِدٌ يَقُولُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، مَنْ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»»(١).

نعم، صدق الصَّادق المصدوق: «عليهم لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

وربّما لو طال بنا عُمْرٌ أو بأولادنا شهدنا ما روي في حديث آخر عنه ﷺ، فقد أخرج ابن أبي الدُّنيَا عن مالك بن دينار قَالَ:

«بَلَغَنِي أَنَّ رِيحًا تَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَظُلْمَةً، فَيَفْزَعُ النَّاسُ إِلَى عُلَمَائِهِمْ، فَيَجِدُونَهُمْ قَدْ مُسِخُوا»(٢).

وأخرج التِّرْمِذِيّ في نوادر الأصول عن أبي أمامة قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «تكُونُ فِي أمّتِي فَزعةٌ فَيصيرُ النَّاسُ إِلَى عُلَمَائهمْ فَإِذا هُم قِرَدَةٌ وَخَنَازِير»(٣)!!

فوالله لست أعجب لو أصبح النّاس فرأوا أمثال هذا (**العبيكان**) الّذي يقول **أنَّ العراقيين يعتدون عَلى الأمريكان في بغداد!! لست أعجب أن يجدوه قرداً!** ولست أعجب لو رأوا الإمَام المنفوخ (**السّديس**)، إمام الحرم المكّي الّذي لا يستحي من الله أن يدعو **بالسَّلامة من التفجيرات الإِرهَابية للدّول الكافرة، وعلى المُجَاهدين بالهلاك، على باب الكعبة في دعاء ختم القرآن في آخر ليلة من رمضان ٢٠٠٤م!! ثمّ يفرغ توسّلاته إلى الله بحفظ وليّ الأمر والنَّائب الأوّل، والثّاني! لست أعجب لو أصبح النّاس فرأوه خنزيراً، وكيف العجب، وما أشبهها بذلك حتَّى قبل المسخ!**

****

(١) الحديث إسناده ضعيف لأن فيه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهو متروك الحديث وقد أجمع المحدثون على تضعيفه .
قلتُ ولكن معنى الحديث واقع نعيشه ويُفهَمُ من حديث ثوبان ﷺ حيث قال: قال رسول الله ﷺ : «إنما أخاف على أمّتي الأئمة المضلين» ، قال: وقال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمّتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من يخذلهم حتى يأتي أمر الله» رواه التِّرمِذِيّ (٢٢٢٩) وصححه الألباني، ومن حديث «الجهاد ماض إلى قيام الساعة».

(٢) ذم الملاهي لابن أبي الدنيا ٢٢ – (١/ ٣٧) .

(٣) نوادر الأصول للترمذي (٢/ ١٩٦).

٣- وأما عَلى صعيد الصّحوة الإِسْلَاميّة:

فالمتابع لأخبارها وأخبار قادتها وأحزابها وشبابها وصحفها، لا يكاد يرى إلا الجدليَّات، والقيل والقال في مجالسهم وندواتهم ومقابلاتهم عَلى الفضائِيَّات، واسمع عجبًا من تفسيراتِ نصوصِ الدّين في نبذِ الإِرهَاب، مع شيءٍ من نقد الأمريكان عَلى استحياء، والتَّنويه والتَّعريض بحكام المُسلِمِين، مع شيءٍ من الطّبطبة عَلى أكتافهم ومراعاة مشاعرهم، وفتِّش عن قيادات الصّحوة في مقاعد البرلمانات المشركة المشرِّعة من دون الله، وفي مناصب الوزارات في حُكُومَات الكفر الحاكمة بغير ما أنزل الله، الخَائِنة لله ورسوله والمُؤمِنِين، وتوقف أمام أعذار هَؤُلَاءِ الدُّعاة (الإِسْلَاميّين الدّيمقراطيين!)، ودعاوى الإصلاح والتّدرّج والتَّريُّث والتَّعقُّل، لتتذكَّر قول المتنبّي:

يَرى الجُبناءُ أنَّ العَجزَ عقلٌ ❁ وتلكَ خديعةُ الطَّبعِ اللَّئيمِ

وتابع مقابلاتهم عَلى شاشات التّلفزيون، وفتّش في ثناياها عن كلمة حقّ تتلجلج وقد أذابوها في برميل من الكلام الفارغ والتّدليس والنِّفَاق، حتَّى لا تحسب عليهم دعمًا للإرهاب، فأمريكا بالمرصاد، وأجهزة الرَّقابة والإستخبارات يُحصون الأنفاس، ويكشفون عن الخواطر وراء الكلمات، وينبشون الأسرار من قعر الصُّدور، والتّهمة جاهزة، أصوليَّةٌ، فتشدّدٌ، فتطرُّفٌ، فتأييدٌ للإرهابِ، فانتماءٌ للقاعدة!!

وهناك تقع الواقعة! فتُجمَّد الحسابات في البنوك، والدِّماء في الشَّرايين، وتذاب الأجساد تحت سياط الجلَّادين، ويعاد تجميعها عَلى كهرباء أجهزة التَّعذيب المُستوردة.

وما لأحد بهذا الإعصار الأمريكيّ الهائج لمكافحة الإِرهَاب اليَوْمَ قِبَلٌ ولا طاقةٌ، ولا تكفي لحية الدَّاعية المقصوصة إلى ما قبل حدِّ النَّتف بقليل، ولا قبّته البيضاء، ولا (الكرافتّة) الأورُبِّيَّة والبدلة الأنيقة عَلى الطِّراز الغربيّ الحديث، ولا المشاركة في الدِّيمقراطيَّة والدّعوة إليها، لإثبات الإعتدال!

فعُملاء أمريكا واستخباراتهم بالمرصاد عَلى كلّ حال، والدّين عند قيادات الصّحوة يسرٌ، إلى حدّ ما قاله الشَّاعر:

" وهذا الدّين لفرطِ يُســـــره ❁ قد احتوى مُســــيلمة..."

ويتّسعُ عندهم لمَّا يَعرضُونه ملفّقًا تحت دعوى الإعتدال وأعذار الحنكة السّياسيّة وآخر الإختراعات (الشَّفافيَّة)!! و(احترام الآخر)!! من غير أن يفهمونا من هو هذا الآخر؟!

****

٤ - وأما أحوال الأُمّة الإِسْلَاميّة وشعوبها بعد سِبتَمبر:

فمن المفارقة أنّي سمعت فيما كنت أكتب بعض أوراق هذا الكتاب أصوات إطلاق الرَّصاص وانفجارات الألعابِ النَّاريَّة والموسيقى والصِّياح، وتحيَّرت لأنّه لا يتوقع أن تكون القُدس قد تحرّرت فجأة!! أو أنَّ الهند قد انسحبت من كشمير! ونزلت استطلع الخبر، لقد كانت احتفالات (المُسلِمِين) بدخولِ السَّنة النّصرانيَّة الجَدِيدة ٢٠٠٣م! إنَّه عيد رأس السَّنة الميلاديَّة، لقد دقَّت السَّاعة الثّانية عشر، وجنّ جُنون البَقر!

ودخلت صبيحة السّنة الجَدِيدة، ولا شَّكَّ أنَّها كانت ليلة حفلاتٍ ورقصٍ وخمرٍ ودعارةٍ لملايينِ (المُسلِمِينَ)! ولا شَّكَّ أنَّ حُكُومَاتهم وأجهزةَ إعلامهم قد قدَّمت لهم كلّ وسائل الفساد ومستلزماته.

وباختصارٍ: لا تشير وقائع المُسلِمِين هذه الأيّام إلّا إلى مزيدٍ من التِّيه والضَّياع والهزيمة والبَوار.

ولولا الأمل بالله تَعَالَى، وما وعدَ رسولُه ﷺ وما بشَّر، وذلك حقٌّ ولا ريب، لانقطع الرَّجاءُ، وانطفأ الأملُ، ولكنَّها نعمة الله وأمل الإيمان.

فما أدري والله ما الّذي يلزم هذه الأُمّة بعد حتَّى تتحرَّك للجِهَاد ؟!

فماذا أكثر من استغاثة القُدس ونداء مسجدها الأقصى ؟! وماذا أكثر من انتفاضة الأقصى وما قدَّمت ؟! وماذا أكثر من أفغانستان وما أعطت ؟! وماذا أكثر من أخبار الشِّيشَان وما أبلت ؟! والبوسنة وكوسوفو وما عانت ؟ وما تضعه وسائل الإعلام في كلّ بيتٍ من أخبارِ البلاء في المُسلِمِين في كلّ مكان؟!

وماذا يهزُّ كيان الأُمّة ويحرّك وجدانها أكثر من دويّ انفجارات سِبتَمبر؟! ومشهد صقور الإِسْلَام وشهدائه يمزِّقون رمز استكبار أمريكا وجبروتها ويقتحمون نيران الانفجار بأجسادهم الطّاهرة؟ وماذا

أكثر من مشهد خمسة وعشرين صبيَّة من نساءِ وأراملِ الشِّيشَان في عمر الوَرد، وقد حزَّمنَ المتفجرات عَلى أجسادهنَّ، يجاهدن في قلب موسكو ؟

فيا لِخزيِ العمائم، ويالِعَارِ الشَّوَارب واللّحى، لقد حمل صبايا المُسلِمِين الرَّشَّاش وخرجنَ لِجهَادِ الرُّوسِ في عقرِ دارِ الرُّوسِ في موسكو!

وماذا يثير الوجدان أكثر من صُور أطفال فِلَسطِينَ تقلّ أعمار بعضهم عن السَّادسة من العمر، يواجهون الدَّبَّابات ويجرُون خلف جنودِ اليَهُوْد ؟ وماذا أكثر من مشاهد الإنزالاتِ الأمريكيّة والبريطانيَّةِ العسكريّةِ الحاشدة في بلاد المُسلِمِينَ والإعلانات عن تدمير العراق وبَرَامج احتلال البلاد والعِبَاد؟! وماذا ؟! وماذا؟

ماذا أكثر من مشاهدِ الموت والدَّمار والخزي والمَصَائِب تضعها شاشات التّلفزيون في كلّ بيت من بيوت المُسلِمِينَ، فَيُشَاهِدُونَها ويتنقّلُون بينها وبين الأفلام الخليعة والرُّسُوم المتحرّكة وعروض الأزياء ومباريات الرِّيَاضة، وحفلاتِ الرَّقص والموسيقى ودورات مسابقات الـ (ستار أكاديمي) ؟!

لقد ماتت النُّفوس، وتعفَّنت الضَّمائِر، ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٤﴾ [المطففين].

فالشارع الإِسْلَامِيّ بليدٌ، ساكنٌ إلّا من بعض المُظَاهراتِ هنا وبعض صياح الشَّجب هناك، ولم تبد بعد بوادر الحركة، والأمل بموعود الله كبيرٌ، ولعلّه يتحقّق ما يتخوّف منه الفراعنة وينذرون منه أمريكا اليَوْمَ من أنَّ غزوها للعراق وحملاتها العسكريّة والأمنيّة ستخصب تربة الإِرهَاب عَلى حدِّ زعمهِم.

فنسأل الله أن يصدق فألهم ويخيب مسعاهم.

ومن باب الإحاطة بتوصيف واقع المُسلِمِين، يجب أن نذكر أنَّ بذور المقاومة تنتعش هنا وهناك عَلى شكلِ عمليَّات محدودة ومبادرات فرديَّة شرقًا وغربًا.

قليلة هيَ المبادرات! ولكن الاستياء عارم والجوّ مشحون، والمناخ الثّوريّ يسخن، ويبشر بوصوله لحرارة الجِهَاد، بفضل الله ثمّ بفضل جبروت الأمريكان وشراسة حقد اليَهُوْد، وجشعِ الحملاتِ الصّليبيّة وبفضل انكشاف عورات الفراعنة وسقوطِ آخرِ أوراق التُّوت عنها.

هذه المُقاوَمة تبشّر بميلاد شمس الأمل؛ شمس يكاد لم يبقَ من الدّليل عَلى بزوغها الأكيد إلا أنوار فجر البشائر الصَّادقة، وبصيص لمعان الأمل في عمليَّات جِهَاد المُجَاهدين هذه، فالوعد حقٌّ ولا شكَّ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النور]، وصدق الله العظيم: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ٦﴾ [القصص]، فقد قارب حال الصَّابرين ما يبشِّر بالفرج: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾ [يوسف].

فخلاصة واقع الأُمّة اليَوْم هو ما قدَّمنا وسط دوّامة فساد الصّليبيّين في الأرض وعلوِّ اليَهُوْد الكبير فيها، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾ [يوسف].

****

٥- أحوال الجهاديّين بعد سِبتَمبر:

أما هذه فكان الله في العون، ورحم الله الشّهداء، وأسكنهم فسيح جناته، وصبر الله الأسرى وأحسن خلاصهم من سجون غوانتانامو وفروعها الأسوأ حالا في سجون حُكّام المُسلِمِين، وحفظ الله المشردين ويسر أمرهم، وثبت الله العازمين الثَّابِتين عَلى الطّريق، وأعانهم عَلى حمل الرّاية خفاقة رغم الجراح، وتسليمها شامخة لجيل قادم يخلص في حملها.

فالتّيار الجهاديّ بكامل طيفه عَلى صعيد الجماعات والقيادات والرموز والأفراد، بل وكل مؤيد ومناصر، يمرون في هذه الأيّام بأشد محنة مرت عَلى التّيار الجهاديّ المعاصر منذُ انطلاقه قبل أربعين عاماً، وذلك بسبب الحملة الظَّالمة الّتي تشنها أمريكا تحت شعار (مكافحة الإرهَاب).

لقد مرت جماعات جهاديّة عديدة عبر مسيرها بأزَمَات وملاحم ومصائب بالغة الشدة، من قبيل ما حصل بالمُجَاهدين في سوريا وتونس وليبيا والجَزَائِر ومصر وغيرها، ولكن محنة الحَرب العَالَمِيّة الحالية عَلى الإِرهَاب، كما يسمونها، تختلف من حيث اتساعها وزخمها وحجم خسائرها، فقد افتتحتها أمريكا،

وجيشت لها حلفاءها من دول النّاتو وغيرهم من الكفّار، ومن قوى الرِّدَّة المتمثلة بحكام المُسلِمِين وأجهزة قمعهم، لقد وصلت هذه الحملة إلى ذروتها بعد أحداث سِبتَمبر، حيث دمرت أمريكا الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان، الّتي شكلت الملاذ الأخير لنخبة الجماعات الجهاديّة وكوادرها، حيث قتل المئات من كوادر التّيار الجهاديّ في معركة الدّفاع عن الإمارة، ثمّ أتبعت أمريكا ذلك بأسر أكثر من ٦٠٠ مُجاهد من مختلف البلاد العربيَّة، في باكستان ونقلتهم إلى سجونها، كما ألقت القبض بالتّعاون مع حلفائها من الكفّار والمرتدّين في بلاد المُسلِمِين وغيرها عَلى عدّة مئات أُخرى، وأدرجت عَلى قائمة الإِرهَاب عشرات الجماعات الجهاديّة من مختلف بلاد المُسلِمِين، لتطارد عناصرها في كلّ بلاد الدُّنيَا، حيث دخل من تبقى من عناصر الجهاديّين ولاسيما رموزه وقياداته وقدماء كوادره في حالة من الشتات والتَّشريد والمطاردة بفعل أكبر حملة أمنيّة عالميّة يشهدها التّاريخ، حتَّى صاروا إلى حال يذكر بها وصف رسول الله ﷺ المُؤمِنِين في آخر الزّمان بقوله: «لَا يَجِدُ الْمُؤْمِنُ مَلْجَأً يَلْتَجِئُ إِلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ»(١)، واستقصاء تفاصيل ما حلّ من نكبات وعناء بالمُجَاهدين الّذين وقفوا لأمريكا وحلفائها بالمرصاد يدافعون عن هذه الأُمّة ودينها، يحتاج إلى مجلد كبير يروي أروع قصص الثّبات والتضحيات والعناء الّتي نزلت بهم وبنسائهم وأطفالهم وذويهم وبكل من آواهم ومد يد العون إليهم، ولا يسمح المجال هنا بالسرد والإطالة، وعلى كلّ حال فلسان حال من تبقى يلهج بالثّبات والعزم والتحدي.

فلله الحمد، ما زلنا عازمين، **"والله لا نُعطيهم إلَّا السّيف"** إن شاء الله، **"ولو لم نجد إلَّا الذَّرَّ لنُقاتلهم به"**، **"أو تَنفردَ هذهِ السَّالفة"** حتَّى يرضى الله تَعَالَى، **"وليأخذ الله من دمائنا ما شاء حتَّى يرضى"**، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ﴾، وإنا في طائفة قد باعت، ولقد وقع البيع، **"ولا نقيل ولا نستقيل"** إن شاء الله.

---

(١) [تمّ ضبط اللّفظ]، أخرجه الحاكم (٨٤٣٨) وقال صحيح الإسناد ولم يُوافقه الذّهبيّ، وضعّفه الألبانيّ: مشكاة المصابيح (٥٤٥٧).

فما عذرنا وقد قضى من مضى، ولعلّنا نلحق بالرّفيقِ الأعلى: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء]، وكما قَالَ الأوّلُ عاصمٌ رضي الله عنه وقد أحاط به الكفّار يستأسروه فأبى، فإنَّا نُنشِدُ كما أنشد:

ما علّتي والقوسُ منِّي نابلُ ۞ والقوسُ فيها وترٌ عَنابِلُ

إن لم أُقاتـلكم فأمّي هـابـِلُ[1]

فنسأل الله أن يمنعنا منهم أحياء وأمواتا كما منع عاصم رضي الله عنه.

وهذا إن شاء الله حالنا وحال إخواننا المُجَاهدين، ولنبشر المُؤمِنِين، ولنخزي أمريكا ومن معها من المنافقتن: فقد أبقى الله رغم كلّ ما حدث من النكبات من المُجَاهدين في كلّ مكان لأمريكا وحلفائها ما يسوؤهم، ونسأل الله أن يؤهلنا لأحوال تصدُّق هذه الأقوال، فليصيحوا ما شاؤوا في مسيرة بوش: "أُعلُ هبل" فما زلنا نردد عَلى أصداء صوت عمر رضي الله عنه: "الله أعلى وأجل" وليعبدوا أمريكا وليقولوا: " لنا في أمريكا العزّى ولا عُزّى لكم" فإن نقول لهم كما رد عمر عَلى أسلافهم: "الله مولانا ومولاكم"... " قتلانا في الجنّة وقتلاكم في النار، ولا سواء"[2].

****

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٧٠)، و النابل: صَاحب النبل. ويروى: «بازل» وَهُوَ القوى. وعنابل (بِالضَّمِّ): غليظ شَدِيد، هابل: ثاكل.

(٢) من أطراف حديث أُحُد الذي رواه أحمد (٢٦٠٩،٤٤١٤) وحسّنه الأرنؤوط.

الفصل الثاني

أحكام شرعيّة في هذا الواقع

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ٥٥﴾

[الأنعام]

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾

[آل عمران: ١٨٧]

الفصل الثاني

﴿ أحكامٌ شرعيّةٌ في هذا الواقعِ ﴾

نعتقدُ باختصارٍ أنّ أحكام الشّريعة تقرّر أنَّ الجِهَاد يكون فرضُ عينٍ علىَ كلّ مسلمٍ في مثل هذا الواقع اليَوْم، هذا ما تقرره أحكام الشّريعة.
كما أنَّ العقلَ والمنطقَ والفهمَ السَّليم يدلُّ علىَ أنَّ (الجِهَادَ المُسلَّحَ هوَ الحلُّ) من أجلِ وضع حدٍّ لأزَمَاتِ هذا الواقع.

فأما الأدِلَّة الشَّرعيَّة عَلى ذلك فهي أوضح من عين الشّمس كما سنبين إن شاء الله، فالجِهَاد فرض عين اليَوْم عَلى كافّة المُسلِمِين من وجوه كثيرة، ولا نورد الأدِلَّة العقليَّة والمَنطِقيَّة عَلى ذلك إلا من باب التأكيد، وإفحام من لا تكفيه الأحكام الشَّرعيَّة للقناعة – والعياذ بالله – وإلا فالمقرر من أساسِيَّات العَقِيْدَة أن لا رأي مع رأي الشَّرع، ولا اختيار مع اختيار الله ورسوله كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب].

هذه هيَ الحقيقة: **فالمُقَاوَمة العامّة لهذا الإحتلال الأجنبيّ الكافر، وهذه القوى المرتدّة المتعاونة معه والرازحة عَلى صدور المُسلِمِين، هيَ فرض واجب تقرره الشّريعة الإِسْلَاميّة، وحقيقة يقتضيها العقل السَّليم، كما هو الحال في كلّ أمر حيث تتوافق أدِلّة الشَّرع القويم مع مقتضى العقل السَّليم في كلّ زمان ومكان.**

فهناك أحكام شرعيّة هامة تتعلق بواقع المُسلِمِين اليَوْم يجب عَلى علماء الإِسْلَام وقيادات الصّحوة والجِهَاد بيانها للنَّاس، نذكر هنا أهمّها بغية الإختصار، تاركين تفصيل أداتها إلى الجزء الثّاني من هذا الكتاب.

فإن من أهمّ ما تقرره الأدِلَّة الشَّرعيَّة من أحكام في واقع المُسلِمِين اليَوْم ما يلي:

أولاً: بلاد الإِسْلَام اليَوْم في حالة احتلال مباشر أو غير مباشر من قبل الأَعدَاء، وجِهَادهم فرض عين عَلى المُسلِمِين بالإجماع.

ثانياً: حُكُومَات بلاد المُسلِمِين اليَوْم مرتدة كافرة لتبديلها الشَّرَائع وحكمها بغير ما أنزل الله، وولائها للكفار وخيانتها لله ورسوله والمُؤمِنِين.

ثالثاً: الخروج عَلى الحاكم إن ارتدَّ عن الإِسْلَام أو كانَ كافرًا فرض عَلى المُسلِمِين بالإجماع.

رابعاً: أحكام الشّريعة الإِسْلَاميّة تقرر بالإجماع كفرَ وردَّة من تعاون مع الكفّار وأعانهم عَلى المُسلِمِين وتُوجِبُ قتالَه.

خامساً: أحكام الشّريعة تقرر وجوب أو جواز قتال الصّائل عَلى دين المُسلِمِينَ أو أنفسِهم أو أعراضِهمأو أموالهم، حتَّى ولو كانَ مسلمًا.

ولنتناول هذه الأحكام بشيء من التفصيل في أدلَّتها:

أولاً: بلاد الإِسْلَام في حالة احتلال وعدوان وغزو من قبل الأَعدَاء، وجِهَاد الغُزَاة اليَوْم فرض عين عَلى المُسلِمِين بالإجماع:

كما أثبتنا في الفَصل الأوّل تحت عنوان (واقع المُسلِمِين اليَوْم) فإنه قد صار من المسلم به اليَوْم لدى كلّ عاقل مبصر، أن بلادنا كلها من أقصاها إلى أقصاها محتلة إما مباشرة من قبل الأَعدَاء، وإما بالنيابة من قبل نوابهم المرتدّين، مع تواجد عسكريّ كثيف للصليبيين بانتشار قواعدهم في جميع أرجائها، مع احتلال اقتصادي كامل عبر سيطرة الاحتكارات الاقتصاديَّة، وبانتشار شبكات استخباراتهم ومراكزهم الأمنيّة.

وهاهي أمريكا اليَوْم تعيد احتلال العالم الإِسْلَاميّ من جديد جهارا نهارا، فقد احتلت أفغانستان مباشرة، وبسطت سيطرتها عَلى باكستان ووسط آسيا، وهاهي قد احتلت العراق، ووزعت مئات آلاف الجنود في جَزِيرَة العَرَب وتركيا وجنوب الشّام فضلا عن ما تنشره في مصر والقرن الإفريقي وشمال

أفريقيا وما حول هذه المناطق من بحار، وهاهو بوش يعلن أنه يقود عَلى بلاد المُسلِمِين حملة صليبيّة ومعه حلفائه في حلف النّاتو من البلاد الأوروبية بالإضافة للحليف الرَّئيسي (إسرائيل) الّتي تحتل فِلَسطِين، وتستعد لهدم المَسجِد الأقصى وطرد من تبقى فيها من المُسلِمِين.

فما حكم الشّريعة في مثل هذه الأحوال؟ وماذا تفرض أحكام الدّين عَلى كلّ مسلم تجاهها؟

الجِهَاد عبادة وفريضة، فرضها الله عَلى المُسلِمِين، وهي ثابتة بتواتر الآيات في كتاب الله والأحاديث في سنة رسول الله ﷺ بما يغني عن إيراد الشواهد هنا، فهي أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر.

جاء في كتاب (الدّفاع عن أراضي المُسلِمِين أهمّ فروض الأعيان) للشيخ المُجَاهد الشّهِيد عبدالله عزام شيخ المُجَاهدين العَرَب في أفغانستان أيّام جِهَاد الرُّوس رحمه الله ما نقتطف منه ما يلي:

وجِهَاد الكفّار نوعان:

جِهَاد الطلب (طلب الكفّار في بلادهم) بحيث يكون الكفّار، لا يحتشدون لقتال المُسلِمِين، فالقتال فرض كفاية، وأقل فرض الكفاية سد الثُّغُور بالمُؤمِنِين لإرهاب أعداء الله...الخ) ثمّ قَالَ رحمه الله وهو مكان الشاهد:

جِهَاد الدَّفع (دفع الكفّار من بلادنا) وهذا يكون فرض عين، بل أهمّ فروض الأعيان، ويتعين في حالات:

أولاً: إذا دخل الكفّار بلدة من بلاد المُسلِمِين.

ثانياً: إذا التقى الصفان وتقابل الزَّحفان.

ثالثاً: إذ استنفر الإمَام أفرادا أو قوما وجب عليهم النَّفِير.

رابعاً: إذا أسر الكفّار مجموعة من المُسلِمِين.

ثمّ تحدث الشَّيْخ عبدالله رحمه الله عن الحالة الأولى وهي نزول الكفّار في أرض من أراضي المُسلِمين فقال:

(ففي هذه الحالة اتفق السَّلَف والخلف وفقهاء المذاهب الأربعة، والمحدثون والمفسرون في جميع العصور الإِسْلَاميّة إطلاقا، أن الجِهَاد في هذه الحالة يصبح فرض عين عَلى أهل هذه البلدة الّتي هاجمها الكفّار، وعلى من قرب منهم، بحيث يخرج الولد دون إذن والده، والزوجة دون إذن زوجها، والمدين دون إذن دائنه، فإن لم يكف أهل تلك البلدة أو قصروا، أو تكاسلوا، أو قعدوا، يتوسع فرض العين عَلى شكل دوائر، الأقرب فالأقرب، فإن لم يكفوا أو قصروا، فعلى من يليهم ثمّ من يليهم، حتَّى يعم فرض العين الأرض كلها).

ثمّ أوجز الشَّيْخ رحمه الله مختصر الأدِلَّة عَلى ذلك عند مذاهب أهل السّنّة وعلمائهم فقال:

أولاً: فُقَهَاء الحنفية:

قَالَ ابن عابدين في حاشيته: **[وَفَرْضُ عَيْنٍ إنْ هَجَم العدوُّ عَلَى ثَغْرٍ مِنْ ثُغُورِ الْإِسْلَامِ، فَيَصِيرُ فَرْضَ عَيْنٍ عَلَى مَنْ قَرُبَ مِنْهُمْ، ، فَأَمَّا مَنْ وَرَاءَهُمْ بِبُعْدٍ مِنْ الْعَدُوِّ فَهُوَ فَرْضُ كِفَايَةٍ عَلَيْهِمْ، حَتَّى يَسَعُهُمْ تَرْكُهُ إذَا لَمْ يُحْتَجْ إلَيْهِمْ فَإِنْ اُحْتِيجَ إلَيْهِمْ بِأَنْ عَجَزَ مَنْ كَانَ يَقْرُبُ مِنْ الْعَدُوِّ عَنْ الْمُقَاوَمَةِ مَعَ الْعَدُوِّ أَوْ لَمْ يَعْجِزُوا عَنْهَا، لَكِنَّهُمْ تَكَاسَلُوا وَلَمْ يُجَاهِدُوا فَإِنَّهُ يُفْتَرَضُ عَلَى مَنْ يَلِيهِمْ فَرْضَ عَيْنٍ كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، لَا يَسَعُهُمْ تَرْكُهُ ثُمَّ وَثُمَّ إلَى أَنْ يُفْتَرَضَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ شَرْقًا وَغَرْبًا عَلَى هَذَا التَّدْرِيجِ]**[1] إهـ.

وبمثل هذا أفتى الكاساني في بدائع الصنائع[2]، وكذلك ابن نجيم في البحر الرائق[3]، وكذلك ابن الهمام في فتح القدير[4] من أئمة الأحناف.

---

(١) حاشية بن عابدين (٤/ ١٢٤).

(٢) بدائع الصنائع (٧/ ٩٧).

(٣) البحر الرائق (٥/ ٧٨).

(٤) فتح القدير (٥/ ٤٤٢).

ثانياً: عند المالكية:

جاء في حاشية الدسوقي، الجزء الثّاني ص ١٧٤ : [**ويتعين الجِهَاد بِفَجْءِ الْعَدُوِّ: أي تَوَجَّهَ الدَّفْعُ بفجئ (أي مفاجأة) عَلَى كلّ واحد وإن امرأة أو عبداً أو صبياً، وَيَخْرُجُونَ وَلَوْ مَنَعَهُمْ الْوَلِيُّ وَالزَّوْجُ وَالسَّيِّدُ وَرَبُّ الدَّيْنِ**].

ثالثاً: عند الشّافعية:

جاء في نهاية المحتاج للرملي، في الجزء الثَّامن الصفحة ٥٩ : [**فَإِنْ دَخَلُوا بَلْدَةً لَنَا أَوْ صَارَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَنَا دُونَ مَسَافَةِ الْقَصْرِ، فَيَلْزَمُ أَهْلَهَا الدَّفْعُ، حَتَّى عَلَى مَنْ لَا جِهَادَ عَلَيْهِ مِنْ فَقِيرٍ وَوَلَدٍ وَمَدِينٍ وَعَبْدٍ وَامْرَأَةٍ**].

رابعاً: عند الحنابلة:

جاء في المغني لابن قدامة[١]: [**وَيَتَعَيَّنُ الْجِهَادُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ:**

١. **إذَا الْتَقَى الزَّحْفَانِ، وَتَقَابَلَ الصَّفَّانِ.**
٢. **إذَا نَزَلَ الْكُفَّارُ بِبَلَدٍ، تَعَيَّنَ عَلَى أَهْلِهِ قِتَالُهُمْ وَدَفْعُهُمْ.**
٣. **إذَا اسْتَنْفَرَ الْإِمَامُ قَوْمًا لَزِمَهُمْ النَّفِيرُ مَعَهُ**].

يقول شيخ الإِسْلَام ابن تَيمِيّة: "**وَأَمَّا قِتَالُ الدَّفْعِ فَهُوَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ دَفْعِ الصَّائِلِ عَنْ الْحُرْمَةِ وَالدِّينِ فَوَاجِبٌ إجْمَاعًا فَالْعَدُوُّ الصَّائِلُ الَّذِي يُفْسِدُ الدِّينَ وَالدُّنْيَا لَا شَيْءَ أَوْجَبَ بَعْدَ الْإِيمَانِ مِنْ دَفْعِهِ فَلَا يُشْتَرَطُ لَهُ شَرْطٌ بَلْ يُدْفَعُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ وَقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْعُلَمَاءُ أَصْحَابُنَا وَغَيْرُهُمْ**"[٢].

ويقول ابن تَيمِيّة : "**وَإِذَا دَخَلَ الْعَدُوُّ بِلَادَ الْإِسْلَام فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يَجِبُ دَفْعُهُ عَلَى الْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ إذْ بِلَادُ الْإِسْلَامِ كُلُّهَا بِمَنْزِلَةِ الْبَلْدَةِ الْوَاحِدَةِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ النَّفِيرُ إلَيْهِ بِلَا إذْنِ وَالِدٍ وَلَا غَرِيمٍ، وَنُصُوصُ أَحْمَدَ صَرِيحَةٌ بِهَذَا**"[٣].

---

(١) المغني لابن قدامة (٩/ ١٩٧).

(٢) الفتاوى الكبرى (٥/ ٥٣٨).

(٣) المرجع السابق.

ثمّ أضاف الشَّيْخ عبدالله عزام إثر هذه الأدِلَّة قوله: [وهذا يعرف بالنَّفِير العام ثمّ قَالَ وأدلة النَّفِير العام:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [التوبة]

وقد جاءت الآية قبلها ترتب العذاب والاستبدال جزاءً لترك النَّفِير، ولا عذاب إلا عَلَى ترك واجب أو فعل حرام، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [التوبة].

قَالَ ابن كثير رحمه الله: [أمر الله تَعَالَى بالنَّفِير العام مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الرُّوم الكفرة من أهل الكتاب وقد بوَّب البُخَارِيّ رحمه الله: "باب وجوب النَّفِير وما يجب من الجِهَاد والنِّيَّة" وأورد هذه الآية، وكان النَّفِير العام بسبب أنَّه ترامى إلى أسماع المُسلِمِين أنَّ الرُّوم يعدُون عَلَى تخوم الجَزِيرَة لغزوِ المدينة، فكيف إذا دخل الكفّار بلاد المُسلِمِين، أفلا يكون النَّفِير أولى؟ قَالَ أبو طلحة رضي الله عنه في معنى قوله تَعَالَى: ﴿ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾، كهولاً وشبابًا ما سمع اللهُ عذر أحد][1]، وقال الحسن البصريّ: "في العسر واليسر".

ويقول ابن تَيمِيّة في الجزء ٢٨ ص ٣٥٨: [فَأَمَّا إذَا أَرَادَ الْعَدُوُّ الْهُجُومَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ يَصِيرُ دَفْعُهُ وَاجِبًا عَلَى الْمَقْصُودِينَ كُلِّهِمْ وَعَلَى غَيْرِ الْمَقْصُودِينَ؛ لِإِعَانَتِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾ [الأنفال: ٧٢]، وَكَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِنَصْرِ الْمُسْلِمِ وَسَوَاءٌ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ الْمُرْتَزِقَةِ لِلْقِتَالِ أَوْ لَمْ يَكُنْ، وَهَذَا يَجِبُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ مَعَ الْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ وَالْمَشْيِ وَالرُّكُوبِ كَمَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَمَّا قَصَدَهُمْ الْعَدُوُّ عَامَ الْخَنْدَقِ لَمْ يَأْذَنْ اللهُ فِي تَرْكِهِ لِأَحَدٍ] وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: خَرَجَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ إِلَى الْغَزْوِ وَقَدْ ذَهَبَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ عَلِيلٌ، فَقَالَ: "اسْتَنْفَرَ اللهُ الْخَفِيفَ وَالثَّقِيلَ، فَإِنْ لَمْ يُمْكِنِّي الْحَرْبُ كَثَّرْتُ السَّوَادَ وَحَفِظْتُ الْمَتَاعَ "[2].

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني: (٢/ ١٤٤).

(٢) القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: (٨ / ١٥٠).

ثمّ يتابع الشّيخ عبدالله عزام رحمه الله أدِلّة النَّفِير العام فيقول:

١. **ويقول الله عَزَّ وَجَلَّ:** ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦﴾ [التوبة]. قَالَ ابن العربيّ:" كافّة" يعني محيطين بهم من كلّ جانب وحالة.[1]

٢. **ويقول عَزَّ وَجَلَّ:** ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩] **الْفِتْنَةُ هي الشِّرْكُ**، كما قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالسُّدِّيُّ[2]، وعند هجوم الكفّار، واستيلائهم عَلى الدِّيار فالأُمّة مهدّدة في دينها، وعرضة للشكّ في عقيدتها، فيجب القِتَال لحماية الدّين والنّفس والعرض والمال.

قَالَ ﷺ: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا**»[3] فيجب النَّفِير إذا استنفرت الأُمّة، وفي حالة هجوم الكفّار فالأُمّة مستنفرة لحماية دينها، ومدار الواجب عَلى حاجة المُسلِمِين واستنفار الإِمَام، كما قَالَ ابن حجر في شرح هذا الحديث، جاء في فتح الباري (الجزء٦-ص٣٩)، قَالَ القرطبيّ: (**كلّ مَن عَلِمَ بضعف المُسلِمِينَ عن عدوّهم وعلمَ أنَّه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضاً الخروج إليهم**)، قَالَ الإمَام الجصاص في أحكام القرآن[4]: "**وَلَا نَعْلَمُ خِلَافًا أَنَّ رَجُلًا لَوْ شَهَرَ سَيْفَهُ عَلَى رَجُلٍ لِيَقْتُلَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ أَنَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَتْلَهُ**"، وفي هذه الحالة – الصِّيال – إذا قتل الصّائل فهو في النَّار ولو كانَ مسلمًا، وإذا قتل العادل فهو شهيدٌ، هذا حكم الصّائل، فكيف إذا صال الكفّار عَلى أرض المُسلِمِين، حيث يتعرَّض الدّين والعرض والنّفس والمال للذّهاب والزَّوال؟! ألا يجب في هذه الحالة عَلى المُسلِمِين دفع الصّائل الكافر والدّولة الكافرة.

٣. **قتال الفئة الباغية: يقول الله عَزَّ وَجَلَّ** ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

---

(١) رواه القرطبي في الجامع: (٨ / ١٣٦).

(٢) ذكره القرطبي في الجامع: (٢/ ٢٥٤).

(٣) رواه البُخَارِيّ (١٨٣٤) ومسلم (١٣٥٣) وأصحاب السنن.

(٤) أحكام القرآن للجصاص : (٤/ ٤٦).

ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات]، فإذا فرض الله علينا قتال الفئة الباغية المسلمة حفاظاً عَلى وحدةِ كلمةِ المُسلِمِينَ وحمايةِ دينها وأعراضها وأموالها، فكيف يكونُ الحكمُ في قتالِ الدّول الكافرة الباغية؟ أليس هذا أولى وأجدر.

٤. حدُّ الحرابة: قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٣٣﴾ [المائدة] هذا حكم المحاربين من المُسلِمِين الّذين يخيفون عامَّة المُسلِمِينَ ويُفسدون في الأرضِ ويعبثون بأموالِ النّاس وأعراضهم، فكيف بالدّول الكافرة الّتي تُفسِدُ عَلى النّاسِ دينَهم ومالَهم وعرضَهم، أليسَ قتالها أوجب عَلى المُسلِمِين وأحرى؟!

هذه بعض الأدِلَّة والمبرِّرات للنَّفير العام، إذا دخل الكفّار أرض المُسلِمِين، أن دفع العدوّ الكافر هو أوجب الواجبات بعد الإيمان]. **انتهى النقل عن كتاب الدّفاع عن أراضي المُسلِمِين، باختصارٍ طفيف.**

وأقول: فإذا تأمَّلنا أحوال المُسلِمِين اليَوْم، لوجدنا أن الجِهَاد قد تعيَّن عليهم من الوجوه الأربعة، في كلّ الأرض، وأوضح وجوه فرضيّته هو البَاب الأوّل (وهو نزول الأَعدَاء في أكثر بلاد المُسلِمِين).

فما من بلد من بلاد المُسلِمِين اليَوْم، إلّا وهو محتلٌّ من قبل أنواع الكفّار، من اليَهُوْد كبلاد فِلَسطِين وأجزاءٍ من بلاد الشّام(1)، أو من قبل الصّليبيّن، كبلاد البوسنة والبلقان، والشّيشَان والقفقاس، والجمهوريّات الإِسْلَاميّة في وسط آسيا والفلبين، وغيرها، أو من قبل الوثنيين مثل كشمير الّتي يحتلها الهندوس وتركستان الشَّرقيَّة وأجزاء من جنوب شرق آسيا الّتي تحتلُّها الصين...وغير ذلك.

وكل هذه البلاد قد عجز أهلها ومن جاورهم، ثمّ من جاورهم. ثمّ جميع من تلاهم وجاورهم، عجزوا أو تكاسلوا أو فرَّطوا، فعَمَّت الفريضةُ العينية بالجِهَاد كلّ أهل الإِسْلَام.

---

(١) وقد غدت محتلة بأجمعها من قبل من هو أعتى من اليهود إلا بضع بلدات قليلة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأما باقي البلاد الإِسْلَاميّة والعربيَّة، بما فيها عقر دار الإِسْلَام وكعبتهم، ومسجد نبيهمﷺ، فمحتلة بصورة غير مباشرة من قبل الصّليبيّيّن واليَهُوْد، بنيابة الحكّام المرتدّين، وأعوانهم المُنَافِقِين الّذين وضعوا جُيُوشهم في خدمة الكفّار، بزعامة أمريكا وسيّدتها إسرائيل وحلفائهم الصّليبيّيّن، الّذين ملؤوا البلاد بالقواعد العسكريّة البَرِّيَّة والبحريَّة والجويَّة، واحتلُّوا البلاد بهذه الطَّريقة الحديثة، بتجميع قوّاتهم فيها في قواعد مركَّزة بدل نشرها، واكتفوا بنشر المرتدّين لجُيُوشهم من المُنَافِقِين والجهَّال والمكرهين والضَّائعين، الّذين يقومون بدور المحتلِّ بالنِّيابة، حيث يُخرج الصّليبيّون قوّاتهم من مراكزها وقت الحاجة، ويكفي أن نعلم أنّ لأمريكا وحلفائهم الصّليبيّيّن فوق أرض جَزِيرَة العَرَب أكثر من مائتي ألف جندي، وسلاحاً وعتادًا مخزنًا يكفي لمليون جنديّ، يمكن نقلهم خلال أسابيع وقت الحاجة، وبهذه الطَّريقة الخَبيثة، بتجميع القوّات في قواعد مركزيَّة، والاعتماد عَلى قوّات المرتدّين في الخدمات التَّفصيليَّة، يتفادى المحتلُّون الجُدُد استفزاز المُسلِمِينَ للجِهَادِ، ويسمحونَ للحكَّام المرتدّين بادِّعاء الإستقلال، ولعلماءِ السَّلاطين بصرف النّاس عن الجِهَاد ودعوتهم لطاعة أولياء الأمور المُرتدّين!

فالمآلُ واحدٌ، فالبلادُ محتلَّة، والثّرواتُ منهوبة، والكافرون يسومُونَ المُؤمِنِينَ ألوانَ الذّلّ والهوان عَلى أيدي أعوان المرتدّين، وشريعة الله معطَّلة، وكلمة الكفّار هيَ العُليا، والصّالحونَ نُزلاء السّجون وأقبية التَّعذيب، والنَّاظر في أحوال بلاد الحرمين والشّام ومصر وشمال إفريقيا وتركيّا والباكستان وأسبابها يرى ذلك بأوضحِ صُوَرِه.

وأما إذا جئنا للبند الثّاني من فريضة الجِهَاد العَينيّ، وهي (التقاء صفّ المُؤمِنِين بصفِّ الكافرين)، لوجدناها متحقِّقَة في كلّ بلاد المُسلِمِين بأشرسِ صُورها، ولكن بصورة خبيثة أيضاً، فقد نشر الكافرون الصّليبيّون، والكفار المرتدّون، قوّاتهم ورصُّوا صفوفَهم وأكَّدُوا حضورهم في كلّ شبرٍ من بلادِ المُسلِمِينَ، عبرَ مئاتِ الآلاف من الجيش والشّرطة والإستخبارات ورجال الأمن والجواسيس والمخبرين، ناهيك عمَّن ذكرنا من آلاف الجنود الصّليبيّيّن المجمعين في مراكزهم وقواعدهم العسكريّة في كلّ بلد، بحيث أنه ما من مسلم يقف موقف الدّفاع عن دينه والالتزام به والدّفاع عن قضايا أمته، إلا وتخطفته أيدي تلك العساكر وترصدته عيون أولئك الجواسيس!! فهل التقى صف الكافرين بصف المُؤمِنِين أم

ليس بعد؟ أم يحتاج مَشَايخنا حتَّى يبصروا ذلك ويفتون به، أن يتجمع كلّ أولئك العساكر والمخابرات والجواسيس في صف واحد أمام المساجد وأمام أبوب بيوتهم؟!

وأما إذا جئنا إلى البند الثّالث وهو (استنفار الإِمَام) فلله المشتكى وله الحمد عَلى كلّ حال، فليس للمسلمين عَلى وجه الأرض اليَوْم إمام شَرعِيّ واحد، وما فيهم اليَوْم إلا محارب لله ورسوله ساع في الأرض الفساد، فكلهم معتمد عَلى ألوان الكفّار من اليَهُوْد الصّليبيّين والوثنيين، ومن اشترى ذمتهم من المُنَافِقين، فليس هناك إمام شَرعِيّ يستنفر للجِهَاد، بل هناك أئمة الكفر والردة يستنفرون الأراذل عَلى المُؤمِنِين!! فهل سقط الجِهَاد لغياب الإِمَام الشَّرعيّ؟! فمن يدفع الصّائل اذن؟

والحقيقة أن حجة الله قد قامت عَلى عباده المُسلِمِين في أكثر بلاد الدُّنيَا، فما من بلد من بلاد المُسلِمِين إلا وقام فيه دعاة للهدى، من علماء عاملين، أو دعاة صادقين أو أمراء جِهَاد مخلصين، دعوا النّاس للجِهَاد والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، واستنفروهم، وحتى لو خلا بلد من البلاد عن مثل هَؤُلَاءِ الأئمة، وأمراء الجِهَاد الصّالحين، عَلى فرض ذلك، فأمة الإِسْلَام واحدة، ولا إعتبار من وجهة نظر الإِسْلَام للحدود الّتي رسمها الصّليبيّون بين بلادنا، وما اخترعوه من جنسيات وتابعيات وأعلام وجوازات سفر، فأمة الإِسْلَام واحدة وتبقى واحدة، ولم تخل عن أمراء جِهَاد دعوا المُسلِمِين واستنفروهم، وعلى المُسلِمِين إجابتهم والنَّفِير معهم لدفع الصّائل، ومن أمثال هَؤُلَاءِ وقت غزو الرُّوس لأفغانستان الشَّيْخ عبدالله عزام رحمه الله، ومن وقف معه في الدّعوة للنفير العام بالجِهَاد من علماء باكستان وأفغانستان وغيرهم، ومنهم كافّة شيوخ وأمراء الجماعات والدعوات الجهاديّة في مختلف البلاد الإِسْلَاميّة، ومن هَؤُلَاءِ اليَوْم الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن حفظه الله، الّذي يستنفر المُسلِمِين لجِهَاد الأمريكان واليَهُوْد اليَوْم، ومثله العديد من العُلَماء ودعاة الجِهَاد ضدهم من بلاد العَرَب والعجم في العراق والشِّيشَان وفلسطين والفلبين وإندونيسيا وغيرها، وعلى المُسلِمِين إجابتهم للنفير.

وأما إذا جئنا للوجه الرَّابع من فريضة الجِهَاد العينية وهو (إذا أسر العدوّ بعض المُسلِمِين)، فماذا نقول؟ وماذا نعيد؟ وأين نعد؟ وماذا نزيد؟

- فأسرى الشَّبَاب المسلم المخطوف من مختلف بلاد الدُّنيَا إلى سجن غوانتانامو الأمريكيّ المخزي قد جاوز اليَوْم ٧٠٠ أسير من مختلف الجنسيَّات بحسب المصادر الأمريكيّة ذاتها، ومثل هذا العدد في السّجون الأمريكيّة في أفغانستان وباكستان.
- وأكثر من هذا العدد مجموع أسرى الشَّبَاب المسلم في سجون أوروبّا الغربيّة(بَرِيطَانيَا- فرنسا- أسبانيا- ألمانيا- بلجيكا-إيطاليا-...).
- (وأما في روسيا فبالآلاف، وقل مثلها في كشمير والفلبين وإرتريا وبلاد إفريقيا، وبلاد وسط آسيا وبلاد التركستان).
- وأما سجون طغاة بلاد العَرَب والمُسلِمين من أمثال حُكَّام السّعُودِيّة ومصر وبلاد الشّام وشمال أفريقيا وتركيا والباكستان، فالأرقام المنشورة عبر منظمات حقوق الإنسان، وتقارير منظّمة العفو الدّولية تذهب إلى عشرات الآلاف في البلد الواحد أحيانا!! فلا شَّكَّ أن الأرقام عن أسرى الشَّبَاب المسلم في تلك البلاد يجاوز مئات الآلاف!! وهذه حقيقة موثقة وليست مبالغات موهومة.
- وأما عن فِلَسطِين فالأخبار العَالَمِيّة تطالعنا في كلّ يوم عن قتل المئات وأسر الآلاف، فقد أسر اليَهُوْد في يوم واحد من أيّام الإنتفاضة أكثر من ألف أسير! وقد طال الأسر في عموم تلك البلاد النِّسَاء والفتيات وحتى الأطفال.
- وأما عن حوادث القتل والتعذيب والاغتصاب وهتك أعراض الرّجال والنِّسَاء، فلا تكاد تخلوا بلد منها!! فهل وجب الجِهَاد أم لم يجب بعد؟! وعلماء المُسلِمِين قد أفتوا بأنه إذا سبيت امرأة مسلمة في المشرق وجب عَلَى أهل المغرب تخليصها، وأن عَلَى المُسلِمِين إنقاذ أسراهم ولو استنفذوا في ذلك جميع أموالهم.

ولعلّ بعض المُنَافِقين أو بعض الجهال، ينفي حالة الإحتلال عن بعض بلاد المُسلِمِين، ويحرم مقاتلة الغُزَاة بدعوى أنهم قدموا بموجب اتفاقات مع حُكَّام

بلاد المُسلِمِين، فينبغي أن نثبت لهَؤُلاَءِ أن هذا لا يجوز لحاكم مسلم لو كانَ مسلما، وأن نبين لهم أن هَؤُلاَءِ الحكّام قد فقدوا شرعيتهم بكفرهم وردتهم وخروجهم من ملتنا.

وهو ما ستبيّنه الفقرة التّالية...

****

ثانياً: حُكُومَاتُ بلادِ المُسلِمِينَ اليَوْم مُرتدَّةٌ كَافِرَةٌ لتبديلها الشَّرَائع وحُكمِها بغيرِ ما أنزلَ اللهُ، وولائها للكفّار وخيانتها للهِ ورسُولهِ والمُؤمِنِينَ:

لقد تسرَّب العديد من أنواع الشِّرك بالله إلى معتقدات الكثير من المُسلِمِين مع تتالي الأزمان حتَّى وصلنا إلى هذه الأزمنة التعيسة المتأخرة.

ومن ذلك ما حصل من الكثيرين من عبادة غيره من دونه، ومعصيته وإنكار أحكامه مع طاعة غيره وطاعة أحكامهم، وترك ولايته وولاية أوليائه، ثمّ ولاية أعدائه من دون أوليائه.

فكل مسلم يعتقد ويعترف ويدعى الإيمان بأن الله هو الخالق، وأنه هو الرزاق، وأنه هو المحيي، وأنّه هو المميت، وأنّه الضّارُّ النّافع، وأنّه الخافض الرّافع، وأنّه الحكم العدل، إلى آخر أسماء الله وصفاته، ولكن كثيراً من المُسلِمِين في واقعهم يتوجّهون في جلب النّفع ودفع الضر وطلب الرّزق، والخوف والرّجاء، والتّحاكم والتّشريع، والتّحليل والتّحريم، عَلى غير ما أمر الله به، إلى البشر من أمثالهم، وخاصّة من الحكّام والكبراء، والأحبار والرّهبان والعُلَماء والمَشَايخ، ومن يعتقدون فيهم من الرّجال!

وهذه هيَ حقيقة العِبَادة وحقيقة الطاعة، الّتي تنقض زعمهم الإيمان بالرب الخالق كما يدعون، الرب الّذي لا يتم الإيمان به إلا بملازمة عبادته إلها، وطاعته وحده لا شريك له في أحكامه، تماما كما يجب الإيمان به ربا خالقا رازقا.

إن من أعظم وجوه عبادة الله وطاعته، التزام أحكامه وأوامره ونواهيه وشرائعه وهذا بديهي، فهل ثمة تكذيب أكبر من أن يدعي رجل الإيمان بالله، ثمّ ينكر تشريعاته ويتنقصها! ويدَّعي عدم صلاحيتها للعصر! وأنها سبب تخلف المُسلِمِين!! ويقدم غيرها من شرائع البشر عليها عمليا! ويحكم النّاس بها ويقهرهم عَلى قوانينها بالقوة!

إن هذه الطاعة لا يتقبلها أحدهم من زوجته، ولا ولده، ولا خادمه ـ ولله المثل الأعلى ـ فهل يقبل ربّ البيت من زوجته ادعاء حبه وهي تطيع غيره وتنفذ أوامر غيره في بيته؟! وهل يقبل من ولده ادعاء طاعته ثمّ يطيع جاره ويعصيه ؟ وهل يقبل من خادمه وعامله الّذي يأكل من رزقه، أن يدعي سيادته، ثمّ يتحرك وفق توجيهات غيره! فهم لا يقبلون ذلك عَلى أنفسهم ولله المثل الأعلى، ولهذا جاءهم الخطاب أفلا تتقون ؟! أفلا تذكرون ؟! فهذا ادعاء بَاطِل وعمل مُنكر.

إن كون الحاكِمِيَّة لله وحده، وأن التَّشريع منه وحده، وأن الطاعة له وحده، وأن الحلال ما أحله الله، وأن الحرام ما حرمه، وأن ما أمر به نافذ، وأن ما نهى عنه يُترك، هيَ أمور من صميم توحيد الألوهية وعبادة الله وحده، وقد أثبت القرآن هٰذا، وأثبت الكفر لمُنكره، كما أثبتته السنة واستقر عليه إجماع هذه الأُمّة، وسادة علمائها وفقهائها عبر الأزمان والعصور، ولا يكون الدّين كله لله في الحقيقة إلا هكذا، والآيات متواترة عَلى هذه المعاني متعاضدة، ومن ذلك قوله تَعَالَى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾[المائدة].

قَالَ ابن كثير ﷺ في تفسيره: [﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ أَيْ: فَاحْكُمْ يَا مُحَمَّدُ بَيْنَ النَّاسِ: عَرَبِهِم وَعَجَمِهِمْ، أُميهم وَكِتَابِيِّهِمْ،﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ إِلَيْكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيمِ] ثمّ قَالَ: [﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾: أَيْ: آرَاءَهُمُ الَّتِي اصْطَلَحُوا عَلَيْهَا، وَتَرَكُوا بِسَبَبِهَا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ أَيْ: لَا تَنْصَرِفْ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي أَمَرَكَ اللهُ بِهِ إِلَى أَهْوَاءِ هؤلاء من الجهلة الأشقياء]، ثمّ قَالَ: وانتبه إلى هذا الأثر العظيم الهام ـ

قَالَ ابن كثير رحمه الله: [وقوله تَعَالَى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ يُنْكِرُ تَعَالَى عَلَى مَنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ اللهَّ المُحْكَم المُشْتَمِلِ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ، النَّاهِي عَنْ كُلِّ شَرٍّ وَعَدْلٍ إِلَى مَا سِوَاهُ مِنَ الْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ وَالِاصْطِلَاحَاتِ، الَّتِي وَضَعَهَا الرِّجَالُ بِلَا مُسْتَنَدٍ مِنْ شَرِيعَةِ اللهَّ، كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَحْكُمُونَ بِهِ مِنَ الضَّلَالَاتِ وَالْجَهَالَاتِ، مِمَّا يَضَعُونَهَا بِآرَائِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ، وَكَمَا يَحْكُمُ بِهِ التَّتَارُ مِنَ السِّيَاسَاتِ الْمَلَكِيَّةِ الْمَأْخُوذَةِ عَنْ مَلِكِهِمْ (جِنْكِزْخَانَ)، الَّذِي وَضَعَ لَهُمُ (اليَساق) وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ كِتَابٍ مَجْمُوعٍ مِنْ أَحْكَامٍ قَدِ اقْتَبَسَهَا عَنْ شَرَائِعَ شَتَّى، مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَالْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَفِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَحْكَامِ أَخَذَهَا مِنْ مُجَرَّدِ نَظَرِهِ وَهَوَاهُ، فَصَارَتْ فِي بَنِيهِ شَرْعًا مُتَّبَعًا، يُقَدِّمُونَهَا عَلَى الْحُكْمِ بِكِتَابِ اللهَّ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ كَافِرٌ يَجِبُ قِتَالُهُ، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى حُكْمِ اللهَّ وَرَسُولِهِ ﷺ فَلَا يُحَكِّمُ سِوَاهُ فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ، قَالَ اللهَّ تَعَالَى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ﴾ أَيْ: يَبْتَغُونَ وَيُرِيدُونَ، وَعَنْ حُكْمِ اللهَّ يَعْدِلُونَ؟ وقوله تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ أَيْ: وَمَنْ أَعْدَلُ مِنَ اللهَّ فِي حُكْمِهِ لِمَنْ عَقل عَنِ اللهَّ شَرْعَهُ، وَآمَنَ بِهِ وَأَيْقَنَ وَعَلِمَ أَنَّهُ تَعَالَى أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، وَأَرْحَمُ بِخَلْقِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا، فَإِنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْعَالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْعَادِلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ] اهـ.(١)

ومما قاله ابن كثير عن (الياسق) في تاريخه (البداية والنهاية)، قَالَ: [ثُمَّ ذَكَرَ الْجُوَيْنِيُّ نتفا من الياسا مِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ مَنْ زَنَا قُتِلَ، مُحْصَنًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مُحْصَنٍ، وَكَذَلِكَ مَنْ لَاطَ قُتِلَ، وَمَنْ تَعَمَّدَ الْكَذِبَ قُتِلَ، وَمَنْ سَحَرَ قُتِلَ، وَمَنْ تَجَسَّسَ قُتِلَ، وَمَنْ دَخَلَ بَيْنَ اثْنَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فَأَعَانَ أَحَدَهُمَا قُتِلَ، وَمَنْ بَالَ فِي الْمَاءِ الْوَاقِفِ قُتِلَ، وَمَنِ انْغَمَسَ فِيهِ قُتِلَ .... وَفِي ذَلِكَ كُلِّهِ مُخَالَفَةٌ لِشَرَائِعِ اللهَّ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى عِبَادِهِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَمَنْ تَرَكَ الشَّرْعَ الْمُحْكَمَ الْمُنَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَتَحَاكَمَ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الشَّرَائِعِ الْمَنْسُوخَةِ كَفَرَ، فَكَيْفَ بِمَنْ تحاكم إلى الياسا وَقَدَّمَهَا عَلَيْهِ؟ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَفَرَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ] اهـ(٢).

قلتُ:

---

(١) تفسير ابن كثير(٣/ ١٢٨-١٣١).

(٢) البداية والنهاية (١٣/ ١١٨).

و(**الياسا**): هو دُستُور ومجموعة قوانين، وضعها جنكيز خان، (الملك التَّتريّ) لما اجتاح المشرق، ورأى تعدُّدَ الأديانِ والفلسفاتِ، فوضعَ بمشاورةِ المُشَرِّعينَ عندَهُ هذا الدّستُور، ممَّا استحسنوهُ بعقولِهم ومن وَحيِ تَجاربهم، وخلطُوهَا بأحكامٍ من الإِسْلَامِ والنّصرانيَّة وأديانهم الوَثنيَّة.

وهو نفسُ الفعلِ الّذي يقومُ بِهِ اليَوْم حُكَّامُ المُسلِمِينَ بمساعدةِ مشرِّعيهم وبرلماناتِهم، حيث بَنَوهَا أساساً عَلَى القوانين الفَرنسيَّة والإنجليزيَّة، ذات الأصل الرُّومانيِّ، وخلطوا فيها شيئاً من الشّريعةِ الإِسْلَاميّةِ، وما أمْلَتهُ عليهم أهواؤُهم! ثمّ كتبوا في أعلاها كما في بعض البلاد الإِسْلَاميّة: (الشّريعةُ الإِسْلَاميّةُ هيَ المصدرُ الأساسيّ للتَّشريع والتَّقنيين!!) وفي بعض البلاد بخلوا حتَّى بهذِهِ العبارةِ الشِّركيِّة الكاذِبَة.

فإذا كانَ ابن كثير قد نقل إجماع المُسلِمِين عَلَى كفر من حكمَ باليَاسا أو سِوَاه من جهالاتِ البَشَر، فكيف بمن حكَم بهذِهِ الشَّرَائع الوضعِيَّة في المُسلِمِينَ وأجبرَهُم عليها بقوةٍ وقهرِ السّلاحِ!!

ويكفي لكلّذ من أرادَ أن يطَّلع عَلَى حجمِ الكفرِ والفسقِ والظُّلمِ، وتبديلِ الشَّرَائع، واتّخاذ آياتِ الله هُزُوا، أن يطَّلعَ عَلَى نسخةٍ من دستورِ بلادِهِ، والقوانين المَعمُولِ بها في المَحاكم، والمَراسيم التَّشريعيَّة الّتي تَصدُر عن حكومةِ بلادِهِ كلّ يوم، وهذه هيَ الحالة في باكستانَ وكافَّة بلادِ المُسلِمِينَ، تماماً كما أَخبَرَ ﷺ فيما روى عنهُ الإِمَام أحمد: «لَتُنْتَقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتُقِضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، فَأَوَّلُهُنَّ نَقْضاً: الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ»[1]، فلا شَكَّ أن من حكّم هذه القوانين كافر يجب قتاله بإجماع المُسلِمِين.

وفي قوله تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء]

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١) رواه أحمد (٢٢١٦٠) وابن حبان (٦٧١٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٧٥) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.

[هَذَا إِنْكَارٌ مِنَ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى مَنْ يَدَّعِي الْإِيمَانَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْأَنْبِيَاءِ الْأَقْدَمِينَ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُرِيدُ التَّحَاكُمَ فِي فَصْلِ الْخُصُومَاتِ إِلَى غَيْرِ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ] ثمّ قَالَ: [وَالْآيَةُ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَإِنَّهَا ذَامَّةٌ لِمَنْ عَدَلَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَتَحَاكَمُوا إِلَى مَا سِوَاهُمَا مِنَ الْبَاطِلِ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِالطَّاغُوتِ هَاهُنَا، وَلِهَذَا قَالَ :يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ إلى آخرها][1] أي كما قَالَ في نفس سورة النِّسَاء بعد بضع آيات في قوله تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[النساء] أي: [إِذَا حَكَّمُوكَ يُطِيعُونَكَ فِي بَوَاطِنِهِمْ فَلَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا حَكَمْتَ بِهِ، وَيَنْقَادُونَ لَهُ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ فَيُسَلِّمُونَ لِذَلِكَ تَسْلِيمًا كُلِّيًّا مِنْ غَيْرِ مُمَانَعَةٍ وَلَا مُدَافِعَةٍ وَلَا مُنَازِعَةٍ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»[2]]اهـ[3]

وفي قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب].

قَالَ ابن كثير رحمه الله: [فَهَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا حَكَمَ اللهُ وَرَسُولُهُ بِشَيْءٍ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مُخَالَفَتُهُ، وَلَا اخْتِيَارَ لأحد هنا، ولا رأي ولا قول وَلِهَذَا شَدَّدَ فِي خِلَافِ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ النور: ٦٣] اهـ[4].

قَالَ الإمَام أبو بكر الجصاص رحمه الله في تفسير قوله تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ... ﴿٦٥﴾﴾ الآية السَّابقة: **[وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مَنْ رَدَّ شَيْئًا مِنْ أَوَامِرِ اللهِ تَعَالَى أَوْ أَوَامِرِ رَسُولِهِ ﷺ فَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْإِسْلَامِ**

---

(١) تفسير ابن كثير: (٢/ ٣٤٦)

(٢) الحديث ضعّفَ إسنادَه الألبانيّ. وأورده النّوَويّ في الأربعين النّوويّة وقال: حديث صحيح رويناه في كتاب الحجّة بإسنادٍ صحيح.

(٣) تفسير ابن كثير : (٢/ ٣٤٩)

(٤) تفسير ابن كثير(٦/ ٤٢٣).

سَوَاءٌ رَدَّهُ مِنْ جِهَةِ الشَّكِّ فِيهِ أَوْ مِنْ جِهَةِ تَرْكِ الْقَبُولِ وَالِامْتِنَاعِ مِنْ التَّسْلِيمِ وَذَلِكَ يُوجِبُ صِحَّةَ مَا ذَهَبَ إلَيْهِ الصَّحَابَةُ فِي حُكْمِهِمْ بِارْتِدَادِ مَنْ امْتَنَعَ مِنْ أَدَاءِ الزَّكَاةِ](١).

وقال الإِمَام ابن تَيمِيّة رحمه الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور]، قَالَ: [فبيَّنَ سبحانَهُ أنَّ منْ تَوَلَّى عن طاعةِ الرَّسُولِ وأعرضَ عن حكمِهِ فهوَ منَ المُنَافِقِينَ وليسَ بمؤمنٍ، وأنَّ المؤمنَ هوَ الّذي يقولُ سَمِعنَا وأَطَعنَا، فإذا كَانَ النِّفَاقُ يثبتُ ويزول الإيمانُ بمجرّدِ الإعراضِ عن حكمِ الرَّسُولِ وإرادَةِ التّحاكمِ إلى غَيرِه مع أنَّ هَذا تركٌ محضٌ، وقد يكونُ سَبَبُهُ قوّة الشّهوةِ فكيفَ بالتنقُّصِ ونحوه]اهـ.(٢)

- كذلك نقل شيخُ الإِسْلَام اتفاقَ الفُقَهاء فقال: [وَالْإِنْسَانُ مَتَى حَلَّلَ الْحَرَامَ الْمُجْمَعَ عَلَيْهِ، أَوْ حَرَّمَ الْحَلَالَ الْمُجْمَعَ عَلَيْهِ، أَوْ بَدَّلَ الشَّرْعَ الْمُجْمَعَ عَلَيْهِ، كَانَ كَافِرًا مُرْتَدًّا بِاتِّفَاقِ الْفُقَهَاءِ](٣).
- وقال رحمه الله في الفتاوى: [وَمَنْ حَكَمَ بِحُكْمِ مِمَّا يُخَالِفُ شَرْعَ اللهِّ وَرَسُولِهِ وَحُكْمَ اللهِّ وَرَسُولِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ ذَلِكَ: فَهُوَ مِنْ جِنْسِ التَّتَارِ الَّذِينَ يُقَدِّمُونَ حُكْمَ "الياسق" عَلَى حُكْمِ اللهِّ وَرَسُولِهِ](٤).
- ويقول أيضا في منهاج السنة: [فَمَنِ اسْتَحَلَّ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا يَرَاهُ هُوَ عَدْلًا مِنْ غَيْرِ اتِّبَاعٍ لِمَا أَنْزَلَ اللهُّ فَهُوَ كَافِرٌ](٥).
- وفي الفتاوى الكبرى: [وَمَعْلُومٌ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ وَبِاتِّفَاقِ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ مَنْ سَوَّغَ اتِّبَاعَ غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ أَوْ اتِّبَاعَ شَرِيعَةٍ غَيْرِ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ كَافِرٌ](٦).

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ١٨١).

(٢) الصارم المسلول: (ص ٣٨)

(٣) الفتاوى: (ج٣ / ٢٦٧).

(٤) الفتاوى: (٣٥/ ٤٠٨).

(٥) منهاج السنة: (٥/ ١٣٠).

(٦) الفتاوى: (٢٨/ ٥٢٤).

- ويقول الإمام ابن القيم ﵀: عند قوله تَعَالَى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء]. قَالَ: [وهذا دليلٌ قاطعٌ عَلَى أنَّه يجِبُ ردُّ موارِدِ النِّزاعِ في كلِّ ما تَنَازَع فيهِ النَّاسُ، منَ الدِّينِ كلِّه، إلى اللهِ ورسولِهِ ﷺ، لا إلى أحدٍ غيرَ اللهِ ورسُولِهِ ﷺ، فمَن أحَالَ الرَّدَّ إلى غيرِهِمَا، فقد ضَادَّ أمرَ الله، ومن دعَا عندَ النِّزاعِ إلى حكمِ غيرِ اللهِ ورسُولِهِ، فقد دَعَا بدَعوَى الجَاهِليَّةِ، فلا يَدخل العبدُ في الإيمانِ حتَّى يَردّ كلَّ ما تنازعَ فيهِ المُتنَازِعُونَ إلى اللهِ ورسُولِه، ولهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ وهذا ممَّا ذكر آنفاً، أنَّه شَرطٌ ينفي المَشرُوط بانتفائه، فدلَّ عَلَى أنَّ من حكّم غيرَ اللهِ ورسولِهِ في مواردِ النِّزاعِ كانَ خارجَاً عن مُقتَضَى الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخرِ، وحَسبُك بهذِهِ الآيةِ العاصِمَةِ القَاصِمَةِ بيانًا وشفاءً فإنَّها قاصمَةٌ لظُهورِ المُخَالفينَ لَهَا، عاصمةٌ للمُستمسِكِينَ بها، المُتَمثِّلين ما أَمَرَت بِهِ][1]

- وفي نفس هذه الآية قَالَ ابن كثير﵀: [فَدَلَّ عَلَى أَنَّ منْ لَمْ يَتَحَاكَم فِي مَحلِّ النِّزَاعِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا يَرْجِعْ إِلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ فَلَيْسَ مُؤْمِنًا بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ]اهـ[2].

- ويقول ابن القيم ﵀: [ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ مَنْ تَحَاكَمَ أَوْ حَاكَمَ إِلَى غَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ فَقَدْ حَكَّمَ الطَّاغُوتَ وَتَحَاكَمَ إِلَيْهِ، وَالطَّاغُوتُ: كُلُّ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ؛ فَطَاغُوتُ كُلِّ قَوْمٍ مِنْ يَتَحَاكَمُونَ إلَيْهِ غَيْرَ اللهِ وَرَسُولِهِ، أَوْ يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ، أَوْ يَتْبَعُونَهُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنْ اللهِ][3].

- وقال ﵀ في مدارج السالكين: [وَإِنِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ غَيْرُ وَاجِبٍ، وَأَنَّهُ مُخَيَّرٌ فِيهِ، مَعَ تَيَقُّنِهِ أَنَّهُ حُكْمُ اللهِ، فَهَذَا كُفْرٌ أَكْبَرُ][4].

---

(١) الرّسالة التبوكية: (١/ ٤٢).

(٢) تفسير ابن كثير: (٢/ ٣٤٦).

(٣) إعلام الموقعين: (٢/ ٩٢).

(٤) مدارج السالكين: (١/ ٣٤٦).

- يقول القاضي أبو يعلي في أصول الدّين ص ٢٧١: [ومن اعتقدَ تحليلَ ما حرَّمَ اللهُ بالنصِّ الصَّريحِ، أو من رسُولِه أو أَجمعَ المُسلِمُون عَلى تحريمِهِ، فهوَ كافرٌ، كمن أباحَ شُربَ الخَمرِ ومَنَعَ الصَّلاةَ والصِّيَامَ والزَّكاةَ، وكذلكَ من اعتقَدَ تحريمَ شيءٍ حلَّله اللهُ أباحَهُ بالنَّصِّ الصَّريحِ أو أَبَاحَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، والوجهُ فيهِ أنَّ في ذلكَ تكذيبٌ لله تَعَالَى ولرسولِهِ في خَبَرِهِ، وتكذيبٌ للمُسلمينَ في خَبَرِهم، ومن فعلَ ذلكَ كَفَرَ بإجماعِ المُسلِمِينَ](١).
- قَالَ الإِمَام القرطبي رحمه الله في تفسيره عند قوله تَعَالَى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾ [التوبة]، قَالَ: [اسْتَدَلَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى وُجُوبِ قَتْلِ كُلِّ مَنْ طَعَنَ فِي الدِّينِ، إِذْ هُوَ كَافِرٌ. وَالطَّعْنُ أَنْ يَنْسُبَ إِلَيْهِ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ، أَوْ يَعْتَرِضَ بِالِاسْتِخْفَافِ عَلَى مَا هُوَ مِنَ الدِّينِ، لِمَا ثَبَتَ مِنَ الدَّلِيلِ الْقَطْعِيِّ عَلَى صِحَّةِ أُصُولِهِ وَاسْتِقَامَةِ فُرُوعِهِ](٢).

فانظروا اليَوْمَ في خطاباتِ وتصريحاتِ هَؤُلَاءِ الرُّؤَسَاءِ وأعوانِهم، وما فِيهَا مِنْ طعنٍ بالدِّينِ واستخفافٍ بِشَعَائِرِه.

- وقال رحمه الله: "إِنْ حَكَمَ بِمَا عِنْدَهُ عَلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَهُوَ تَبْدِيلٌ لَهُ يُوجِبُ الْكُفْرَ"(٣)
- وقال: "إِنَّ مَنْ طَلَبَ غَيْرَ حُكْمِ اللهِ مِنْ حَيْثُ لم يرضى به فهو كافر"(٤).

ونكتفي بهذه الآثار، والشواهد كثيرة جدّاً، من أقوال الأئمة والعُلَماء ونصوص الكتاب والسنة.

وقد تكلم في هذه المسألة جمع من علماء المُسلِمِين المعاصرين الّذين عاشوا واقع كفر حكامنا في هذا العصر، وبيَّنوا أنَّ ما يصدر عنهم من تشريعٍ وتبديلٍ لشرعِ الله وحكمٍ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ هو كفرٌ أكبر، وننقل ههنا طائفةً من أقوالهم:

---

(١) أصول الدّين: (ص٢٧١).

(٢) تفسير القرطبي: (ج٨ / ٨٢).

(٣) تفسير القرطبي: (ج٦ / ١٩١).

(٤) تفسير القرطبي: (٦/ ١٨٨).

- قَالَ الشَّيْخ محمود الآلُوسي في تفسيره: [لا شَكَّ في كفرِ من يستحسن القانون ويفضله عَلى الشَّرع، ويقول هو أوفقُ بالحكمةِ، وأصلحُ للأمَّة، ويتميَّزُ غيظاً ويتعصَّب غَضباً إذا قيلَ لهُ في أمرِ الشَّرعِ فيه كذا، كما شهدنا ذلكَ في بعضٍ من خذَلهم اللهُ فأصمَّهُم وأعمَى أبصَارَهُم.... فلا يَنبَغي التَّوقُّف في تكفيرِ من يستحسنُ ما هوَ بينَ المخالفةِ للشَّرعِ منها، ويقدِّمهُ عَلى الأحكامِ الشَّرعيَّةِ مُنتَقِصًا للحقِّ](١).
- وقال الشَّيْخ محمّد أمين الشنقيطي رحمه الله: [وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ، مُعَارَضَةً لِلرُّسُلِ وَإِبْطَالًا لِأَحْكَامِ اللهِ، فَظُلْمُهُ وَفِسْقُهُ وَكُفْرُهُ كُلُّهَا كُفْرٌ مُخْرِجٌ عَنِ الْمِلَّةِ](٢).
- وقال في تعليقه عَلى حديث عدي بن حاتم وقول النبيّ ﷺ: «أَلَمْ يُحِلُّوا لَكُمْ مَا حَرَّمَ اللهُ، وَيُحَرِّمُوا عَلَيْكُمْ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتَتَّبِعُوهُمْ؟» قال: بَلَى، قال: «ذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ»(٣)، قَالَ رحمه الله: [وهذا التفسيرُ النبويُّ المقتضِي أن كُلَّ مَنْ يَتَّبِعُ مُشَرِّعًا فيما أَحَلَّ وَحَرَّمَ مُخَالِفًا لتشريعِ اللهِ أنه عابدٌ له، متخذُه رَبًّا، مُشْرِكٌ به، كافرٌ بالله هو تفسيرٌ صحيحٌ لا شَكَّ في صحتِه، اعْلَمُوا أيها الإخوانُ أن الإشراكَ بِاللهِ في حُكْمِهِ والإشراكَ به في عبادتِه كلاهما بمعنًى واحدٍ، لا فَرْقَ بينهما ألبتةَ، فالذي يَتْبَعُ نظامًا غيرَ نظامِ اللهِ، وتشريعًا غيرَ ما شَرَّعَهُ اللهُ، وقانونًا مُخَالِفًا لشرعِ اللهِ من وَضْعِ البشرِ، مُعْرِضًا عن نورِ السماءِ الذي أَنْزَلَهُ اللهُ على لسانِ رسولِه، مَنْ كان يفعلُ هذا هو وَمَنْ يعبدُ الصنمَ ويسجدُ للوثنِ لاَ فرقَ بينَهما البتةَ بوجهٍ من الوجوهِ، فَهُمَا واحدٌ، فَكِلاَهُمَا مشركٌ بِاللهِ، هذا أَشْرَكَ به في عبادتِه، وهذا أَشْرَكَ به في حُكْمِهِ](٤).

---

(١) روح المعاني: (١٤/ ٢١٥).

(٢) أضواء البيان: (١/ ٤٠٨) وتمام كلامه: (.. وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مُعْتَقِدًا أَنَّهُ مُرْتَكِبٌ حَرَامًا فَاعِلٌ قَبِيحًا فَكُفْرُهُ وَظُلْمُهُ وَفِسْقُهُ غَيْرُ مُخْرِجٍ عَنِ الْمِلَّةِ).

(٣) رواه التِّرمذيّ (٣٠٩٥) والطبراني في المعجم الكبير (٢١٨)، والبيهقي في سننه. وحسنه الألباني في غاية المرام (٦).

(٤) العذب النمير في مجالس الشنقيطي في التفسير: (٥/ ٤٤١)، أضواء البيان (٣/ ٢٥٩).

- ويقول في نفس التَّفسير: [وَبِهَذِهِ النُّصُوصِ السَّمَاوِيَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَا يَظْهَرُ غَايَةَ الظُّهُورِ: أَنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْقَوَانِينَ الْوَضْعِيَّةَ الَّتِي شَرَعَهَا الشَّيْطَانُ عَلَى أَلْسِنَةِ أَوْلِيَائِهِ مُخَالَفَةً لِمَا شَرَعَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ لَا يَشُكُّ فِي كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ إِلَّا مَنْ طَمَسَ اللهُ بَصِيرَتَهُ، وَأَعْمَاهُ عَنْ نُورِ الْوَحْيِ مِثْلَهُمْ][1].
- ويقول رحمه الله: [وَأَمَّا النِّظَامُ الوضْعِيُّ الْمُخَالِفُ لِتَشْرِيعِ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَتَحْكِيمُهُ كُفْرٌ بِخَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، كَدَعْوَى أَنَّ تَفْضِيلَ الذَّكَرِ عَلَى الْأُنْثَى فِي الْمِيرَاثِ لَيْسَ بِإِنْصَافٍ، وَأَنَّهُمَا يَلْزَمُ اسْتِوَاؤُهُمَا فِي الْمِيرَاثِ، وَكَدَعْوَى أَنَّ تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ ظُلْمٌ، وَأَنَّ الطَّلَاقَ ظُلْمٌ لِلْمَرْأَةِ، وَأَنَّ الرَّجْمَ وَالْقَطْعَ وَنَحْوَهُمَا أَعْمَالٌ وَحْشِيَّةٌ لَا يَسُوغُ فِعْلُهَا بِالْإِنْسَانِ وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَتَحْكِيمُ هَذَا النَّوْعِ مِنَ النِّظَامِ فِي أَنْفُسِ الْمُجْتَمَعِ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ وَعُقُولِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ كُفْرٌ بِخَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ][2].
- قَالَ الشَّيْخ أحمد شاكر رحمه الله[3]، وهو إمامٌ محدِّثٌ مُعاصرٌ تُوفِّي سنة ١٩٥٨م، وكان قد عملَ في مجالِ القَضَاءِ الشَّرعيّ في مصرَ ثمّ اعتزَلَه، قَالَ في تَعليقِه وتحقيقه لمسند الإِمَامِ أحمدَ عندَ الحَدِيث رقم(٧٧٤٧): [ومن حكمَ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ عامدًا عارفًا بذلك فهو كافرٌ، ومن رضيَ عن ذلكَ وأقرَّهُ فهو كافرٌ، سواءٌ أحكمَ بما يُسمَّى "شريعةَ أهلِ الكِتَاب"، أم حكَمَ بما يُسَمَّى "تشريعًا وضعيًا"! فكلّه كفرٌ وخروجٌ][4].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) أضواء البيان: (٣/ ٢٦٠).

(٢) الشَّيْخ أحمد شاكر رحمه الله: هو العالم المحدث المفسر الفقيه اللغوي الأديب الكاتب، [١٣٠٧-١٣٧٧هـ = ١٨٩٢-١٩٥٨م] إمام أهل الحديث في عصره، له نتاجٌ ضخمٌ في الحديث ومنه تخريجه وتحقيقه لمسند أحمد وغيره من المسانيد وأيضاً في الفقه إذ رتَّب وأخرج وفهرس رسالة الشافعي وفي الأدب وغيره من علوم الشَّريعة، (تقديم: كلمة حق) وله مواقفٌ سجَّلها التَّاريخ ضدَّ الإنكليز وقد ذكره الشَّيْخ الظَّواهري على رأس الأئمة الرَّبانيين المعاصرين في كتابه "التبرئة".

(٤) مسند أحمد، ت: أحمد شاكر: (٧/ ٤٦٤) شرح حديث رقم (٧٧٤٧).

- ومِمَّا جاءَ عنهُ ﵀: [أفيجوزُ معَ هذا في شرعِ الله أن يُحكِّمَ المُسلِمُونَ في بلادهم بتشريعٍ مُقتبسٍ عن تشريعاتِ أوربّا الوَثنيَّة المُلحدةِ، بل بتشريعٍ تدخُلُه الأراءُ والأهواءُ البَاطِلَةُ، يغيّرونَه ويبلونَه كما يَشاؤُون، ولا يُبالي واضعُهُ أوَافَقَ شرعَ الإسْلَامِ أم خالفَهُ، إنّ المُسلِمِينَ لم يُبتَلَوا بهذا قطّ إلّا في عهدِ التّتَار -إلى أنْ قَالَ- ما أظنُّ رجلاً يعرفُ دينَه ويؤمنُ به جملةً وتفصيلاً، ما أظنُّه يستطيعُ إلَّا أن يجزمَ غير متردِّدٍ ولا مُتَأَوِّلٍ، بأنَّ ولايةَ القَضَاءِ في هذهِ الحالَةِ بَاطِلة بطلاناً أصليَّاً لا يلحَقه التَّصحيح ولا الإجازة، إنَّ الأمر في هذه القَوانِين الوَضعِيَّة واضح وضوحَ الشّمسِ هيَ كفرٌ بواحٌ لا خَفَاءَ فيهِ ولا مُدَاراة ولا عُذر لأحدٍ ينتسب لأهلِ الإسْلَام كائنًا من كانَ في العملِ بهَا أو إقرارها](١).

ومن الأدِلَّة النَّاصعَة في القرآن والسُّنَّة، عَلى كفرِ من أَعطى نفسَه حقَّ التَّشريعِ من التَّحليل والتَّحريم، وتبديلِ الشَّرَائعِ والعدوانِ عَلى حاكِمِيَّة الله، وجعلَ نفسَه بذلكَ ربَّاً يعبد، ما أخبر به سبحانه عن كفر اليَهُوْدِ والنَّصارَى، في قولِه: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ [التوبة]، فقد روى الإمَام أحمد والتِّرْمِذِيّ وابن جرير عن طريق عدي ابن حاتم﵁، كما نقل ذلك ابن كثير في تفسيره، أن عديًّا لما جاء رسول الله ﷺ، ليسلم وكان نصرانيًّا، وجده يقرأ هذه الآية، فقال لرسولِ الله ﷺ: "إنّهم لم يعبدوهم"، فقال ﷺ: «بَلَى، إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ، وَأَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ، فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ»(٢)، ومعلوم أن تفسير القرآن بالسُّنَّة الثَّابتة هو من أصحّ التَّفاسير، ودلالة الآية والحديث واضحة تمامًا، تدلُّ عَلى أنَّ من شرَّع فحلَّلَ وحرَّم، فقد جعل نفسه ربًا، وعلى أنَّ من أطاعه فقد عبده، وهذه هيَ عبادة قوم فرعون لفرعون، فهو لما قَالَ لهم ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص] ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤﴾ [النازعات] لم يطلب منهم أن يعتقدوا أنَّه هوَ الّذي خلقهم ورزَقهم وخلق الكون ودبَّره، فقد

(١) عمدة التفاسير: (ج٤ص١٧١).

(٢) رواه التِّرمِذِيّ (٣٠٩٥) وقال: حديث غريب، وقال الألباني :حسن.

كانَ للمصريّين في عهده آلهة يعبدونها بهذه الصّفة، وإنّما عبدوه إلهًا مشرّعًا بالطّاعة، وهو نفس الدَّور الّذي يقوم به حُكَّام المُسلِمِين اليَوْم ومشرِّعُوهُم، وبرلماناتِها الكافِرة الظَّالِمَة الفَاسِقَة، وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزخرف].

كيف لا وهم في مراسيمهم وبرلماناتهم يُحِلُّون الخُمور، تصنيعاً وبيعاً وترخيصاً، ويقبضون عليها الرُّسوم والمكوس، وكذلك دور الزِّنا وبنوك الرِّبا، ويساوون في حقِّ التَّصويت عَلى التَّشريع، بينَ المؤمنِ والكافرِ، وبين البَرّ والفَاجِر، وبينَ الرَّجل والمرأة، وبين العالم والجاهل، ويعقدون الأحلاف المحرَّمة، ويُبرِمُون المُعاهدات البَاطِلة، ويمنعُون مساجد الله أن يُذكرَ فيها اسمُه، ويسعونَ في خرَابها، ويُحرِّمُون في مقابل ذلكَ ممَّا أحلُّوا، الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المُنكر، والجِهَاد، والجِزية، والاحتساب، وأنواعًا من البيع الحَلال، ناهيك عن القوانين الّتي تُبيح المكوس الظَّالمة، وتقنِّن لقتلِ وسجنِ وتشريدِ النّاسِ ظلمًا وعدوانًا، إلى آخر ما شرَّعوا وقنَّنوا وأحلُّوا وحرَّمُوا، قاتلهمُ اللهُ أنَّا يُؤفَكُونَ.

ويجدر بنا لفت النَّظر إلى أمرٍ هامٍّ، وهو أنَّ بقاءَ رسومٍ من آثارِ الشّريعةِ، ونتفًا من أحكامها طيَّ سجلَّاتِ القوانين الوضعِيَّة، كبعض أحكام الأحوالِ الشَّخصيَّة، والزَّواج والطَّلاق والميراث، في بعض البلاد الإِسْلَاميّة، لا يجعل الحكم يوصف بأنَّه حكم الشّريعة، كما أن التَّزوير والضَّحك عَلى عقول البُسطاء بِعَنوَنَةِ الدّستُور بالكلمة الفارغة الخادعة، وهي قولهم (الشّريعة الإِسْلَاميّة هيَ مَصدر التَّشريع والتَّقنيين) أو (الشّريعة الإِسْلَاميّة هيَ المصدر الأساسي للتَّشريع) كما في بعض البلاد، أو حتَّى بالمبالغة بالدَّجل بالقول (الشّريعة الإِسْلَاميّة هيَ المصدر الوحيد للتَّشريع والتَّقنيين)، ثمّ التَّشريع والتَّقنيين من دون الله تحت هذا العنوان، كما في بعض البلاد كالسّعُودِيّة والسُّودَان واليمن، فهذا لا يجعل الحكم شرعيًا، ولله المُشتكى كم يستخفُون بعقولِ شعوبهم، باستخدام بعض العُلَماء من عملاء السُّلطَان، فمن يقبل أن يشتري قارورة خمرٍ، كُتب عليها (حليب) عَلى أنّها حليبٌ، أو زيتٌ!!! وهل يطهر الخمر بالكتابة علية؟! هذا من جهة، ومن جهة أُخرى، فإنَّ من المعلومِ في ديننا أنَّ النَّجاسة تلغى الطَّهارة، والله أغنى الأغنياء عن الشِّرك، كما أخبر عن نفسِهِ ﷻ، وقال في الحديث القُدسي: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ،**

مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» رواه مسلم(١)، والله لا يقبل إلّا أن يكون الدّين كله لله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢ – ٣]

والعبرة ليست في كبر وعظم هذا الشرك بالتّشريع، أو بحجم ما خلط بالحكم بغير ما أنزل الله، وإنما باستحلال هذا الفعل والإقدام عليه، والعدوان عَلى حاكِمِيّة الله الّذي قَالَ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]، والفتنة الّتي نحن فيها هيَ أنَّ الدّين في بلادنا لم يعد كلّه لله، قَالَ ابن كثير رحمه الله في قوله تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩]، [عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "يعني لَا يَكُونَ شِرْكٌ"، عَنْ عُرْوَة بْنِ الزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِ مِنْ عُلَمَائِنَا: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ حَتَّى لَا يُفْتَنَ مُسْلِمٌ عَنْ دِينِهِ ، وعن مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: وَيَكُونَ التَّوْحِيدُ خَالِصًا للهِ، لَيْسَ فِيهِ شِرْكٌ، وَيَخْلَعَ مَا دُونَهُ مِنَ الْأَنْدَادِ"](٢)

قَالَ الإِمَام الشاطبي رحمه الله: [كُلَّ بِدْعَةٍ وإِن قَلَّت تشريعٌ زَائِدٌ أَو نَاقِصٌ، أَو تَغْيِيرٌ للأَصل الصَّحِيحِ، وكلُّ ذَلِكَ قَدْ يَكُونُ عَلَى الِانْفِرَادِ، وَقَدْ يَكُونُ مُلْحَقاً بِمَا هُوَ مَشْرُوعٌ، فَيَكُونُ قَادِحًا فِي الْمَشْرُوعِ، وَلَوْ فَعَلَ أَحد مِثْلَ هذا في نفس الشريعة عامداً لكفر، إِذِ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ فِيهَا أَوِ التَّغْيِيرُ، قَلَّ أَوْ كَثُرَ كُفْرٌ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ مَا قَلَّ مِنْهُ وَمَا كَثُرَ](٣).

وقال الإِمَام ابن تَيمِيّة رحمه الله: [فَإِذَا كَانَ بَعْضُ الدِّينِ للهِّ وَبَعْضُهُ لِغَيْرِ اللهَّ وَجَبَ قِتَالُهُمْ حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهَّ ، ولهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩] وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الطَّائِفِ لَمَّا دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَالْتَزَمُوا الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ؛ لَكِنْ امْتَنَعُوا مِنْ تَرْكِ الرِّبَا، فَبَيَّنَ اللهُّ أَنَّهُمْ مُحَارِبُونَ لَهُ وَلِرَسُولِهِ إذَا لَمْ يَنْتَهُوا عَنْ الرِّبَا، وَالرِّبَا هُوَ آخِرُ مَا حَرَّمَهُ اللهُّ وَهُوَ مَالٌ يُؤْخَذُ بِرِضَا صَاحِبِهِ، فَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ مُحَارِبِينَ للهَّ وَرَسُولِهِ يَجِبُ

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) تفسير ابن كثير: (٤/ ٥٦).

(٣) الاعتصام: (٢/ ٣٩٦).

جِهَادُهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ يَتْرُكُ كَثِيرًا مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ أَوْ أَكْثَرَهَا كَالتَّتَارِ؟! وَقَدْ اتَّفَقَ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنْ الطَّائِفَةَ الْمُمْتَنِعَةَ إذَا امْتَنَعَتْ عَنْ بَعْضِ وَاجِبَاتِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ فَإِنَّهُ يَجِبُ قِتَالُهَا إذَا تَكَلَّمُوا بِالشَّهَادَتَيْنِ وَامْتَنَعُوا عَنْ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ أَوْ صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ أَوْ حَجِّ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ أَوْ عَنْ الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ عَنْ تَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ أَوْ الْخَمْرِ أَوْ نِكَاحِ ذَوَاتِ الْمَحَارِمِ أَوْ عَنْ اسْتِحْلَالِ النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ أَوْ الرِّبَا أَوْ الْمَيْسِرِ أَوْ عَنْ الْجِهَادِ لِلْكُفَّارِ أَوْ عَنْ ضَرْبِهِمْ الْجِزْيَةَ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُمْ يُقَاتَلُونَ عَلَيْهَا حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ][1].

فالخلاصة:

أنه اذا ما اختلط دين الله بدين غيره، وتشريعه بتشريع غيره، وحكمه بحكم غيره، كانت الفتنة عن دين الله، ووجب القِتَال حتَّى لا تكون فتنة، وهذا هو الحاصل اليَوْم وما جناه حكامنا علينا من فساد في الداخل، وعدوان من الخارج وضنك في الحياة العامّة، وذل عَلى يد الأَعدَاء.

ولقد سمى ربنا ﷻ أمثال هَؤُلَاءِ الحكَّام (الكافرون، الفاسقون، الظَّالمون)، فجاء من عملاء السّلاطين من يسمى هَؤُلَاءِ الحكَّام مسلمون صالحون، وأولياء أمور شرعيون، وكأن عندهم قرآنا خاصا بهم كتبوا فيه: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم المُسلِمُون المُؤمِنُون الصّالحون!!!

سبحان الله!! كيف وقد أوجدوا مختصين بالقانون الوضعي، درسوا في بلاد الصليب الكافرة في الغرب، وأسموا واحدهم(مشرع) هكذا باللفظ الصريح، ناهيك عن ما يفعله هَؤُلَاءِ الملوك والرؤساء والأمراء من سن القوانين وتشريع المراسيم، بما في ذلك حلّ أجهزة التَّشريع ذاتها (البرلمان) اذا خطر لهم ذلك! فالحاكم تارة يعبد المشرع ويطلب من النّاس عبادته، وتارة يسجنه، وإذا أراد أن يقتله قتله!!! كما كانَ عباد الأصنام يصنع واحدهم إلها من تمر ثمّ يأكله! أو إلها من خشب ثمّ يحرقه ليطبخ عليه! ناهيك عن وجوه الكفر الأخرى الّتي تلبسوا بها من ولاء الكافرين، وقتل المُؤمِنين، وأوجه نواقض الإيمان من الأقوال والأفعال.

---

(١) الفتاوى: (٢٨/ ص ٥٤٥).

هذا عن كفر حُكَّام بلاد الإِسْلَام في هذا الزّمان من باب التَّشريع من دون الله والحكم بغير ما أنزل الله.

ولكن هَؤُلَاءِ المحاربين لله ورسوله لم يكتفوا بكفرهم من هذا الوجه، فأضافوا إليه كفرا أشد وضوحا، وأسهل إثباتا، وهو ولاؤهم لأعداء المُسلِمِين ومعاونتهم ومظاهرتهم عَلى شعوبهم وأهل ملتهم، فلنتأمل في بعض التفصيل الموجز في الحكم الشَّرعيّ في جريمتهم الأخرى هذه.

****

عَقِيْدَة الوَلَاء والبَرَاء. وحكم مُوالاة الكافرين وأنواعها وحكم قتال المُسلِمِين إلى جانب الكفرة والمرتدّين:

بصرف النَّظر عن أجناس البشر وألوانهم، واختلاف لغاتهم وشعوبهم، وغناهم وفقرهم، أو أي اعتبار آخر، فقد اعتبرت الشّريعة لهم نسبتان فقط هما: (مؤمن) و(كافر)، وقررت بالنصوص الواضحات من الكتاب والسنة، أن أهل الإيمان إخوة، ويشكلون أمة واحدة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

كما قررت أن الكفّار عَلى اختلاف مذاهب كفرهم، وأجناسهم، وشعوبهم، ولغاتهم (ملة واحدة)، وبهذا الوضوح تقرر أن أهل التكليف إنسهم وجنهم في هذه الأرض أمتان (أهل الإيمان) و(أهل الكفر).

وقد أمر الله ﷻ بكل وضوح المُؤمِنِين بموالاة بعضهم بعضا، والبَرَاءة من الكافرين، وعلى هذا بنيت (عَقِيْدَة الوَلَاء والبَرَاء)، وليست هذه القضية، قضية فرعية من قضايا الإيمان، بل هيَ قضية أساسية، مرتبطة بأساس التّوحيد، إذ يبنى عليها الإيمان أو الكفر، ونسبة الإنسان لإحدى هاتين الأمتين.

وقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].

وأخبر بقوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ [التوبة: ٧١]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ [الأنفال: ٧٣]، ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ﴾ [التوبة: ٦٧].وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية]، فهما نسبتان وجنسيتان، وآصرتان ورابطتان فقط، (مسلم يُوالي مسلماً) و(كافر ومنافق يوالون بعضهم بعضاً)، وقد أمر الله باعتقاد هذه العَقِيْدَة، وأخبر أنّنا إن لم نفعلها﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال]، والناظر في آيات القرآن الكريم، يجد أنها غطت مسألة الأمر بولاية المُؤمنِين وما يترتب عليها، والنهي عن ولاية الكافرين والأمر بالبَرَاءة منهم وما

يترتب عليها، بكل التركيز والوضوح، ويمكن أن نورد طرفا من ذلك بالإيجاز من خلال استخلاص الأحكام والتقريرات القرآنية كما يلي:

١. **المؤمن ولي المؤمن:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ [التوبة: ٧١]

٢. **الكافر وليُّ الكافر:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ﴾ [الأنفال: ٧٣]، ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧]

٣. **النَّهي عن ولاية الكافرين:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ﴾ [النساء: ١٤٤]

٤. **ولاية المؤمن للمؤمن هيَ ولاية لله ورسوله وهي نصر وغلبة:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة: ٥٥]، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦﴾ [المائدة].

٥. **ولاية المُسلم للكَافرين هيَ ولاية للشَّيطَان، ودُخول في حزبه:**

وهي خسارة وسخط من الله تَعَالَى يوجب الخلود في النَّار، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤﴾ [المجادلة]، إلى قوله تَعَالَى: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٩﴾ [المجادلة].

كما قَالَ تَعَالَى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨١﴾ [المائدة].

وقال تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ١١٩﴾ [النساء]

٦. **ولاية المسلم للكافرين واهية وسيتبرأ الشّيطان من ولايتهم بعد أن ورطهم في الكفر:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٥﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾ [الحشر].

٧. **ولاية المسلم للكافرين تجعله منهم وتحبط عمله وتُفضي بهِ إلى الرِّدَّة:**

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [المائدة]، ثمّ قال بعدها: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ٥٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة]، وبعد أن قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ١٤٤﴾ [النساء]، قال بعدها: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥﴾ [النساء: ١٤٥].

٨. **النَّهي عن اتِّخاذ الأقرباءِ والقومِ والعَشيرة أولياءَ إن كانُوا كَافِرِينَ:**

وأن ودهم مع كفرهم بسبب القرابة مناقض للإيمان، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ [المجادلة]

٩. **النهي عن اتخاذ الكفرة بطانة وأعوانا وقد بدت البغضاء من أفواههم:**

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨﴾ [آل عمران].

١٠. **النَّهي عَن وِلايَة مَن قَاتَلنَا وأَخرجَنَا من دِيَارِنَا:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾ [الممتحنة].

١١. النَّهي عن ولاية من اتخذ ديننا هزوًا ولعباً:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ [المائدة]

١٢. التَّشديد في النَّهي عن ولاية اليَهُوْد والنّصَارى خاصّة من بين الكافرين:

إن الناظر في أسباب نزول معظم آيات النهي عن ولاية الكافرين، يجد أنها نزلت في النهي عن ولاية اليَهُوْد والنّصَارى، ومع ذلك فقد سمتهم آيات القرآن صراحة من بين الكافرين المنهي عن ولايتهم جميعا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١]

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥٧].

١٣. الأمر بالأخذ بِملَّةِ إبرَاهيم بِالبَرَاءة الكَاملَةِ منْ الكَافرين وبُغضِهِم ومُعَادَاتهم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤﴾ [الممتحنة]

١٤. حدَّدَت الآياتُ القُرآنيَّة أَعذَارَ مَنْ يَتَوَلَّى الكُفَّارَ مِنَ المُسلِمينَ ويَقعُونَ فِي النِّفَاقِ أنَّهَا إمَّا من أَجلِ طَلَبِ العِزَّةِ أو لِلخوفِ مِنَ الأَذَى والدَّوَائِر:

وقد رد القرآن عَلى هذه الأعذار وأبطلها، وحكم عَلى أصحابها بالنِّفَاق والردة والانتساب للكفار، وذلك بسبب مرض قلوبهم وأن عاقبتهم الندم في الدُّنيَا والآخرة وأن مصيرهم إلى النار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝١٣٩﴾ [النساء]، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ۝٥٢﴾ [المائدة]

****

ومن أخطر مظاهر مُوالاة الكافرين:

١- الجلوس مع الكفرة والمرتدّين والمُنَافِقين وهم يستهزئون بآيات الله وشعائر دينيه وعباده المُؤمِنين؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٤٠]

٢- طاعة الكفّار فيما نهى الله عنه ولو بشيء قليل؛ قَالَ تَعَالَى في سورة محمّد ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [محمد]

٣- فطاعة الّذين كرهوا شريعة الله، في أمرهم ولو بشيء قليل طريق للردة.

٤- اتخاذ الكفرة بطانة ومستشارين، وناصحين ومعاونين، ووضع المُسلِمِين تحت أمرهم ونهيهم، فهذا شكل من أشكال ولايتهم الّتي نهى الله عنها.

٥- النصيحة للكفار ودلالتهم عَلى ما يقويهم ونصرتهم بالرّاي عَلى المُسلِمِين.

٦- التحاكم إلى قوانينهم وشرائعهم، هو من أكبر أشكال ولايتهم، قَالَ الإمَام ابن تَيمِيّة رحمه الله في مجموع الفتاوى ج٢٨/ ١٩٩: [وَمِنْ جِنْسِ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ الَّتِي ذَمَّ اللهُ بِهَا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالْمُنَافِقِينَ: الْإِيمَانُ بِبَعْضِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ الْكُفْرِ أَوْ التَّحَاكُمُ إلَيْهِمْ دُونَ كِتَابِ اللهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء]

إلا أن أخطر ذلك وأوضحه ردة هو:

القِتَال معهم وتحت رايتهم وفي خدمة مصالحهم، وهذه أعظم أشكال الولاية، حيث يضحي المرء بروحه في سبيل الكفّار، وهو كفر مخرج من ملة الإسْلَام، وانتماء إليهم بنص القرآن: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] وقد برئ الله منه: ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨] وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٧٦] وقال تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحشر].

ومن الآثار الّتي وردت في تفسير بعض النّصوص القرآنية السَّابقة:

قَالَ ابن حزم رحمه الله ينقل الإجماع: [وَصَحَّ أَنَّ قَوْلَ اللهِ ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] إِنَّمَا هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ بِأَنَّهُ كَافِرٌ مِنْ جُمْلَةِ الْكُفَّارِ فَقَطْ، وَهَذَا حَقٌّ لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ][١].

قَالَ الطبري رحمه الله في تفسيره: [وَمَنْ يَتَوَلَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى دُونَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ، يَقُولُ: فَإِنَّ مَنْ تَوَلَّاهُمْ وَنَصَرَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ دِينِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ، فَإِنَّهُ لَا يَتَوَلَّى مُتَوَلٍّ أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ بِهِ وَبِدِينِهِ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ رَاضٍ، وَإِذَا رَضِيَهُ وَرَضِيَ دِينَهُ فَقَدْ عَادَى مَا خَالَفَهُ وَسَخِطَهُ، وَصَارَ حُكْمُهُ حُكْمَهُ][٢].

وقال ابن جرير في تفسير[لَا تَتَّخِذُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكُفَّارَ ظَهْرًا وَأَنْصَارًا، تُوَالُونَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَتُظَاهِرُونَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَدُلُّونَهُمْ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ؛ يَعْنِي بِذَلِكَ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللهِ، وَبَرِئَ اللهُ مِنْهُ بِارْتِدَادِهِ عَنْ دِينِهِ][٣].

وقال ابن القيِّم في كتابه أحكام أهل الذِّمة: [أَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ حَكَمَ، وَلَا أَحْسَنَ مِنْ حُكْمِهِ، أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّى الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فَهُوَ مِنْهُمْ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، فَإِذَا كَانَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنْهُمْ بِنَصِّ الْقُرْآنِ كَانَ لَهُمْ حُكْمُهُمْ][٤].

قَالَ ابن كثير في تفسير سورة المائدة الآية (٥٠-٥٣): [أي نَهَى تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مُوَالَاةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، الَّذِينَ هُمْ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، قَاتَلَهُمُ اللهُ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، ثُمَّ تَهَدَّدَ وَتَوَعَّدَ مَنْ يَتَعَاطَى ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ قال ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: "... أَنَّ عُمَرَ أَمَرَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ مَا أَخَذَ وَمَا أَعْطَى فِي أَدِيمٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ لَهُ كَاتِبٌ نَصْرَانِيٌّ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ ذَلِكَ، فَعَجِبَ عُمَرُ وَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَحَفِيظٌ، هَلْ أَنْتَ قَارِئٌ لَنَا كِتَابًا فِي الْمَسْجِدِ جَاءَ مِنَ الشَّامِ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَجُنُبٌ هُوَ؟ قَالَ: لَا بَلْ نَصْرَانِيٌّ، قَالَ: فَانْتَهَرَنِي وَضَرَبَ فَخِذِي، ثُمَّ قَالَ: أَخْرِجُوهُ

---

(١) المحلى لابن حزم: (١٢/ ٣٣)

(٢) تفسير الطبري: (١٠/ ٤٠٠).

(٣) تفسير الطبري: (٣/ ٣١٣).

(٤) أحكام أهل الذمة : (١/ ١٩٥).

ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥١] حدثنا محمّد بن الحسن(...) قَالَ عبدالله بن عتبة: " لِيَتَّقِ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، قَالَ: فَظَنَنَّاهُ يُرِيدُ هَذِهِ الْآيَةَ](١).

قَالَ ابن كثير: [وَقَوْلُهُ: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أَيْ: شَكٌّ، وَرَيْبٌ، وَنِفَاقٌ ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ أَيْ: يُبَادِرُونَ إِلَى مُوَالَاتِهِمْ وَمَوَدَّتِهِمْ فِي الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ أَيْ: يَتَأَوَّلُونَ فِي مَوَدَّتِهِمْ وَمُوَالَاتِهِمْ أَنَّهُمْ يَخْشَوْنَ أَنْ يَقَعَ أَمْرٌ مِنْ ظَفَرِ الْكُفَّارِ بِالْمُسْلِمِينَ، فَتَكُونُ لَهُمْ أَيَادٍ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَيَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ، عِنْدَ ذَلِكَ قَالَ اللهُ تعَالَى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ قَالَ السُّدِّي: يَعْنِي فَتْحَ مَكَّةَ. وَقَالَ غَيْرُهُ: يَعْنِي الْقَضَاءَ والفصلِ ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ قَالَ السُّدِّي: يعني ضرب الجزية على الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ﴿فَيُصْبِحُوا﴾ يَعْنِي: الَّذِينَ وَالَوُا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنَ الْمُنَافِقِينَ ﴿عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ مِنَ الْمُوَالَاةِ ﴿نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة] أَيْ: عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، مِمَّا لَمْ يُجْدِ عَنْهُمْ شَيْئًا، وَلَا دَفَعَ عَنْهُمْ مَحْذُورًا، بَلْ كَانَ عَيْنَ الْمَفْسَدَةِ، فَإِنَّهُمْ فُضِحُوا، وَأَظْهَرَ اللهُ أَمْرَهُمْ فِي الدُّنْيَا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا مَسْتُورِينَ لَا يُدْرَى كَيْفَ حَالُهُمْ. فَلَمَّا انْعَقَدَتِ الْأَسْبَابُ الْفَاضِحَةُ لَهُمْ، تَبَيَّنَ أَمْرُهُمْ لِعِبَادِ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ](٢).

(سبحان الله كأنما تحكي هذه الآية وتفسيرها حالة حُكَّام بلاد المُسلِمِين الّذين يعاونونها كمشرف وحكومته الباكستانية في موالاتهم لأمريكا لأَنّهم يظنُّون أنها ستنتصر عَلَى المُسلِمِين فيكون لهم عندهم مكانة، واعتذارهم عن ذلك بخوف الدّائرة والمصيبة منها، والرغبة في طلب العز منها، وما سيندمون عليه من افتضاح أمرهم وخسارتهم وعقوبتهم عَلَى أيدي المُؤمِنِين لما يأتي نصر الله).

وفي قوله تَعَالَى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]، قَالَ ابن كثير رحمه الله تَعَالَى: [نَهَى اللهُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُوَالُوا الْكَافِرِينَ، وَأَنْ يَتَّخِذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ يُسِرُّون إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ تَوَعَّدَ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ

---

(١) تفسير ابن كثير: (٣/ ١٣٢).

(٢) المرجع السابق.

﴿مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أَيْ: مَنْ يَرْتَكِبْ نَهْيَ اللهِ فِي هَذَا فَقَدْ بَرِئَ اللهُ مِنه ... ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ أَيْ: يُحَذِّرُكُمْ نِقْمَتَهُ، أَيْ مُخَالَفَتَهُ وَسَطْوَتَهُ فِي عَذَابِهِ لِمَنْ وَالَى أَعْدَاءَهُ وَعَادَى أَوْلِيَاءَهُ.][(١)].

وفي قوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران]، قَالَ ابن كثير: [يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَاهِيًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اتِّخَاذِ الْمُنَافِقِينَ بِطَانَةً، أَيْ: يُطْلِعونهم عَلَى سَرَائِرِهِمْ وَمَا يُضْمِرُونَهُ لِأَعْدَائِهِمْ، وَالْمُنَافِقُونَ بِجُهْدِهِمْ وَطَاقَتِهِمْ لَا يَأْلُونَ الْمُؤْمِنِينَ خَبَالا أَيْ: يَسْعَوْنَ فِي مُخَالَفَتِهِمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ بِكُلِّ مُمْكِنٍ، وَبِمَا يَسْتَطِيعُونَهُ مِنَ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ، وَيَوَدُّونَ مَا يُعْنِتُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحْرِجُهُمْ وَيَشُقّ عَلَيْهِمْ][(٢)].

وكما ذكرنا فالآيات والأحاديث والآثار وأقوال العُلَماء متضافرة بهذه المعاني.

وهذه الحقائق هيَ من أولويات الإسْلَام وأساسِيَّات العَقِيْدَة، الّتي يلخصها بكل إيجاز ووضوح، خطاب القرآن الصَّريح لكلِّ مسلم:

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [المائدة: ٥١] ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ **وهذا واضح، فمن يتولَّى الكفّار فهو كافرٌ مرتدّ مثلهم قد برئ الله منه.**

وقد عد الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب مظاهرة الكفّار عَلَى المُسلِمين في نواقض الإسْلَام العشرة الّتي ذكرها وهي:

١- الشرك بالله، الذبح لغير الله وللقبر.

٢- من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم.

٣- من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم، كفر.

٤- من اعتقد أن غير هدي النبيّ ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت عَلَى حكمه فهو كافر.

---

(١) تفسير ابن كثير: (٢/ ٣١).

(٢) تفسير ابن كثير: (٢/ ١٠٦).

٥- من أبغض شيئا مما جاء به الرَّسُول ﷺ – ولو عمل به – فهو كافر.

٦- من استهزأ بشيء من دين الرَّسُول أو ثوابه أو عاقبه كفر، والدليل: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة].

٧- السحر، فمن فعله أو رضي به كفر، ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٨- **مظاهرة المشركين ومعاونتهم عَلى المُسلِمين:** ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، **وهي محل الشاهد.**

٩- من اعتقد أن بعض النّاس يسعه الخروج عن شريعة محمّد ﷺ، كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

١٠- من أعرض عن دين الله، لا يتعلمه ولا يعمل به ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾[الأحقاف]

قَالَ سليمان بن عبدالله بن الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب: [اعلم رحمك الله: أنَّ الإنسان إِذا أَظهر للمشركين الموافقة على دينهم: خوفاً منهم ومداراةً لهم، ومداهنةً لدفع شرِّهم، فإِنَّه كافرٌ مثلهم وإنْ كان يكره دينَهم ويبغضهم، ويحبُّ الإسلام والمسلمين، هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك، فكيف إذا كانَ في دار منعة واستدعى بهم، ودخل في طاعتهم، وأظهر الموافقة عَلى دينهم البَاطِل، وأعانهم عليه بالنّصرة، ووالاهم، وقطع الموالاة بينه وبين المُسلِمين، فإن هذا لا شَّكَّ مسلم أنه كافر من أشد النّاس عداوة لله ورسوله ﷺ ولا يستثنى من ذلك إلا المكره، وقد أجمع العُلَماء عَلى أن من تكلم بالكفر هازلاً فإنَّه يكفر، فكيف بمن أظهر الكفر خوفاً وطمعاً]... وساق الشَّيْخ عشرين دليلاً عَلى قوله منها: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧] ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨] ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة]

الحديث «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ»(١)، قَالَ الشَّيْخ سليمان بن عبدالله بن محمّد بن عبد الوهاب: [إن الّذي يدعي الإِسْلَام ويكون مع المشركين في الاجتماع والنّصرة والمنزل معهم يعده المشركين منهم فهو كافر مثلهم، إن ادعى الإِسْلَام، كالنّاس الّذين أقاموا في مكّة وادعوا الإِسْلَام بعد الهِجرَة، وخرجوا في بدر فظن بعض الصّحابة إنهم مسلمون وقالوا: قتلنا إخواننا، فأنزل الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧] من ظهرت منه علامات النِّفَاق الدالة عليه كارتداده عند التحزيب عَلى الْمُؤمِنِين وخذلانهم عند اجتماع العدوّ، يجوز إطلاق اسم منافق عليه](٢).

إذن، وللشهادة لله نقول:

إن من أعظم التلبيس والظُّلم والافتراء عَلى الله الكذب. ومن أعظم تبديل آيات الله واتخاذها هزوا، ومن بيع الدّين بالدنيا والشراء بآيات الله ثمنا قليلا، أن يحاول المدلسون أن يصوروا هذا الوَلَاء الكامل الحاصل من حُكَّام المُسلِمِين، وهذا الحلف المتين القائم بينهم وبين اليَهُوْد والنّصَارى، من أمريكان وأوروبيين وسواهم من الكفّار عَلى أنه قضية ضرورات ومصالح مشروعة، أو حالات إكراه، بعد أن تبدى النِّفَاق منهم، وتنوعت أشكال ولائهم للكفار، بل بلغت أعلاها، من القِتَال معهم والدّفاع عنهم، وبنصرتهم عَلى المُسلِمِين مهما كلف ذلك من خراب ديار المُسلِمِين، وزهق أنفسهم وسفك دمائهم وبيع أراضيهم ونهب ثرواتهم، مما لا يمكن تسميته إلا أنه خيانة وعمالة لهم وولاء للكافرين وبراء من الْمُؤمِنِين.

والحقيقة الّتي لاغباش فيها، هيَ أن الرِّدَّة المتأتية عن هذا الوَلَاء للكفار، الّتي تلبس بها أكثر حُكَّام المُسلِمِين اليَوْم، وجروا إليها أنظمتهم وحُكُومَاتهم، وجروا إليها، جودهم ورجال أمنهم والعاملين في حُكُومَاتهم، هيَ من أوضح وجوه كفرهم ونفاقهم.

---

(١) رواه أو داود (٢٧٨٧) وقال الألباني: صحيح . وقال الأرنؤوط : إسناده مسلسل بالضعفاء ، ويغني عنه ما صح عن جرير بن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «أنا بريء من كل مسلم يُقيم بين أظهر المشركين» قالوا: يا رسول الله، لم؟ قال: «لا تراءى ناراهما».

(٢) الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك : (٢٩).

وهي بالإضافة لما تلبسوا به من الكفر الصريح لتبديلهم شرائع الإِسْلَام واستبدالها بشرائع الكفر والطَّاغوت، من فلسفات وشرائع أعداء هذا الدّين، الّذين والوهم، تكون شاهدين يدمغان هَؤُلَاءِ الحكَّام بالردة والكفر والخروج من ملة الإِسْلَام.

ولا يدفع هذا الحكم عنهم تدليس المدلسين الّذين نصبوا من أنفسهم خصماء عن هَؤُلَاءِ الخونة رغم قوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾

فقد قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [النساء]

فسبحان الله! ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾؟ [محمد] وما أظنها إلا الاثنتين معاً.

قلوب مقفلة ولاتتدبر القرآن، بسبب ما ران عَلى تلك القلوب من السحت وأكل أموال السّلاطين، مصداقاً لقوله ﷺ: «مَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ، وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا، إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا»(١) أبعدهم الله.

****

(١) رواه أبو داود (٢٨٥٩) وأحمد (٨٨٣٦،٩٦٨٣) وضعفه الأرنؤوط، وحسنه الألباني – الصحيحة (١٢٧٢).

ثالثا: الخروج عَلى الحاكم إن ارتد عن الإِسْلَام أو كانَ كافرا واجب عَلى المُسلِمِين بالإجماع:

ماذا يترتب شَرعاً عَلى كفر الحاكم للمسلمين أو ردته عن الإِسْلَام؟:

كما ذكرنا آنفا، فان كافّة مصائب المُسلِمِين وما نزل بهم من كوارث داخليَّة مردها في الحقيقة إلى غياب شرع الله عنهم، وحكمهم بغير ما أنزل الله، وكفر حكامهم، وولائهم للكفار، فالأصل في الشّريعة أن «الإِمَام جُنَّة»[1] يقاتل من ورائه ويدفع به العدوان، ويقوم به العدل والقسط، وتقضى به الحقوق، فتتوازن الأُمّة داخليا، وتدفع عدوها خارجيا، وبقدر فساد الحاكم تفسد أحوال الرعية، والعُلَماء هم ضابط الحكَّام، وبقدر فسادهم يفسد الحكَّام، فكما جاء في الأثر:«صِنفَانِ مِنَ النّاسِ إذا صَلحَا صَلَحَ النّاس وإذا فَسَدَا فَسَد النّاس، العُلَماءُ والأمراءُ»[2]، والحقيقة أن بحث مسألة إسلام حكامنا أو كفرهم وردتهم، بعدما آلت الأحوال إلى ما نراه اليَوْم، هيَ مسألة في غاية العظمة والخطورة، لأنها بوابة البحث عن مخرج لمشاكل المُسلِمِين اليَوْم، فهي مسألة ديننا ودنيانا، وبالاختصار، فإن الحكم الشَّرعيّ بإسلام الحاكم، أو كفر الحاكم، يترتب عليه من اللوازم والنتائج، أحد فقهين متناقضين تماماً.

وقبل الخوض في مترتبات إسلام الحاكم أو كفره، نذكر بأمر هام جدا، وهو مفصل الهدى والضلال في هذه المسألة، هذا الأمر هو: أن إسلام الحاكم أو كفره مرتبط تماما بقضية حكمه بالشّريعة الّتي يحكم بها، بمعنى:

- **إذا كانَ الحكم لله، والشّريعة قائمة، فالحاكم مسلم، ما لم ينقض إسلامه.**
- **وإذا كانَ الحاكم مسلما، فمن لوازم ذلك أن يحكم بما أنزل الله.**

---

(١) طرفٌ من حديثٍ رواهُ البخاري (٢٩٥٧) ومسلم (١٨٤١) وغيرهما عن أبي هريرة يرفعه ومنه : «إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى الله عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَلَ، كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ، وَإِنْ يَأْمُرْ بِغَيْرِهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ».

(٢) أثرٌ مروي عن عبدالله بن المبارك وبعض السَّلف، ولم تصح نسبته لابن عباس فقد رواه أبو نعيم في الحلية عنه ﷺ وقال الألباني: موضوع عن ابن عباس – ضعيف الجامع (٣٤٩٥).

فليس هناك حكم بما أنزل الله إن كانَ الحاكم كافراً، ولا يكون الحاكم مسلماً إذا حكم بغير ما أنزل الله، فهما مترادفتان: حاكم مسلم = حكم بما أنزل الله.

وعكسها بعكسها: حكم بغير ما أنزل الله = حاكم كافر.

وهذا أوضحناه في الفقرة السالفة، عندما تكلمنا عن الحاكِمِيَّة والوَلَاء.

من لوازم ونتائج كون الحاكم مسلما يحكم بشريعة الله ويوالي المُؤمِنِين ويعادي الكافرين:

وجوب السّمع والطاعة له في كلّ ما يأمر به، ما لم يكن معصية، في المنشط والمكره، والصّبر عَلى الأثرة، وأن لا ينازعه أمره قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩].

وجوب احترام المُسلِمِين لعهوده، وعقوده ومعاهداته واتفاقاته وأمانه وذمته، مادامت في حدود الشّريعة.

وجوب النَّفِير معه إن استنفر المُسلِمِين للجِهَاد في سبيل الله، ضدّ الكفّار او المرتدّين، أو البغاة أو المفسدين في الأرض.

وجوب نصيحته، والتّعاون معه عَلى البر والتقوى والمعروف قدر الاستطاعة، وعدم الافتئات عليه ما لم يفرط بالأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر.

وجوب الصّبر عليه، وطاعته، وإن أخذ مالك، وجلد ظهرك، وإن تلبس بالفسق في نفسه، والجور في حكمه، ما لم يتلبس بكفر فيه من الله برهان، والأحاديث الدالة عَلى هذه الأمور كثيرة.

هذا كله مادام الحاكم مسلما لم يتلبس بناقض من نواقض الإيمان، أو كفر فيه من الله برهان كما في الحديث الصَّحِيح المتفق عليه، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قَالَ: " **دَعَانَا رَسُولُ الله ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ» قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ»** " وهذه رواية مسلم(١).

---

(١) رواه البخاري (٧٠٥٥، ٧١٩٩) ومسلم (١٧٠٩).

وجوب جِهَاد الحاكم الكافر أو المرتدّ:

نقل الإِمَام النووي في شرحه لصحيح مسلم عند شرح هذا الحديث عن القاضي عياض الإجماع عَلى الخروج عَلى الحاكم إن كفر، فقال: [**قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْإِمَامَةَ لَا تَنْعَقِدُ لِكَافِرٍ وَعَلَى أَنَّهُ لَوْ طَرَأَ عَلَيْهِ الْكُفْرُ انْعَزَلَ قَالَ وَكَذَا لَوْ تَرَكَ إِقَامَةَ الصَّلَوَاتِ وَالدُّعَاءَ إِلَيْهَا ... قَالَ الْقَاضِي فَلَوْ طَرَأَ عَلَيْهِ كُفْرٌ وَتَغْيِيرٌ لِلشَّرْعِ أَوْ بِدْعَةٌ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ الْوِلَايَةِ وَسَقَطَتْ طَاعَتُهُ وَوَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْقِيَامُ عَلَيْهِ وَخَلْعُهُ وَنَصْبُ إِمَامٍ عَادِلٍ إِنْ أَمْكَنَهُمْ ذَلِكَ فَإِنْ لَمْ يَقَعْ ذَلِكَ إِلَّا لِطَائِفَةٍ وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْقِيَامُ بِخَلْعِ الْكَافِرِ وَلَا يَجِبُ فِي الْمُبْتَدِعِ إِلَّا إِذَا ظَنُّوا الْقُدْرَةَ عَلَيْهِ فَإِنْ تَحَقَّقُوا الْعَجْزَ لَمْ يَجِبِ الْقِيَامُ وَلْيُهَاجِرِ الْمُسْلِمُ عَنْ أَرْضِهِ إِلَى غَيْرِهَا وَيَفِرَّ بِدِينِهِ**][1]

قَالَ الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البُخَارِيّ: [**أَنَّهُ- أي الإمام- يَنْعَزِلُ بِالْكُفْرِ إِجْمَاعًا فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ الْقِيَامُ فِي ذَلِكَ فَمَنْ قَوِيَ عَلَى ذَلِكَ فَلَهُ الثَّوَابُ وَمَنْ دَاهَنَ فَعَلَيْهِ الْإِثْمُ وَمَنْ عَجَزَ وَجَبَتْ عَلَيْهِ الْهِجْرَةُ من تِلْكَ الأَرْض**][2].

قَالَ أبو يعلى: [**إن حَدَثَ مِنهُ مَا يَقدَحُ فِي دِينِهِ نَظَرتَ فَإِن كَفَرَ بَعدَ إِيمَانِهِ فَقَد خَرَجَ عَن الإِمَامَة وَهَذَا لَا إِشكَالَ فِيهِ لِأَنَّه خَرَجَ عَنْ المِلَّةِ وَوَجَبَ قَتلُه**][3].

قَالَ الأستاذ عبد القادر عودة رَحِمَهُ الله في كتابه (الإِسْلَام بين جهل أبنائه وعجز علمائه): [**وأن إباحة المجمع عَلى تحريمه كالزنا والسكر واستباحة إبطال الحدود وتعطيل أحكام الشّريعة وشرع ما لم يأذن به الله إنما هو كفر وردة وأن الخروج عَلى الحاكم المسلم إذا ارتد واجب عَلى المُسلِمِين وأقل درجات الخروج عَلى أولي الأمر هو عصيان أوامرهم ونواهيهم المخالفة للشريعة**].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: (ج١٢- ص٢٢٩).

(٢) فتح الباري لابن حجر: (ج١٣ص١٢٣).

(٣) المعتمد في أصول الدين: (ص: ٢٤٣).

وقد استنبط العُلَماء والمفسرون من قوله تَعَالَى لسيدنا إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة] أن الإمامة لا تنعقد لكافر بل ولا لفاسق أو ظالم ابتداء، وكذلك استنبطوا من قوله تَعَالَى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء] ، أي لا يجعل الله للكافرين عَلَى الْمُؤمِنِين سلطة وقهرا وتحكما، ومن أعظم السّلطة ولاية الحاكم، فهي الإمامة العظمى، وأعظم سبيل للطاعة والقهر بل لقد منع العُلَماء بيع الرقيق المسلم لكافر، وكذلك منعوا المناصب والولايات الّتي يكون فيها المسلم تحت الكافر، ومن هذا الوجه حرم زواج المسلمة بالكافر، لأن ولاية البيت للزوج، وستكون المسلمة في أمر كافر، في حين أباح العكس، فالخلاصة كما نقل النووي الإجماع عَلَى بطلان ولاية الحاكم الكافر أو من ارتد وطرأ عليه الكفر ووجوب الخروج عليه وخلعه.

جاء في كتاب الإمامة العظمى عند أهل السّنّة (تأليف عبدالله الدميجي) في الفَصل الثّالث تحت عنوان (عزل الإمَام والخروج عَلَى الأئمة) ص ٤٦٥ ما ننقل منه باختصار مايلي:

[من المتفق عليه بين العُلَماء أن الإمَام ما دام قائما بواجباته الملقاة عَلَى عاتقه في تدبير شؤون رعيته، عادلا بينهم فلا يجوز عزله ولا الخروج عليه، بل ذلك مما حذر منه الإسْلَام وتوعد الغادر بعذاب أليم، لكن هناك أموراً عظيمة لها تأثير عَلَى حياة الْمُسلِمِين الدّينيّة والدنيوية منها ما يُؤَدِّي إلى ضرورة عزل الإمَام المرتكب لها، وهذه الأمور منها ما هو متفق عليه بين العُلَماء ومنها ما هو مختلف فيه، والآن نستعرض هذه الأسباب لنرى آراء العُلَماء فيها:

الأوّل: الكفر والردة بعد الإسْلَام:

أول الأمور وأعظم الأسباب الموجبة لعزل الوالي هو الرِّدَّة والكفر بعد الإيمان، فإذا ما ارتكب الإمَام جرماً عظيماً يُؤَدِّي إلى الكفر والإرتداد عن الدّين فإنه ينعزل بذلك ولا يكون له ولاية عَلَى مسلم بحال.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء] وأي سبيل أعظم من سبيل الإمامة؟ وفى الحديث الّذي رواه عبادة بن الصامت ﷺ قَالَ:" بَايَعنَا – أي رَسُولَ الله ﷺ– عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي

مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ» قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»"(١)، قَالَ الخطابي: (معنى بواحاً: يريد ظاهراً بادياً) «عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ» قَالَ الحافظ بن حجر في شرح البُخَارِيّ(٢): (أَيْ نَصُّ آيَةٍ أَوْ خَبَرٌ صَحِيحٌ لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ)، وقال النووي في شرحه لمسلم: (وَالْمُرَادُ بِالْكُفْرِ هُنَا الْمَعَاصِي وَمَعْنَى عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ أَيْ تَعْلَمُونَهُ مِنْ دِينِ اللهِ تَعَالَى وَمَعْنَى الْحَدِيثِ لَا تُنَازِعُوا وُلَاةَ الْأُمُورِ فِي وِلَايَتِهِمْ وَلَا تَعْتَرِضُوا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنْ تَرَوْا مِنْهُمْ مُنْكَرًا مُحَقَّقًا تَعْلَمُونَهُ مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ)(٣)، ومن مفهوم هذا الحديث أنه لا يشترط أن يعلن هذا الحاكم الرِّدَّة عن الإِسْلَام أو الكفر، بل يكفى إظهاره لبعض المظاهر الموجبة للكفر، قَالَ الشَّيْخ أنور شاه كشميري في كتاب (إكفار الملحدين) ص٢٢ في نسخة (المجلس العلمي في كراتشي): "ودل – أي هذا الحديث– أيضاً عَلى أن أهل القبلة يجوز تكفيرهم وإن لم يخرجوا عن القبلة، وأنه قد يلزم الكفر بلا التزام وبدون أن يريد تبديل الملة، وإلا لم يحتج الرائي إلى برهان".

فظاهر الحديث أن من طرأ عليه الكفر فإنه يجب عزله وهذا أهون ما يجب عَلى الأُمّة نحوه، إذ الواجب أن يقاتل ويباح دمه بسبب ردته لقوله ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»(٤)، – ثمّ نقل الدّميجيّ كلام القاضي عياض وكلام ابن حجر والقاضي أبو يعلى الّذي أسلفناه– ثمّ قَالَ:[قَالَ السّفاقسي: "أجمَعُوا عَلى أنَ الخَليفَة إذا دَعَى إِلى كُفر أو بِدعة يُقَامُ عَلَيهِ"(٥).

الثّاني: ترك الصّلاة والدّعوة إليها(...).

الثّالث: ترك الحكم بما أنزل الله:

(١) متفق عليه، البخاري (٧٠٥٥، ٧١٩٩) ومسلم (١٧٠٩).

(٢) فتح الباري لابن حجر: (ج١٣/ ص٨)

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي: (١٢/ ٢٢٩)

(٤) رواه البخاري: (٣٠١٧،٦٩٢٢) وأصحاب السنن.

(٥) إرشاد الساري بشرح صحيح البُخَارِيّ: (ج ١٠ ص ٢١٧).

والّذي يدل عَلى أن هذا السبب موجب لعزل الإِمَام بجميع صوره المكفرة والمفسقة هو ورودها مطلقة في الأحاديث النّبويّة الصَّحِيحة الآتية:

عن أنس بن مالك ﵁ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ»(١).

عن أم الحُصين الأحمسيَّة ﵂ قالت: "حَجَجْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ حَجَّةَ الْوَدَاعِ"، إلى أَنْ قَالَت ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «إِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ - حَسِبْتُهَا قَالَتْ - أَسْوَدُ، يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ الله تَعَالَى، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا»(٢) وفى رواية التِّرْمِذِيّ والنسائي سمعته يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجَدَّعٌ مَا أَقَامَ فِيكُمْ كِتَابَ الله»(٣).

فهذه الأحاديث واضحة الدلالة عَلى أنه يشترط للسمع والطاعة أن يقود الإِمَام رعيته بكتاب الله، أما إذا لم يحكم فيهم شرع الله فهذا لا سمع له ولا طاعة وهذا يقتضي عزله، وهذا في صور الحكم بغير ما أنزل الله المفسقة، أما المكفرة فهي توجب عزله ولو بالمقاتلة كما سبق بيانه في السبب الأوّل، والله أعلم].أهـ.

وقد وقفت عَلى كلام في غاية الأهمّيّة كشاهد معاصر في موضوعنا هٰذا:

فقد جاء في كتاب (تكملة فتح الملهِم - في شرح صحيح مسلم) لشيخ الإِسْلَام في باكستان (الشَّيْخ محمّد تقي العُثْمَانِيّ): عند شرح هذا الحديث الشريف:

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٦٩٣،٦٩٦).

(٢) رواه مسلم (١٢٩٨،١٨٣٨). ش: "عبد مجدّع" أي مقطع الأعضاء والتشديد للتكثير وإلا فالجدع قطع الأنف والأذن والشفة.

(٣) رواه الترمذي (١٧٠٦) والنسائي (٤١٩٢) وأحمد (١٦٦٤٦،١٦٦٤٩) وصححه الألباني والأرنؤوط على شرط مسلم.

عن جنادة بن أبي أمية، قَالَ: دخلنا عَلى عبادة بن الصامت وهو مريض فقلنا: حدثنا أصلحك الله بحديث ينفع الله به سمعته من رسول الله ﷺ، فقال:" دَعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ» قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»"(١).

قَالَ الشَّيْخ تقي عُثمانِيّ: [قوله: « وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ» أي لا ننازع الأمير في إمارته، وزَادَ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقِ عُمَيْرِ بْنِ هَانِئٍ عَنْ جُنَادَةَ: « وَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ لَكَ»(٢) أي فِي الْأَمْرِ حَقًّا، فَلَا تَعْمَلْ بِذَلِكَ الظَّنّ، بَلْ اِسْمَعْ وَأَطِعْ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَيْك بِغَيْرِ خُرُوجٍ عَنْ الطَّاعَة وزَادَ فِي رِوَايَةِ حَيَّانَ أَبِي النَّضر عَن جُنَادَة عِنْد ابن حِبَّانَ وَأَحْمَدَ: « وَإِنْ أَكَلُوا مَالَكَ، وَضَرَبُوا ظَهْرَكَ»(٣) كما في فتح الباري (١٣/ ٨).

قوله: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحً» بفتح الباء الواو، يُرِيدُ ظَاهِرًا بَادِيًا مِنْ قَوْلِهِمْ بَاحَ بِالشَّيْءِ يَبُوحُ بِهِ بَوْحًا وَبَوَاحًا: إِذَا أَذَاعَهُ وَأَظْهَرَهُ ، ووقع في بعض الروايات: « براحا» بالراء بدل الواو، وهو قريب من هذا المعنى، وَأَصْلُ الْبَرَاحِ الْأَرْضُ الْقَفْرَاءُ الَّتِي لَا أَنِيس فِيهَا وَلَا بِنَاءَ وَقِيلَ الْبَرَاحُ الْبَيَانُ يُقَال بَرِحَ الْخَفَاءُ إِذَا ظَهَرَ ، وَوَقَعَ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ فِي الحديث: «كُفْرًا صُرَاحًا» بصادٍ مضمومة ثمّ راء، هذا ملخص ما في فتح الباري (١٣/ ٨).

مسألة الخروج عَلى أئمة الجور:

وبهذا الحديث استدل جمهور العُلَماء عَلى أنه لا يجوز الخروج عَلى السُّلطَان الجائر أو الفاسق إلا أن يظهر منه كفر صريح، قَالَ الحافظ في الفتح (١٣/ ٧): " **قَالَ ابن بَطَّالٍ: فِي الْحَدِيثِ حُجَّةٌ فِي تَرْكِ الْخُرُوجِ عَلَى السُّلْطَانِ وَلَوْ جَارَ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْفُقَهَاءُ عَلَى وُجُوبِ طَاعَةِ السُّلْطَانِ الْمُتَغَلِّبِ وَالْجِهَادِ مَعَهُ وَأَنَّ طَاعَتَهُ خَيْرٌ مِنَ الْخُرُوجِ عَلَيْهِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ حَقْنِ الدِّمَاءِ، وَتَسْكِينِ الدَّهْمَاءِ، وَحُجَّتُهُمْ هَذَا الْخَبَرُ وَغَيْرُهُ مِمَّا يُسَاعِدُهُ**

---

(١) متفق عليه، البخاري (٧٠٥٥، ٧١٩٩) ومسلم (١٧٠٩).

(٢) رواه أحمد (٢٢٧٣٥) وصححه الأرنوؤط على شرط الشيخين.

(٣) رواه أحمد (٢٢٧٣٦) وابن حبان: (٤٥٦٢،٤٥٦٦) وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني: الصحيحة (٣٤١٨).

وَلَمْ يَسْتَثْنُوا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا وَقَعَ مِنَ السُّلْطَانِ الْكُفْرُ الصَّرِيحُ، فَلَا تَجُوزُ طَاعَتُهُ فِي ذَلِكَ بَلْ تَجِبُ مُجَاهَدَتُهُ لِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهَا".

وربما يفهم منه بعض النّاس أن الإمَام الجائر لا يجوز الخروج عليه في حال من الأحوال مادام متسمِّيا باسم الإسْلَام، وليس الأمر عَلى هذا الإطلاق، ولاسيَّما عَلى مذهب الإمَام أبي حنيفة ﵀ تعَالَى. يقول الإمَام أبو بكر الجصاص ﵀ في أحكام القرآن (١/ ٨٦) تحت قوله تعَالَى: "﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾ [البقرة] وَكَانَ مَذْهَبُهُ (**يعني أبا حنيفة**) مَشْهُورًا فِي قِتَالِ الظَّلَمَةِ وَأَئِمَّةِ الْجَوْرِ، ولذلك قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: احْتَمَلْنَا أَبَا حَنِيفَةَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى جَاءَنَا بِالسَّيْفِ يَعْنِي قِتَالَ الظَّلَمَةِ فَلَمْ نَحْتَمِلْهُ ... وَقَضِيَّتُهُ فِي أَمْرِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ مَشْهُورَةٌ وَفِي حَمْلِهِ الْمَالَ إلَيْهِ وَفُتْيَاهُ النَّاسَ سِرًّا فِي وُجُوبِ نُصْرَتِهِ وَالْقِتَالِ مَعَهُ وَكَذَلِكَ أَمْرُهُ مَعَ مُحَمَّدٍ وَإِبْرَاهِيمَ ابْنَيْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنٍ".

أما الّذي أشار إليه الجصاص من قضية زيد بن علي، فما ذكره أصحاب التواريخ أن زيد بن علي لما خرج عَلى بني أمية أيده الإمَام أبو حنيفة بماله، وقد أخرج الموفق بسنده: (كانَ زيد بن علي أرسل إلى أبي حنيفة يدعوه إلى نفسه، فقال أبو حنيفة لرسوله: لو عرفت أن النّاس لا يخذلونه ويقومون معه قيام صدق، لكنت أتبعه وأجاهد معه من خالفه، لأنه إمام حق، ولكني أخاف أن يخذلوه كما خذلوا أباه، لكني أعينه بمالي فيتقوى به عَلى من خالفه، وقال لرسوله: (ابسط عذري عنده، وبعث إليه بعشرة آلاف درهم)، ثمّ قَالَ الموفق (وفي غير هذه الرواية اعتذر بمرض يعتريه في الأيّام حتَّى تخلف عنه، وفي رواية أُخرى: **سئل عن الجِهَاد معه، فقال: خروجه يضاهي خروج رسول الله ﷺ يوم بدر،** فقيل له: فلم تخلفت عنه؟ قَالَ: لأجل ودائع كانت عندي للنَّاس عرضتها عَلى ابن أبي ليلى، فما قبلها، فخفت أن أقتل مجهلا للودائع، وكان يبكي كلما ذكر مقتله) راجع مناقب الإمَام الأعظم للموفق المكي(١/ ٢٦٠ و٢٦١).

وأما قصته مع محمّد النّفس الزكية وأخيه إبراهيم بن عبدالله، فإنهما خرجا عَلى المنصور، وذكر المكي في المناقب (٢/ ٨٤) أن أبا حنيفة كانَ يحض النّاس عَلى إبراهيم ويأمرهم بإتباعه، وذكر قبل ذلك **أنه كانَ يفضل الغزوة معه عَلى خمسين حجّة،** وذكر الكردي في مناقبه (٢/ ٢٢) أن الإمَام أبا حنيفة منع

الحسن بن قحطبة أحد قواد المنصور من الخروج إلى إبراهيم بن عبدالله، **ويقال: إن المنصور سمَّ أبا حنيفة من أجل هٰذا، حتَّى توفي** رحمه الله.

وكذلك قصة سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنه مع يزيد بن معاوية معروفة، وخرجت جماعة من المتقين عَلى الحجاج بن يوسف.

فالذي يظهر لهذا العبد الضعيف عفا الله عنه بعد مراجعة النّصوص الشَّرعيَّة وكلام الفقهاء والمحدثين في هذا البَاب – والله أعلم – أن فسق الإِمَام عَلى قسمين:

- **الأوّل ما كانَ مقتصرا عَلى نفسه، فهذا لا يبيح الخروج عليه، وعليه يحمل قول من قَالَ: إن الإِمَام الفاسق أو الجائر لا يجوز الخروج عليه.**
- **والثّاني: ما كانَ متعديا وذلك بترويج مظاهر الكفر، وإقامة شعائره، وتحكيم قوانينه، واستخفاف أحكام الدّين، والامتناع من تحكيم شرع الله مع القدرة عَلى ذلك لاستقباحه، وتفضيل شرع غيرالله عليه، فهذا ما يلحق بالكفر البواح، ويجوز حينئذ الخروج بشروطه.**

وأحسن ما رأيت في هذا الموضوع كلام نفيس لشيخ مَشَايخنا حكيم الأُمّة **أشرف علي التهانوي** رحمه الله رسالته " جزل الكلام في عزل الإِمَام " وإنها مطبوعة في المجلد الخامس من إمداد الفتاوى (ص١١٩ إلى ١٣١).

وإن خُلاصة ما ذكره رحمه الله في تلك الرّسالة أن الأمور المخلة بالإمامة عَلى سبعة أقسام:

القسم الأوّل: أن يعزل الإِمَام نفسه بلا سبب، وهذا فيه خلاف، كما في شرح المقاصد (٢/ ٢٨٢).

والقسم الثّاني: أن يطرأ عليه ما يمنعه من أداء وظائف الإمامة، كالجنون، أو العمى، أو الصمم أو البكم، أي صيرورته أسيرا لا يرجى خلاصه، وهذا ما ينحل به عقد الإمامة، فينعزل الإِمَام في هذه الصُّور جميعا.

والقسم الثّالث: **أن يطرأ عليه الكفر، سواء كانَ كفر تكذيب وجحود، أو كفر عناد ومخالفة، أو كفر استخفاف أو استقباح لأمور الدّين، وفي هذه الصُّورة ينعزل الإِمَام، وينحل عقد الإمامة، فإن أصر عَلى بقائه إماما، وجب عَلى المُسلِمين عزله بشرط القدرة ولكن يشترط في ذلك أن يكون**

الكفر متفقا عليه، بدليل قوله ﷺ (في حديث البَاب): «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»(١) وكما يشترط قطعية الكفر، يشترط أيضا أن يكون صدوره منه قطعيًا كرؤية العين، ولا يكتفى في ذلك بالرِّوايات الظَّنِّيَّة، بدليل قوله ﷺ: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا**» المراد به رؤية العين بدليل تعديته إلى مفعول واحد، ثمّ قد تختلف الآراء في كون الصادر من السُّلطَان كفرا، أو في دلالته عَلى الكفر، أو في ثبوته بالقرائن الحالية والمقالية، أو في قطعية الكفر الصادر منه، فكل من عمل عند وقوع مثل هذا الخلاف برأيه الّذي يراه فيما بينه وبين الله يعتبر مجتهدا معذورا، فلا يجوز تفويق سهام الملامة إليه، عَلى أن وجوب الخروج في هذه الصُّورة مشروط بشرط القدرة، وبأن لا تحدث به مضرة أكبر من مضرة بقاء مثل هذا الإمَام، يقول الشريف الجرجاني في شرح المواقف (٨/ ٣٥٣): (**إِنَّ لِلْأُمَّةِ خَلْعَ الْإِمَامِ وَعَزْلَهُ بِسَبَبٍ يُوجِبُهُ، مِثْلُ أَنْ يُوجَدَ مِنْهُ مَا يُوجِبُ اخْتِلَالَ أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَانْتِكَاسَ أُمُورِ الدِّينِ كَمَا كَانَ لَهُمْ نَصْبُهُ وَإِقَامَتُهُ لِانْتِظَامِهَا وَإِعْلَائِهَا، وَإِنْ أَدَّى خَلْعُهُ إِلَى فِتْنَةٍ احْتُمِلَ أَدْنَى الْمَضَرَّتَيْنِ**)(٢)، فيمكن أيضا أن يقع الخلاف في تعيين أدنى المضرَّتين، فكل يعمل بما يراه فيما بينه وبين الله، فلا يجوز لواحد أن يلوم الآخر، وعلى مثل هذه الأمور الاجتهاديَّة يحمل اختلاف الصّحابة والتَّابعين ومن بعدهم في الخروج عَلى بعض الأئمة في زمنهم.

القسم رابع: أن يرتكب السُّلطَان فسقا مقتصرا عَلى نفسه، كالزنا، وشرب الخمر وما إلى ذلك، وحكمه أنه لا ينعزل به بنفسه، ولكنه يستحق العزل، فعلى الأُمّة أن تعزله إلا أن تترتب عَلى العزل فتنة، قَالَ في الدرّ المختار، باب الإمامة (**يكره تقليد الفاسق ويعزل به إلا لفتنة**) وقال ابن عابدين تحته: "**قَوْلُهُ: وَيُعْزَلُ بِهِ، أَيْ بِالْفِسْقِ لَوْ طَرَأَ عَلَيْهِ؛ وَالْمُرَادُ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْعَزْلَ كَمَا عَمِلْت آنِفًا، وَلِذَا لَمْ يَقُلْ يَنْعَزِلُ...، وَقَالَ ابن الهمام في الْمُسَايَرَةِ: وَإِذَا قُلِّدَ عَدْلًا ثُمَّ جَارَ وَفَسَقَ لَا يَنْعَزِلُ؛ وَلَكِنْ يُسْتَحَبُّ**

---

(١) متفق عليه سبق تخريجه.

(٢) الدر المختار بحاشية ابن عابدين: (٤/ ٢٦٤)

الْعَزْلُ إنْ لَمْ يَسْتَلْزِمْ فِتْنَةً"[١] وحاصله أنه لا يجوز الخروج عليه في هذه الصُّورة بما فيه سفك الدِّماء وإثارة الفتنة.....

والقسم الخامس: أن يرتكب فسقا يتعدى أثره إلى أموال غيره، بأن يظلم النّاس في أموالهم، **ولكن يتأول في ذلك بما فيه شبهة الجواز**، مثل أن يحمل النّاس الجبايات متأولاً فيها بمصالح العامّة، وحكمه أنه لا ينعزل به، وتجب إطاعته، ولا يجوز به الخروج عليه، كما سيأتي في عبارة ابن عابدين.

والقسم السَّادس: **أن يظلم النّاس أموالهم، وليس له في ذلك تأويل، ولا شبهة جواز، وحكمه أنه يجوز للمظلوم أن يدفع عنه الظُّلم، ولو بقتال ويجوز الصّبر أيضا بل يؤجر عليه، وأن هذا القِتَال ليس للخروج عليه، بل للدفاع عن المال، فلو أمسك الإِمَام عن الظُّلم وجب الإمساك عن القِتَال**، قَالَ ابن عابدين ناقلا عن فتح القدير: **"وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ أَطَاقَ الدَّفْعَ أَنْ يُقَاتِلَ مَعَ الْإِمَامِ إلَّا إنْ أَبْدَوْا مَا يُجَوِّزُ لَهُمْ الْقِتَالَ كَأَنْ ظَلَمَهُمْ أَوْ ظَلَمَ غَيْرَهُمْ ظُلْمًا لَا شُبْهَةَ فِيهِ بَلْ يَجِبُ أَنْ يُعِينُوهُمْ حَتَّى يُنْصِفَهُمْ وَيَرْجِعَ عَنْ جَوْرِهِ، بِخِلَافِ مَا إذَا كَانَ الْحَالُ مُشْتَبَهًا أَنَّهُ ظُلْمٌ مِثْلُ تَحْمِيلِ بَعْضِ الْجِبَايَاتِ الَّتِي لِلْإِمَامِ أَخْذُهَا وَإِلْحَاقُ الضَّرَرِ بِهَا لِدَفْعِ ضَرَرٍ أَعَمَّ مِنْهُ"**[٢] ، **وهذا حكم المظلوم الّذي يقاتل دفعا للظلم عن نفسه، أما غيره فهل يجوز له أن ينصر هذا المظلوم ضدّ الإِمَام ؟ اختلفت فيه عبارات القوم، فذكر في فتح القدير أنه يجب عَلَى غير الظلوم أن يعين هذا المظلوم والمقاتل حتَّى ينصفه الإِمَام ويرجع عن جوره، وذكر في جامع الفصولين والمبتغي والسراج أنه لا ينبغي للنَّاس معاونة السُّلطَان ولا معاونتهم، ووفق ابن عابدين بين القولين بأن وجوب إعانتهم إذا أمكن امتناعه عن بغيه، وإلا فلا**، راجع رد المحتار، باب البغاة (٣/ ٣٤١)[٣]، وأما كون الصّبر أولى في هذه الحالة، فما سيأتي عند المصنف من حديث **حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ** رضي الله عنهما أخبر فيه عن أئمة الجور، وفيه:" **قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ الله، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ**

---

(١) الدر المختار بحاشية ابن عادين : (١/ ٥٤٩).

(٢) الدر المختار بحاشية ابن عادين: (٤/ ٢٦٥) وفي فتح القدير لابن الهمام : (٦/ ١٠٢).

(٣) في طبعة التحقيق هو (٤/ ٢٦٠).

ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»"(١) فالمراد من قوله ﷺ: «فَاسْمَعْ وَأَطِعْ» نهيُهُ عن الخروج، وأما القِتَال لدفع الظُّلم فجوازه مبني عَلى الأحاديث الّتي تبيح عن القِتَال عن النّفس وعن المال، وبما أن هذا القِتَال يشابه الخروج صورة، فتركه أولى استبراءً للدِّين.

والقسم السَّابع: أن يرتكب فسقاً متعدِّياً إلى دين النّاس، فيكرههم عَلى المعاصي، وحكمه حكم الإكراه المبسوط في محله، ويدخل هذا الإكراه في بعض الأحوال في الكفر حقيقة أو حكما، وذلك بأن يصر عَلى تطبيق القوانين المصادمة للشريعة الإِسْلَاميّة، إما تفضيلا لها عَلى شرع الله، وذلك كفر صريح، أو توانيا، وتكاسلا عن تطبيق شريعة الله ؛ بما يغلب منه الظن أن العمل المستمر عَلى خلاف الشّريعة يحدث استخفاف لها في القلوب، فإن مثل هذا التواني والتكاسل، وإن لم يكن كفرا صريحا يحيث يكفر به مرتكبه، ولكنه في حكم الكفر، بدليل ما ذكره الفقهاء من أنه لو ترك أهل بلدة الأذان حلّ قتالهم، لأنه من أعلام الدّين، وفي تركه استخفاف ظاهر به، راجع باب الأذان من الدر المختار ورد المحتار(١/ ٣٨٤)، وحينئذ يلحق هذا القسم السَّابع بالقسم الثّالث، وهو الكفر البواح، فيجوز الخروج عَلى التفصيل الّذي سبق في حكمه.

ثمّ إن وجوب الخروج في القسم الثّالث والسَّابع مشروط بالقدرة والمنعة، وجواز الخروج فيهما مشروط بأن يرجى عقد الإمامة لرجل صالح تواجد فيه شروط الإمامة، وأما إذا صار الأمر من جائر إلى جائر، أو استلزم، مثل استيلاء الكفّار عَلى المُسلِمِين، فلا يجوز الخروج في هاتين الصُّورتين أيضا.

وما روى من خروج سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما عَلى يزيد بن معاوية، وتأييد الإِمَام أبي حنيفة زيد بن علي، ومحمّد النّفس الزكية وإبراهيم بن عبدالله في خروجهم عَلى أئمة زمنهم محمول عَلى القسم الثّالث أو السَّادس أو السَّابع، وقد ذكرنا أن الآراء يمكن أن تختلف في تعيين ما يبيح الخروج، والله ﷻ أعلم] أهـ.(٢)

---

(١) رواه مسلم (١٨٤٧).

(٢) تكملة فتح الملهم (ج٣/ ص ٣٢٦-٣٣١).

فكما أسلفنا فإننا أمام حالة كفر حكامنا بواحا من بابين عظيمين من أبواب الرِّدَّة وهما:

التَّشريع من دون الله واستبدال شرع الله بشرائع البشر والحكم بها بغير ما أنزل الله.

ولاية الكفّار من اليَهُوْد والنّصَارى وغيرهم وقتال المُسلِمِين معهم وفى سبيل مصالحهم.

هذا غير ما تلبسوا به من أشكال مكفرات الأقوال والأفعال وما أتوا به من أسباب الخروج من ملة المُسلِمِين، مما يوجب الخروج عليهم ومقاتلتهم وقتلهم إجماعا كما تقدم من الأدِلَّة.

****

من لوازم ومترتبات كفر الحاكم أصلاً أو ردّةً:

١- سقوط ولايته وبطلان إمامته.

٢- وجوب الخروج عليه بالسّلاح وخلعه.

٣- وجوب قتله لردته، قَالَ ﷺ: «من بدَّل دينَهُ فاقتلُوه»، رواهُ أحمد[١].

٤- وجوب أو جواز مقاتلة طائفته إن منعوه بالسّلاح.

٥- وجوب عدم السّمع والطاعة وجباية الأموال له.

٦- وجوب عدم معاونته، ولا العمل لديه ولا مشاركته جريمة الحكم بغير ما أنزل الله

٧- بأى منصب أو أي شكل.

٨- بطلان جميع عهوده ومواثيقه، ومعاهداته وأمانه... لأنه لا يمثل المُسلِمِين.

٩- وجوب العمل فوراً، عَلى نصب إمام مسلم بدلا عنه وطاعته بما تقدم من الحقوق والواجبات.

فمسألة ارتداد الحاكم وما يترتب عَلى ذلك من ضياع الحقوق وفساد أنظمة الحكم في الدِّماء والأموال والإعراض وما يترتب عَلى ذلك من طغيان الكافرين واستعلاء الظَّالمين وسيادة المفسدين والفاسقين، وتسلط الأَعدَاء الخارجين من الكفّار والملحدين وتعاون المُنَافِقين معهم، وما يترتب عَلى ذلك من ضياع

---

(١) البخاري (٦٩٢٢) وأصحاب السنن.

البلاد والعِبَاد، ليست مسألة فرعية ثانوية ليس للشريعة فيها أحكام وواجبات وأوامر ونواهي؟ كيف والله تَعَالَى يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]

فهي مسألة رئيسيَّة وإن أهملها أكثر النّاس اليَوْم عامتهم وخاصتهم.

كما يجب لفت النَّظر إلى حالة خطيرة متفشية بين كثير من أهل العلم وأتباعهم، وهي أنهم لو اهتدوا وفق الأدِلَّة الشَّرعيَّة إلى كفر الحاكم اليَوْم، وهو حال أصبح العميان يبصرونه بحواسهم وجوعهم وأحوالهم، فإن هَؤُلَاءِ لا ينتقلون إلى الإقرار بالمترتبات السالفة عَلى كفر الحاكم، فتراهم يقرون بكفر الحاكم، ولكنهم يعملون عنده، ويتسلمون المناصب، ويدخلون مؤسساته الكافرة، التَّشريعية والقضائية والتنفيذية، بل قد يقاتلون في صفه وتحت رايته ولو ذبح المُسلِمِين وقتل الّذين يأمرون بالقسط من النّاس!

وهذا من البلاء الّذي عم وطم في أكثر بلاد المُسلِمِين، ولأسباب مردها في النهاية لدى عامة المُسلِمِين وخاصتهم إلى الجهل أو العجز، فهم لا يخرجون عَلى هَؤُلَاءِ الحكَّام الكفرة المناصرين لأعداء الله ولا يقاتلونهم، فهم إما جهلة بوجوب هذا القِتَال، وإما أنهم يقرون بالوجوب ويدعون العجز.

وفي التحقيق في أسباب ذلك وما يدعونه من العجز تجد أن الحقيقة عكس ذلك، وأن السبب الّذي يظهر بكل جلاء هو ما أوجزه ﷺ في كلمتين، لقد أصاب الأُمّة: (الوهن) الّذي أخبر عنه ﷺ ففي الحديث الّذي رواه أبو داوود في سننه: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(١)، لقد أحب النّاس الدُّنيَا عامتهم وخاصتهم إلا من رحم الله، وكرهوا الموت فتداعت عليهم الأمم، وأعقبهم ذلك عيشا ضنكا عَلى أيدي حكامهم، عيش الموت أرحم منه كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧) وقال الأرنؤوط: حسن، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٨).

رابعا: أحكام الشّريعة تقرر بالإجماع كفر وردة من تعاون من المُسلِمِين مع الكفّار وأعانهم عَلى المُسلِمِين، وتوجب قتاله:

لكل جمع ورابطة تقوم بين فئة من النّاس مقوّمات تربط بينهم من أهمّها، فكرة يعتقدونها وصفة اجتمعوا عليها ومصلحة توحد بينهم، وقيادة أو رأس اجتمعوا عليه يأتمرون بأمره، ويصدرون عن مشورته، وراية يقاتلون تحتها، وهدف مشترك يسعون لتحقيقه، فإذا ما توفرت مثل هذه المواصفات لجمع من النّاس أطلق عليهم اسم جماعة، أو اصطلح عليهم شَرعاً باسم (طائفة)، فإن كانَ لهم منعة وشوكة وقوة يدافعون بها سموا (طائفة ممتنعة ذات شوكة)، فإن اجتمعت هذه الطَّائِفَة عَلى الإِسْلَام والإيمان سميت (طائفة إيمان وإسلام)، وإن التقوا عَلى ناقض من نواقض الإِسْلَام، سموا (طائفة ردة) كما كانَ حال المرتدّين أيّام أبي بكر رضي الله عنه، وإن كانوا كفاراً أصلا سموا (طائفة كفر)، وإن خرجوا عَلى إمام شَرعِيّ مع تمسكهم بالإِسْلَام، وبغوا عليه سموا (طائفة باغية)، وإن خرجوا للسلب والنهب والقتل سموا (طائفة فساد) وهكذا.

ومن البديهي أن هذه الطَّائِفَة تسمَّى بصفة الغالب عليها، مع وجود من لا تنطبق عليه صفاتها معهم، كانَ يكون أحدهم جاهلا بهم، أو مكرها عَلى الوجود معهم، أو جمعته إليهم مصلحة ذاتية أو عصبية قرابة أو غير ذلك، فلا شَّكَّ أنه يوجد منافقون في طائفة الإِسْلَام ليسوا منهم، وقد حصل هذا في غالب تاريخ المُسلِمِين ولم يسلم منه حتَّى جيش رسول الله ﷺ، وكذلك قد يوجد في صف المُسلِمِين، المنتفعون والمنتسبون للإسلام لأجل الدُّنيَا، وكذلك قد يوجد في طائفة الكفر مسلم أكره عَلى الوجود معهم، أو جاهل بحالهم تلبس أمره عليهم، وينطبق هذا الاستثناء في وجود من ليس من الطَّائِفَة فيها عَلى طوائف البغاة والمفسدين والمرتدّين والكافرين، ووجود هَؤُلَاءِ الشواذ عن الطَّائِفَة لا يكون له حكم الغالب، أو حكم الرّاية أو الرابطة الّتي اجتمعت عليها، ولا يتغير اسمها ولا حكمها الشَّرعيّ بسبب هَؤُلَاءِ الشواذ، وفي حكم الشّريعة، فلكل طائفة من هذه الطوائف حكمها الشَّرعيّ، فالواجب تجاه طوائف أهل الإيمان الوَلَاء والنّصرة، وتجاه طوائف الرِّدَّة والكفر البَرَاءة والمعاداة، وتجاه أهل الشر والفساد الدَّفع والقتال ضدهم إن صالوا عَلى دين أو عرض أو مال أو نفس لأهل الإِسْلَام، وهكذا.

فإذا ما اتضح لنا مفهوم الطَّائِفَة، وحكمها الغالب عَلى من فيها من الشواذ عنها، انتقلنا إلى الحديث عن مشكلة أعوان الكافرين والمرتدّين من المنتسبين للإسلام، والّذين يقاتلون المُسلِمِين مع طوائف الكفر أو الرِّدَّة أو سوى ذلك، خاصّة أولئك العاملين في مجال السّلطة والدّفاع عنها، يقاتلون المُسلِمِين بأوامر الحكَّام المرتدّين، مثل العاملين في أجهزتهم العسكريّة والأمنيّة كالجيش والدرك والشّرطة وأجهزة الأمن وما يتبعها من القوَّات المُسلّحة وشبه المُسلّحة وما يخدمها من أجهزة تابعة.

فما الحكم الشَّرعيّ الواجب اعتقاده في هَؤُلَاءِ المنتسبين أصلا لملة الإِسْلَام؟ ويدينون بدينهم ويتسمون بأسمائهم وقد يُؤَدِّي بعضهم بعض شعائر الإِسْلَام، ثمّ يأتي المُسلِمِين فيقاتلهم ويطاردهم ويحاربهم، تنفيذا لأوامر أسياده من الحكَّام المرتدّين، ولا يمنعه إسلامه أن يقاتل حتَّى إلى جانب الكفّار الأصليين بأوامر أولئك الحكَّام الّذين أعلنوا موالاتهم ونصرتهم للكفار، والدّفاع عن مصالحهم وقبول أوامرهم؟

فنقول والله المُستَعان وهو يهدي السبيل:

إن هذا الجندي أو رجل الأمن أو الشّرطة، المدافع عن الطَّاغوت، العامل عنده، المحارب للمسلمين معه ومع أوليائه الكفّار، له إحدى حالات:

أولاً: أن يكون هذا التَّابع موافقا لسيده الحاكم الكافر، فيما ذهب إليه من عداء الإِسْلَام وموالاة الكافرين والعدوان عَلى شريعة الله، عارفا بأحوال رئيسه متفقا معه مقتنعا بما هو عليه من حرب الإِسْلَام والمُسلِمين.

ثانياً: أن يكون هذا التَّابع يعمل ويقاتل مع سيده وهو غير موافق لسيده في محاربة الإِسْلَام والمُسلِمين، وهذا له إحدى ثلاث حالات:

أن يكون جاهلا بالأمر كله لا يدرك ما يقوم به ولا يفهم أنه حرب للدين وللمسلمين، جاهلا بردة سيده وكفره ونفاقه للكافرين، فهو **(جاهل)**.

أن يكون مكرها عَلى تنفيذ أوامر سيده، بتهديده بالعقاب أو السّجن أو القتل، إن هو لم ينفذ الأوامر، تهديدا فعليا لا يستطيع الفكاك أو الهرب منه، فهو **(مكره)**.

أن يكون عارفا بأحوال سيده، وليس جاهلا ولا مجبرا مكرها، وإنما اتخذ موقعه معهم لمصلحة دنيوية من الكسب والوظيفة، أو لعصبية قرابة عائلية أو حزبية أو مذهبية، أو أي سبب دنيوي فهو (**مرتزق أو متعصب**).

أما من النَّاحية العمليّة: فإن هَؤُلَاءِ الأصناف الأربعة:

١- العارف القاصد.

٢- المكره.

٣- الجاهل.

٤- المرتزق بالبَاطِل.

لا يختلفون عمليا فيما يقومون به من محاربة الله ورسوله والمُؤمِنِين وقتل وسجن ومطاردة وأذى الّذين يأمرون بالقسط من النّاس... فهم يَقتُلُون ويقتَلون بأوامر أسيادهم وأمرائهم ورؤسائهم، ويحاربون شعوبهم أو غيرها.

وخلاصة الحكم الشَّرعيّ في هَؤُلَاءِ نوجزه في نقاط مختصرة لا تخرج عن إيجاز هذا الكتاب، وينقسم الحكم الشَّرعيّ إلى مسألتين وهما:

الأوّل: هل ما زال هَؤُلَاءِ عَلَى حكم الإِسْلَام؟ أم أنهم كفروا وخرجوا من ملة الإِسْلَام؟

والثّاني: هل يجوز قتالهم وقتلهم أم لا يجوز؟

فأما المسألة الأولى: وهو المقتنع بما عليه أسياده من محاربة الإِسْلَام والمُسلِمين وولائهم للكافرين، فهو مثلهم في الحكم الشَّرعيّ، منافق مرتد كافر، أصالة وقناعة بالكفر وليس تبعا لأسياده، ولنفس الأدِلَّة السالفة الذكر في حقهم، أما النوع الثّاني: وهم الّذين لا يوافقون أسيادهم، ولكن يقاتلون معهم، وهم الجاهل، والمكره والمقاتل للدنيا ومكاسبها وروابطها، فهَؤُلَاءِ يرتكبون بفعلهم هٰذا، عملا من أعمال الكفر، وهو قتال المُسلِمِين مع الكافرين، فهم بهذا ينتمون إلى طائفة الرِّدَّة، إن قاتلوا بقيادة مرتد، وإلى طائفة الكفر، إن قاتلوا تحت راية كافر أصلي، وهذا ثابت لقوله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ

كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء] وهذه الآيات تثبت أن المؤمن يقاتل في سبيل الله، والقتال في سبيل الله علامة انتماء لطائفة الإيمان، وأن الكافر يقاتل في سبيل الطَّاغوت وأن القِتَال في سبيل الطَّاغوت علامة انتماء لطائفة الطَّاغوت، وأن فاعل هذا ولي للشيطان أمر الله بقتاله وبشر بالنّصر عليه، والآية صريحة واضحة.

وفي آية أُخرى أخبر سبحانه عن فرعون وطائفته، وما هم عليه من الكفر وحرب الْمُؤمِنِين، فقال: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾ [القصص] فجمع لفرعون ووزيره ومعاونه ونائبه هامان وجنوده نفس الصفة ﴿خَٰطِـِٔينَ﴾ ومعلوم أن خطيئة فرعون هيَ الكفر بالله وحرب الْمُؤمِنِين، فهو- أي فرعون- جعل نفسه ربا يشرع ويعبد واستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين، فشملتم الصفة:

وأما الحكم التفصيلي لِهَؤُلَاءِ الجنود الّذين يقاتلون اليَوْم: (الجاهل، المكره، المقاتل للدنيا عن علم) فهو ما يلي والله تَعَالَى أعلم:

الجاهل جهلا حقيقيا يمنعه من إدراك ما هو عليه من الحال، وما عليه حال رؤسائه [هذا عَلى افتراض وجود مثل هذا الجهل]، وكذلك المكره إكراها حقيقيا فعليا، مهددا بالقتل والأذى، لا يستطيع فرارا من عمله، ولا هِجرَة من مكان إجباره، فهَؤُلَاءِ قد نص علماء أهل السّنّة والجماعة، عَلى أن جهلهم وإكراههم (إن كانَ حقيقيا) يعتبر لهم عذرا شرعيا وفيبقى لهم حكم الإِسْلَام عَلى ظاهره مع بقاء حكمهم العام، (أنهم من طائفة الكفر) لأَنّهم معهم، ولا يعنى هذا كفرا عينيا لكل واحد من طائفة الكفر.

وأما المقاتل للدنيا للكسب والوظيفة أو الارتزاق، أو لعصبية للقوم أو الوطن أو الحزب أو القبيلة أوأي رابطة عصبية، وهو يعرف أنه يقاتل الْمُسلِمِين، مع حاكم كافر ظالم يوالي الكفّار ويعاونهم، فهذا الجندي ليس جاهلا بالأمر ولا مكرها بالتهديد، بل هو مختار يستطيع ترك عمله، أو الفرار منه، أو عدم الدخول فيه أصلا لو أراد، وقد دخله للأسباب الدنيوية، فهذا منافق اشترى الدُّنيَا بالآخرة، وقاتل الْمُسلِمِين من أجل الدُّنيَا، فهو كافر يقاتل تحت راية الكافرين، لا عذر له من جهل أو إكراه، وأما قصد الدُّنيَا

والمكاسب فليس من الأعذار الشَّرعيَّة في فعل الكفر، فهذه الأعذار معروفة عند أهل السّنّة والجماعة وهي (الجهل، والإكراه، والتأويل، وعدم القصد للفعل)، وهذه سيأتي شرحها إن شاء الله، ففي أمثال هَؤُلَاءِ الّذين اشتروا الدُّنيَا بالآخرة يقول تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [البقرة]، وقد روى الإمَام مسلم ﵀ من حديث أبي هريرة ﵁ عن النبيّ ﷺ أنه قَالَ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»(١).

هذا من حيث حكمهم الشَّرعيّ النَّظري، هل يحكم لهم بالكفر أم بالإِسْلَام.

وأما المسألة الثّانية: وهي حكم قتال هَؤُلَاءِ المنتسبين للإسلام المقاتلين للمسلمين مع الكافرين، فهو إيجازا كما يلي والله تَعَالَى أعلم:

كلّ من قاتل المُسلِمين مع الكافرين فقتاله واجب عَلى المُسلِمين، ولا يجب عَلى المسلم، ولم يكلفه الله ما لا يستطيع، من تمييز الجاهل من القاصد، ولا المكره من العامد.

بل قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٩٠] وقد استدل العُلَماء بحديث عائشة ﵂ الّذي جاء فيه أن رسول الله ﷺ أخبر عن جيش يغزو الكعبة، حتَّى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم، فقالت عائشة: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم عبيدهم وأسواقهم ومن ليس منهم، فأخبرها رسول الله ﷺ بأنه يخسف بأولهم وآخرهم ويحشرون يوم

(١) رواه مسلم: (١٨٤٨).

القيامة عَلى نياتهم[١]، وفي رواية أم سلمة رضي الله عنها كما جاء في صحيح مسلم قَالَ رسول الله ﷺ: «يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله فَكَيْفَ بِمَنْ كَانَ كَارِهًا؟ قَالَ: «يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُمْ، وَلَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نِيَّتِهِ»[٢]، فاستدل العُلَماء بهذا الحديث عَلى قتل الجاهل والمكره وغير القاصد، ممن قصد المُسلِمِين بالحَرب مع الكافرين، ويبعثه الله عَلى نيته معذورا إن كانَ له عذر.

فقال العُلَماء: إذا كانَ الله-وهو القادر لو شاء عَلى تمييز المكره والجاهل - لم يميزه من الخسف، فكيف لعبيد الله أن يميزوه من الكافرين وهو يقاتل معهم؟!

فهذا الخسف به أو قتله معهم، هو من العقوبة القدرية عَلى وجود المسلم في سواد الكافرين أو الظُّلمة، فيأخذه العقاب معهم، ولا يظلمه الله فيبعث عَلى نيته، إن كانت صالحة نفعته في الآخرة.

وعلى كلّ حال، فالهاجم عَلى المُسلِمِين يريد بهم الأذى، هو في أحسن أحواله (مسلم صائل) وقد تكلم العُلَماء في حكمه الّذي سنشير إليه في آخر هذه الفقرة.

فالخلاصة:

نحن لنا الظَّاهِر والله يتولى السرائر، فظاهره مقاتل مع الكافرين، فيجب قتاله أو يجوز، وسريرته إلى الله، إن كانت صالحة نفعته يوم القيامة، فقد روى البُخَارِيّ رحمه الله تَعَالَى في كتاب الشهادات من صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قَالَ: «إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا، أَمِنَّاهُ، وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ اللهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ»[٣].

---

(١) رواه البخاري (٢١١٨) ومسلم (٢٨٨٤).

(٢) رواه مسلم : (٢٨٨٢).

(٣) رواه البخاري: (٢٦٤١).

فالحكم العام له أنه من (طائفة الكفر) إن كانَ مع الكفّار، وأنه من (طائفة الرِّدَّة) إن كانَ مع المرتدّين، وأنه من (طائفة البغاة) إن كانَ معهم وهكذا، وسيأتي التفصيل عن أعذار المكرهين والجاهلين في الفقرة التّالية إن شاء الله.

ولمزيد من الوضوح نقول والله المُستَعان:

إن هَؤُلَاءِ الّذين يزعمون أنهم مُسلِمِين، ويتسمون بأسمائهم ويلبسون لباسهم، وربما صلوا أو صاموا، من الّذين يعملون في جُيُوش حُكَّام المُسلِمِين أو شرطتهم أو استخباراتهم، ثمّ ينفذون أي أمر صدر إليهم من رؤسائهم، حلالا كانَ أم حراما، ويطيعونهم عن قناعة أو جهل أو إكراه، وقد رباهم أسيادهم عَلى ذلك وأخذوا عليهم العهود والمواثيق، فإنهم كما هو معلوم، يدافعون عن حُكَّام كفرة ظلمة فسقة، ويقاتلون إلى جانب جُيُوش الكافرين، كما هو حاصل اليَوْم من جُيُوش تركيا وباكستان وبعض البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة، ويعملون إلى جانب أجهزة أمن واستخبارات اليَهُوْد والنّصارى من الأمريكان والأوروبيين وغيرهم من الكفّار، ويحرسون قواعدهم العسكريّة، ومراكزهم الدبلوماسية، والتجاريَّة، بل ومراكز تنصير المُسلِمِين، ومراكز نشر الدعارة والفساد والمجون، ولا يبالون في سبيل تنفيذ أوامر أسيادهم، هل قتلوا مسلما، أو روعوا مؤمنا، أو شردوا امرأة مسلمة، أو يتموا طفلا، أو انتهكوا حرمات بيوت وأعراض المستضعفين.

بل تراهم مستعدين لأن يحارب بعضهم بعضا، وأن يضرب بعضهم رقاب بعض، في الانقلابات الداخليَّة، أو في الحُرُوب الأهلية الناشبة بين حكامهم الطواغيت في البلدان المتجاورة! حيث كثيرا ما تتحارب دول إسلاميّة أو عربيَّة مع بعضها، فترى هَؤُلَاءِ الجنود (المُسلِمِين!) يخلصون في سفك دماء بعضهم، وفي أسر وإفناء بعضهم! وهم يدّعون الإِسْلَام! وعموم قتالهم هو عَلى سلطان ملوكهم، أو عَلى الصِّرَاع عَلى الأراضي واختلاف السياسات، لتكون العزة لفلان أو فلان، وليس لاستعلاء حق، أو اندحار بَاطِل، لأنّهم تربوا عَلى طاعة الملوك والرؤساء والوَلَاء للوطن أو القوم أو الحزب.

فالحقيقة الشَّرعيَّة الناصعة – والله تَعَالَى أعلم – أن هَؤُلَاءِ المقاتلين إجمالا لهم حكم راياتهم وطائفتهم، كما أسلفنا، فمن قاتلنا تحت راية حاكم مرتد، نقاتلهم بصفتهم طائفة ردة، ومن قاتلنا تحت راية الأمريكان والكفار نقاتلهم بصفتهم طائفة كفر.

وعلى هذا فلا يجوز أن يصلى عَلى قتلاهم، ولا يدفنون مع المُسلِمِين، مع التنبيه المهم جداً عَلى أنّنا لا نحكم بالكفر العيني عَلى كلّ فرد منهم، كما تقدم إلا إذا علمت منه بينة بأنه ليس جاهلا ولا مكرها وإنما عامد قاصد، ومن علم منه أنه موافق لأسياده المرتدّين، موال لأسيادهم الكفّار من أمريكان وغيرهم فهذا نحكم بكفره وردته حيا وميتا، ويأخذ أحكام ذلك، فزواجه من مسلمة بَاطِل، ولا يرث مسلما ولا يورثه، إلى آخر أحكام المرتدّين.

يقول الشَّيْخ أحمد شاكر محدث الدِّيَار المصريَّة، المتوفى سنة ١٩٥٨م، في فتواه الشهيرة بقتال الإنجليز والفرنسيين ومن شابههم ممن اعتدى عَلى بلاد المُسلِمِين، وحكم من أعانهم من المُسلِمِين والَّتي نشرها في مجلة الهدي النبوي:

[أما التّعاون مع الإنجليز، بأي نوع من أنواع التّعاون، قل أو كثر، فهو الرِّدَّة الجامحة، والكفر الصراح، لا يقبل فيه اعتذار، ولا ينفع معه تأول، ولا ينجي من حكمه عصبية حمقاء، ولا سياسة خرقاء، ولا مجاملة هيَ النِّفَاق، سواء أكان ذلك من أفراد، أو حُكُومَات أو زعماء، كلهم في الكفر والردة سواء، إلا من جهل أو أخطأ ثمّ استدرك أمره وتاب، وأخذ سبيل المُؤمِنِين، فأولئك عسى الله أن يتوب عليهم، إن أخلصوا من قلوبهم لله لا للسياسة ولا للنَّاس (...) ألا فليعلم كلّ مسلم، في أي بقعة من بقاع الأرض إذا تعاون مع أعداء الإِسْلَام، مستعبدي المُسلِمِين، من الإنجليز والفرنسيين وأحلافهم وأشباههم، بأي نوع من أنواع التّعاون، أو سالمهم فلم يحاربهم بما استطاع، فضلا عن أن ينصرهم بالقول أو العمل عَلى إخوانهم في الدّين إن فعل شيئا من ذلك ثمّ صلى فصلاته بَاطِلة، أو تطهر بوضوء أو غسل أو تيمم فطهوره بَاطِل، أو صام فرضا أو نفلا فصومه بَاطِل، أو حج فحجه بَاطِل، أو أدى الزّكاة المفروضة، أو أخرج صدقة تطوعا، فزكاته بَاطِلة مردودة عليه، أو تعبد لربه بأي عبادة فعبادته بَاطِلة مردودة عليه، ليس له في شيء من ذلك أجر، بل عليه الإثم والوزر، ألا فليعلم كلّ مسلم أنه إذا ركب هذا المركب الدنيء فقد حبط

عمله، من كلّ عبادة تعبد بها لربه قبل أن يرتكس، في حمأة هذه الرِّدَّة رضي لنفسه، ومعاذ الله أن يرضى بها مسلم حقيق بهذا الوصف العظيم، ذلك بأن الإيمان شرط في صحة كلّ عبادة، وفي قبولها كما هو بديهي، معلوم من الدّين بالضّرورة، لا يخالف فيه أحد من المُسلِمِين، وذلك بأن الله سبحانه يقول: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾ [المائدة] وهو في الآخرة من الخاسرين (...) ألا فليعلم كلّ مسلم كلّ مسلمة، أن هَؤُلَاءِ الّذين يخرجون عَلى دينهم ويناصرون أعداءهم، من تزوج منهم فزواجه بَاطِل بطلانا أصليا، لا يلحقه تصحيح، ولا يترتب عليه أي أثر من آثار النكاح، من ثبوت نسب وميراث وغير ذلك، وأن من كانَ منهم متزوجا بطل زواجه كذلك، وأن من تاب منهم ورجع إلى ربه وإلى دينه، وحارب عدوه ونصر أمته، لم تكن المرأة الّتي تزوج بها حال الرِّدَّة، ولم تكن المرأة الّتي ارتد وهي في عقد نكاحه زوجا له، ولا هيَ في عصمته، وأنه يجب عليه بعد التوبة أن يستأنف زواجه بها، فيعقد عليها عقدا صحيحا شرعيا كما هو بديهي واضح، ألا فليحتط النِّسَاء المسلمات اللاتي ابتلاهن الله بأزواج ارتكسوا في حمأة هذه الرِّدَّة أن قد بطل نكاحهن، وصرن محرمات عَلى هَؤُلَاءِ الرّجال، ليسوا لهن بأزواج حتَّى يتوبوا توبة صحيحة عمليَّة، ثمّ يتزوجوهن زواجا صحيحا، ألا فليعلم النِّسَاء المسلمات أن من رضيت منهن بالزواج من رجل هذا حاله وهي تعلم حاله، أو رضيت بالبقاء مع زوج تعرف فيه الرِّدَّة فإن حكمها وحكمه في الرِّدَّة سواء، ومعاذ الله أن ترضى النِّسَاء المسلمات لأنفسهن ولأعراضهن، ولأنساب أولادهن شيئا من هٰذا، ألا إن الأمر جد (...) فلينظر كلّ امرئ لنفسه، وليكن سياجا لدينه من عبث العابثين وخيانة الخَائِنين] انتهى الشاهد من كلام الإِمَام المحدث ﵀، نقلاً عن كتابه (كلمة الحقّ – أحمد شاكر)[١].

فهذه الأحكام الشَّرعيَّة، ذات الصلة بالعَقِيْدَة وأصول الدّين، من قواعد الحاكِمِيَّة لله، والوَلَاء والبَرَاء في ذات الله، ليست مسائل فرعية، وإن الأمانة كما كررنا متعلقة في أعناق علماء كلّ بلد أن يبينوها للنَّاس ولا يكتمونها، رغبة في ما عند السّلاطين أو رهبة مما لديهم، ذلك أنها مسألة إيمان وكفر قد تطال مئات الآلاف من البشر الّذين يقاتلون في سبيل الطَّاغوت ويحسبون أنهم مُسلِمِين.

---

(١) (كلمة حق: ص ٧٧ وما بعدها)

ويجب الإجابة عَلى أسئلة هامة وبصدق وصراحة ورجولة خاصّة من قبل كلّ عالم وقائد وداعية مسلم:

هل نريد أن ننهض بأمتنا؟ هل نريد أن نتحرر من مُستَعمرينا؟ هل نريد أن نرقى باقتصادنا ونستثمر ثرواتنا ونسترد حقوقنا؟ هل نريد أن ندافع عن أنفسنا ضدّ مختلف أنواع الكافرين؟

وقبل ذلك هل نريد أن نحكم بشريعة الله؟ ونتخلص من شرائع النّصَارى وقوانين الكفّار الّتي تحكمنا؟

فإذا كانَ جواب أحدهم عَلى هذه الأسئلة بالنفي! فهو ليس معني بما يهم المُسلِمِين من مسائل هذا الكتاب، بل لا يكون مدرجا عَلى قائمة المُسلِمِين.

وأما إذا كانَ الجواب كما هو مفترض من كلّ مسلم بنعم، فإن المسائل السَّابقة وعلى رأسها مسألة كفر وردة الحكَّام الموالين للكفار، ومسألة قتالهم مع أوليائهم، وبالتالي قتال جنودهم تأتى عَلى رأس تلك المسائل وفى مقدمتها، ولا شَّكَّ شَرعاً وعقلا ومنطقا في ذلك.

وإن من نافلة القول، ومن المعلوم من العقل والبصر بالضَّرورة، أن نعلم أن الأمريكان اليَوْم لا يحاربوننا مباشرة، ولا يواجهوننا عَلى الأرض بجنودهم إلا قليلا! وهم يدفعون بالآلاف من المنتسبين للإسلام من هَؤُلَاءِ الضلال والجهال والمكرهين والمرتزقة والمُنَافِقين، يقاتلون من بين أيديهم ومن خلفهم، عن أيمانهم وعن شمائلهم، بأمر من أسيادهم المرتدّين، كما حصل معنا في أفغانستان، ويحصل اليَوْم معنا أيضا في باكستان، وكما حصل في حرب الكويت، حيث دخلت الجُيُوش العربيَّة والإِسْلَاميّة تفتح الطّريق للأمريكان، وكما تفعل أمريكا اليَوْم في العراق بالجيش والعملاء العراقيين، وبخدمات جُيُوش دول الخليج العربيّ، والأردن وباكستان وسواها.

وأما عَلى صعيد مطاردة الأمريكان، للعلماء والشَّبَاب المسلم، فيعرف كلّ عالم، وداعية إلى الله، وكل شاب مُجَاهد، أن الّذي يضرب عليه البَاب ليلا ويجره بثياب النوم إلى السّجن، ويكشف سوأة بيته وأهله، ليس أمريكيا وإنما من بني جلدته! فهل الجلاد الّذي يستقبله بالضرب والركل والشتم في السّجن؟ وهل القاضي الّذي يحكم عليه بغير ما أنزل الله، بالإعدام أو السّجن؟ وهل الّذين ينفذون هذه الأحكام؟ هل

كلّ من سبق من هَؤُلَاءِ هم من اليَهُوْد والأمريكان؟ أم من الّذين يزعمون أنهم مُسلِمِين؟! إنهم من المرتدّين والضلال من بني قومنا، فهل سنقاتلهم، أم سنسلم إليهم ديننا وأعراضنا، ونبيح لهم أموالنا ودمائنا؟ وبالتالي يضرب اليَهُوْد والأمريكان والصّليبيّون جُذُورهم في بلادنا ويفعلون بنا ما يشاؤون.

يجب أن نقاتلهم دفاعًا عن دين الله والمستضعفين، وأمر الله واضح:

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة]

﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [النساء]

ونلفت النَّظر إلى أنّنا هنا بصدد معرفة الحكم الشَّرعيّ لقتال هَؤُلَاءِ، ولسنا بصدد قضايا الرَّأي والحَرب والمكيدة، من قتالهم هجومًا أم دفاعًا، وتقديم ذلك أو تأخيره عن قتال الأمريكان والكفّار فذلك متروكٌ لقادة الجِهَادِ وأمراءِ الحَربِ من المُسلِمِين، بحسبِ مقتضياتِ الضَّرورة والمَصلحة.

****

هل يعذر الجندي المقاتل للمسلمين مع الكافرين بالجهل؟ :

أما العذر بالجهل، فهو كما قلنا أن يُقدِم المسلمُ عَلى فعلِ الكفر، جاهلًا بأنَّه فعل محرّمٌ يترتَّب عليه الكفر، أي في حالة مثالنا أن يقدم هذا الجندي المسلم عَلى قتال المُسلِمِين، معتقدا أن رئيسه ولي أمر مسلم، وأنه يقاتل ناسًا غير مُسلِمِين، أو مُسلِمِين مستحقين للقتال (بغاة، مفسدين)، بحيث يكون جهله هذا حقيقيًّاً، وكأن يجهل أنه يقاتل مع الكفّار، أو يظن أنَّهم كفَّار جاؤوا لمساعدة رئيسه المسلم ضدّ من يجوز قتالهم شرعًا.

فإن توفَّر مثل هذا الجهل المفترض لهذا الجندي، فقاتل المُسلِمِين مع الكافرين وهو لا يدري حال رئيسه ومن معه ولا حال المُسلِمِين المظلومين الّذين يقاتلهم، فهذا قد يعذر بجهله عند الله، لا نحكم بكفره عينا، لو ثبت لدينا له مثل هذا الجهل.

فهل يتوفَّر مثل هذا الجهل اليَوْمَ، لهَؤُلَاءِ الجنود والضُّبَّاط والشّرطة والإستخبارات المقاتلين للمسلمين والمُجَاهدين، بأوامر هَؤُلَاءِ المرتدّين إلى جانب وبقيادة جُيُوش اليَهُوْد والنّصَارى؟! هل يعقل هذا مع انتشار وسائل الإعلام المختلفة، من الإذاعات، والتلفزيونات، والدُّشوش، والصّحف والمجلات؟! بالإضافة إلى قيام المُسلِمِين بالمظاهرات في الشَّوارع، والخطباء في المساجد، وحديث النّاس في كلّ مكان عن هذه القضايا! حتَّى يمكن القول اليَوْم بأنَّ طبيعة المَعْرَكة بين المُسلِمِين والكافرين، وفساد الحكَّام وكفرهم وفجورهم، وسفور نسائِهم وفضائح أبنائهم وأقربائهم، وحكمهم بغير شريعة الإِسْلَام وولائهم للكفَّار، ومحاربتهم للمساجد والعُلَماء والشَّبَاب المُسلِمِين المُجَاهدين...الخ، قد صارت معلومةً لكلِّ أحد، في كلّ بلاد المُسلِمِين ومنها باكستان، فإن كانَ في هَؤُلَاءِ الجنود من بلغت بِهِ البَلَاهَةُ أن يجهل هذه الأمور!! فهو معذور بجهله والله تَعَالَى أعلم، نقاتله وجوبًا أو جوازًا، وقد ينفعه عذره عند الله، ويُبعثُ عَلَى نيَّته.

هل يعذر الجنديّ المقاتل للمسلمين مع الكافرين بالإكراه ؟:

سنتوقف مع هذا العذر، بشيءٍ من التَّفصيل- رغم رغبتنا بالإيجاز- لأنَّه الأهمُّ، ولأنَّه العذر الشائع، فمعظم هَؤُلَاءِ الجنود والضُّبَّاط العاملين في الجيش والشُّرطة وقوى الأمن، يعترفون بإدراكهم للواقع، ولكن يعتذرون أو يعتذر من يدفع عنهم صفة الرِّدَّة والكفر، بأنّهم مُكرَهُون ومُجبَرون عَلَى قتال المُسلِمِين بأوامر أسيادهم المرتدّين أو الظَّالمين، إلى جانب وبقيادة الكافرين، كما حصل في بعض الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة، حيث ساقت أمريكا عبيدَها الحكَّام لقتال المُسلِمِين، فساقوا عبيدَهم الجنود لذلك.

فهل يمكن قبول عذر هَؤُلَاءِ بالإكراه ؟! فلنرَ ذلك:

الإكراه شرعًا:

هو الإجبار، والمُكرَه هو المَجبُور عَلَى فعل أو قول شيءٍ لايُريده، ولا يفعله في حال زوال الإكراه عنه، يقول الإِمَام ابن حجر في كتابه الجليل، فتح الباري في شرح صحيح البُخَارِيّ، في باب الإكراه : [الإكراه: **هُوَ إِلْزَامُ الْغَيْرِ بِمَا لَا يُرِيدُهُ وَشُرُوطُ الْإِكْرَاهِ أَرْبَعَةٌ:**

الأوّل: أَنْ يَكُونَ فَاعِلُهُ قَادِرًا عَلَى إِيقَاعِ مَا يُهَدِّدُ بِهِ وَالْمَأْمُورُ عَاجِزًا عَنِ الدَّفْعِ وَلَوْ بِالْفِرَارِ.

الثَّانِي: أَنْ يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ إِذَا امْتَنَعَ أَوْقَعَ بِهِ ذَلِك.

الثَّالث: أَن يكون ماهدده بِهِ فَوْرِيًّا، فَلَوْ قَالَ: إِنْ لَمْ تَفْعَلْ كَذَا ضَرَبْتُكَ غَدًا لَا يُعَدُّ مُكْرَهًا وَيُسْتَثْنَى مَا إِذَا ذَكَرَ زَمَنًا قَرِيبًا جِدًّا أَوْ جرت الْعَادة بِأَنَّهُ لايخلف.

الرَّابع: أَنْ لَا يَظْهَرَ مِنَ الْمَأْمُورِ مَا يَدُلُّ عَلَى اخْتِيَارِهِ كَمَنْ أُكْرِهَ عَلَى الزِّنَا فَأَوْلَجَ وَأَمْكَنَهُ أَنْ يَنْزِعَ وَيَقُولُ أَنْزَلْتُ فَيَتَمَادَى حَتَّى يُنْزِلَ]أهـ[1].

فالمستخلص من كلامه رحمه الله، أن المُكرَه هو: من أُجبِرَ عَلى فعلِ مالا يريد، بحيث:

أولاً: أنَّه لا يريد هذا الفعل باختياره وإنّما بالإجبار الحقيقيّ.

ثانياً: أنَّه لا يستطيع عدم الاستجابة، عاجزاً عن دفع الإكراه.

ثالثاً: أنَّه لا يستطيع التّخلّص ممَّن أكرهه بفرار أو بهِجرَة أو نحوها.

رابعاً: أنَّه يتيقن وقوع التَّهديد قريباً وبالتَّأكيد.

خامساً: أن لا يتمادى بالفعلِ إن زالَ عنه الإكراهُ، لمصلحةٍ أو شهوةٍ.

فهل تنطبقُ هذه الشُّروط عَلى هذا الّذي يزعم أنَّه مسلمٌ، ثمّ يقصد قتال المُسلِمين، فيسفك دماءهم، ويهتك أعراضهم، وينهب أموالهم، بأوامر المرتدّين وصحبة الأمريكان والكافرين؟! يجب أن يُسأل هذا الجنديُّ أو الشّرطيُّ أو رجل الأمن، بضع أسئلة، ليعلم هل هو مُكره أم غير مُكرَه، أسئلة تحدّد إجاباتُها، تبرئتَه إن كانَ معذورًا في فعلته المكفِّرة هذه أو الحكم عليه بعدم العذر.

هل دخل هذا الجنديّ الجيش أو الشّرطة أو الاستخبارات، باختياره أم مجبرًا؟ وهذا يختلف من دولة إلى أُخرى فهناك دول تجنِّدُ الشَّبَاب إجباريّاً في هذه القوَّات، وهناك دول يكون دخول هذه القوَّات اختياراً، بل يحتاج إلى الواسطة والرَّشوة! لما فيها من المكاسب وفرص الرَّشوة والنَّهب والغصب لأموال النّاس.

---

(١) فتح الباري لابن حجر: (١٢/ ٣١١).

هل يستطيع هذا الجنديّ الاستقالة والانسحاب من عمله هٰذا، بعد أن رأى ما يُكرَه عليه، أم لا يستطيع؟

هل يستطيع الفرار من عمله إذا لم تمكّنه الاستقالة، بالاختفاء في بلده، أو الهِجرَة عنها إن لزم الأمر أم لا يستطيع ؟

هل هو مهدّد فعلاً، إن لم يُنفِّذ الأوامر، ومتيقِّن بوقوع العقاب به أم لا ؟

هل يتمادى بالقتل والنَّهب وهتك الأعراض! تحقيقاً لرغباته ومصالحه أم للإكراه.

أمور أُخرى يجب بيانها في قضية الإكراه:

أولاً: عندما قام مدعي الإكراه بهذا العمل مختارا متطوعا- أي دخل الجيش والشّرطة باختياره- وليس عبر التَّجنيد الإجباري-هل كانَ يعلم أن عمله يقتضي إكراهه عَلى فعل ما حرم الله أم لا؟ فإذا كانَ يعلم أنه سيكره عَلى تنفيذ الأوامر! حلالها وحرامها بحكم نظام الجيش والشّرطة والأمن، ثمّ أكره من بعد، لم يكن إكراهه عذرا له، لأنها قدم مختارا عَلى ما يعلم أنه سيكره فيه عَلى الكفر أو الظُّلم أو ما حرم الله، وذلك من اشتهار حال هذه المؤسسات وأعمالها! وقد ضرب العُلَماء مثلا لهذه الحالة، بمن دخل أرض قوم يكرهون من ساكنهم عَلى الكفر، وهو يعلم قبل أن يدخل بذلك، ثمّ دخل فأكرهوه، لم يكن الإكراه عذرا له، فهل يعلم من يتطوع في هذه القوَّات مختارا، أنه سيقدم عَلى هذه الأعمال أم لا يعلم؟ فإذا كانَ يعلم ما سيكلف به، قبل أن يكره، لم يكن عذره بالإكراه مقبولا، ولو أكره فعلا عَلى عمل يكرهه.

ثانياً: المكره نوعان:

١. **من يكره عَلى قول أو عمل كفري لا يؤذي به غيره من المُسلِمِين:**

وإنما يقدم عَلى ما ينتقض الدّين بفعله أو قوله، وهو كاره كما أكره سيدنا عمار بن ياسر تحت التعذيب عَلى النيل من رسول الله ﷺ مجبرا، بعد أن قتلوا أباه وأمه وغطوه في البئر حتَّى كاد يهلك من التعذيب،

فقال كلمة الكفر، فعذره رسول الله ﷺ وأجازه، وجعلها رخصه للمسلمين، فقال: «إِنْ عَادُوا فَعُدْ»(١)، وبين أن العزيمة والصّبر أولى في حالة الإكراه وأكثر أجرا، وأن الإكراه عذر لمن فعله وقلبه مطمئن بالإيمان، في حين لم يقبل العُلَماء العذر ممن هدد بالعذاب، ولم يتيقن وقوعه، وهكذا لم يقبل الإِمَام أحمد بن حنبل عذر العُلَماء الّذين أجابوا الحاكم للقول بخلق القرآن لما هددهم واعتذروا بقول الله تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] وبحديث عمّار رضي الله عنه، قَالَ الإِمَام أحمد: "إنَّ عماراً ضربُوه وأنتم قِيلَ لكُم سَنضرِبُكُم" ولما احتج يحيى بن معين، وهو إمام جليل من المحدثين، كانَ قد ضعف للتهديد، واستجاب واعتذر بهذا العذر، رفض الإِمَام أحمد حجته وقال: " يقول لي أُكرِهَ ولم يضرب سوطاً واحداً"، ولم يكلمه بقية حياته، ولم يرد عَلَيْه السَّلام لَمَّا سلَّم عليه ابن معين، والإمام أحمد عَلى فراش الموت!! رحمه الله وأكثرَ في أمّتنا من أمثاله! وقد رُويَ: عنهُ قوله :"لا إِكرَاهَ إلَّا بالسَّيفِ" وعن غيره من العُلَماء أن الإكراه هو بالتهديد بالقتل، أو ببتر عضو، وذهب بعضهم بأنه مطلق العذاب الّذي لا يطيقه، ولا يستطيع الفرار منه.

وقد يقول البعض ويعتذر عن فعل حكومة الباكستان أو الكويت والسّعُودِيّة والأردن، مثلا بمعاونة الأمريكان، بأن الله قد أباح التقية من الكافر، ويقولون: نحن نقاتل معهم اتقاء لشرهم علينا وعلى بلادنا، فهذا زعم مردود، فإن الله تَعَالَى قَالَ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران]

(١) رواه البيهقي في السنن الصغرى (٢٥٣١) و مستدرك الحاكم (٣٣٦٢) وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي . وقد ذكره الحافظ في " الفتح " وقال: هو مرسل ورجاله ثقات، وذكره من عدة طرق مرسلة، وقال: وهذه المراسيل يقوى بعضها ببعض. وقال الألباني : في إسناده نظر. وحكم به بعضهم: حسن لغيره.

قَالَ ابن كثير في تفسيرها: [أي إلَّا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرِّهم فله أن يتَّقيهم بظاهره لا بباطنه ونيَّته، كما قَالَ البُخَارِيّ عن أبى الدَّرداء إنَّه قَالَ: «إنَّا لنكشِّر في وجوهِ أقوامٍ وقُلوبُنَا تَلعَنُهُم»[١]، وقالَ الثّوريُّ: " قَالَ ابن عبَّاس: ليس التَّقيَّة بالعمل، إنَّما التَّقيَّة باللِّسَان"[٢]] اهـ[٣].

٢. **هو المكره عَلى فعل يؤذي به غيره من المُسلِمِين:**

كمن يأمر بقتل مسلم أو هتك عرضه أو نهب ماله، أو أذيته، وقد نص العُلَمَاء عَلى أن المسلم لا يعذر أن يوقع بغيره الأذى إن هدد هو به، فلا يجوز له إن هدد بأخذ ماله إن لم ينهب غيره من المُسلِمِين، أن يدفع عن ماله بنهب مال مسلم آخر، ثمّ يقول أنا مكره.

وأخطر من ذلك، لا يجوز له أن يقتل مسلما، إن هدد بالقتل إذا لم يقتله، فقال العُلَمَاء: ليس حفظ نفسه مقدم عَلى إزهاق نفس مسلم، بل يجب عليه ألا يقتل مسلما ولو قتلوه، فيقتل صابرا محتسبا، وبهذه النِّيَّة يكون شهيداً إن شاء الله.

فهل يفعل هَؤُلَاءِ الجند (المكرهون بزعمهم) هٰذا؟! هل لو رفض هذا الجندي قتل المُسلِمِين، يقتل؟ أم يسجن؟ أم يقطع مرتبه ومعاشه؟ أم يطرد من وظيفته في الجيش أو الشّرطة فقط؟

فيقدم عَلى قتل المُسلِمِين، وقد جعل الله زوال الكعبة أهون عنده من قتل امرئ مسلم! كما أخبر ﷺ[٤] وقد قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء] هذا إن قتله في شجار عَلى الدُّنيَا، أو نزغة شيطان، فكيف بمن قتله لأنه مؤمن مهاجر مُجَاهد في سبيل الله، إرضاء لأمريكا ؟!

---

(١) صحيح البخاري (كتاب الأدب: باب المداراة مع الناس) معلقاً (٨/ ٣١).

(٢) ورد في (تفسير ابن أبي حاتم: ٢/ ١٨٩) و (تفسير ابن جرير: ٦/ ٣١٥) بإسنادين منقطعين، ووصله الحاكم بلفظ آخر صححه ووافقه الذهبي، وعزاه السيوطي إلى: عبد بن حميد، وابن المنذر والبيهقي، انظر: (الدر المنثور: ٢/ ١٧٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠).

(٤) روى التِّرمِذيّ (١٣٩٥) من حديث عبدالله بن عمرو أن النبي ﷺ قال «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم» وصححه الألباني.

فهَؤُلَاءِ الجنود الّذين يظنُّون أنفسهم مكرهين، يقتلون المُسلِمِين، حتَّى لا يطرد واحدهم من وظيفته، أوينالِه بعض العذاب، فهذا ليس حاله حال المكره، وإنما كمن قَالَ الله تَعَالَى عنهم﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾، فهناك فرق بين من أكره فنطق بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، وبين من شرح بالكفر صدرا، فقال كلمة الكفر، وفعل فعل الكفر، حفاظا عَلَى حظه من الدُّنيَا، وقد بين القرآن الكريم هذا صراحة: إذ قَالَ الله تَعَالَى في سورة النحل: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [النحل]

فهل هَؤُلَاءِ الجنود في الجيش والشّرطة والأمن والإستخبارات، والسجانين والجلادين الّذين يعذبون النّاس حتَّى الموت، مكرهون؟! نعوذ بالله من قول الزور وشهادة الزور!! هل هَؤُلَاءِ المجرمون مكرهون؟! أنظر في حالهم وسلوكهم واحكم عليه بمقياس الإِسْلَام، أنظر في صلاتهم، وصيامهم، وأدائهم لشعائر الإِسْلَام؟ ثمّ أنظر في كسبهم السحت من الرشاوى وما يظلمون النّاس، ويقبضون المكوس عَلَى الطرقات، وفى الأسواق وعلى أبواب البيوت! ثمّ انظر في تسابقهم عَلَى الوظيفة في هذه المؤسسات الظَّالمة النجسة من الشّرطة والإستخبارات والقيام عَلَى السّجون والمعتقلات!!

نعم، قد يكون هناك من لا يتلبس بذلك ممن التحق بالجيش للدفاع عن البلاد وقتال أعداءها ولم يكن بعلمه ولم يدر بخلده أن يزجّ به أسياده في قتال المُسلِمِين إلى جانب الكافرين، ولكن هل يعذر هذا بالقتال تحت قيادة وراية الكافرين، والأمريكان والإنجليز، لسفك دم المُؤمِنِين، ثمّ يقول: أنا مجبورٌ مُكرهٌ!

فهل تطوع بالجيش وهو يعلم حال قيادته ورئاسته وما هم عليه من الرِّدَّة، بتبديل الشَّرَائع والعمالة للكفار والفساد والرشوة والبغي والظُّلم، أو لا؟

وهل دخل الجيش دفاعا عن الوطن والأرض والقوم؟ هذه كلها ليست من سبيل الله في شيء ما لم تكن لتكون كلمة الله هيَ العليا بل هيَ نوايا عصبية جاهلية!

فإن كانَ قد دخل بنية الجِهَاد في سبيل الله، لأنه قد دلس عليه بعض العُلَماء المدلسين، بأن هذه الحكومة ورؤساءها مسلمون وأولياء أمور شرعيون، وأن مفاسدهم لا تخرجهم عن الإِسْلَام! وانطلت عليه هذه الخديعة الضالة، ثمّ وجد نفسه أمام الحال الجَدِيد، فهذا قد يعذر بجهله لوجوده في مثل هذا الجيش، وقتاله تحت رايته بقصد الدّفاع عن المُسلِمِين، ولكن هل يعذر بجهله، وبالإكراه في قتل المُسلِمِين إرضاء للكافرين، وتحت رايتهم وقيادتهم؟! اللّهم لا.

هذا واجبه الاستقالة من هذا الجيش، أو عَلى الأقل رفض الأوامر من هذا النوع، والفرار من القِتَال ولو سجن أو عذب أو طرد من وظيفة، وهذا العقاب في حقه نعمة من الله يخرجه من الضلالة ومن غضب الله عليه – فإن خُيِّر وأُجبر عَلى قتل مسلم أو يقتل، فواجبه أن يختار القتل صابرا محتسبا عَلى أن يقتل مسلما، وليس له أن يقتل مسلما ثمّ يقول أنا مكره، هذا ليس بعذر إكراه شَرعِيّ، فليس من الإكراه أن يقدم عَلى قتل المُسلِمِين وهتك حرماتهم ثمّ يقول: إذا لم أفعل طردت من عملي، أو قطع راتبي أو وضعت عَلى عقوبات مالية! إن واجب هذا الجندي إن وجد نفسه مكرها عَلى قتال المُسلِمِين من قبل أسياده المرتدّين، أو أسيادهم الأمريكان والإنجليز والكافرين أن يستدير بسلاحه لقتال من يكرهه عَلى فعل الكفر، ويجاهده بسلاحه ويقتل شهيداً صابراً مُجَاهداً وليس أن يتلطخ بدم المُسلِمِين وأعراضهم ويظن نفسه مكرها، فإن لم يمكنه الخلاص إلا بالفرار من الجيش وعجز عن قتالهم لضعفه أو لقلة من معه، وجب عليه الفرار والهِجرَة عن بلده، وأرض الله واسعة وعندها يكون مهاجراً في سبيل الله صابراً فاراً من الفتنة بدينه، والهِجرَة والفرار من حكومة كهذه القائمة في باكستان، فرض عَلى من وجد نفسه أمام الفتنة في دينه والاضطرار لفعل الكفر بالقتال تحت قيادة وراية الأمريكان إن عجز عن قتال هذه الحكومة

وقد أخبر القرآن الكريم، وبينت السيرة النّبويّة الشريفة، ونصوص السنة(١) عن قوم مُسلِمِين بقوا في مكّة بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يهاجروا لأن لهم في مكّة مصالح، من أهل ومساكن وتجارة، فلما كانت غزوة بدر بين المُسلِمِين ومشركي مكّة، أكرهوا عَلى الخروج مع كفار مكّة إجبار أو حياء من قومهم، فقتل بعضهم في المَعْرَكة فتأسف المُسلِمُون عَلى قتلهم وقالوا قتلنا إخواننا! فأنزل الله تَعَالَى فيهم قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النساء]

وقد بينت هذه الآيات بصراحة كما شرحها المفسرون أحكاماً هامة منها:

- وجوب الهِجرَة من ديار الكفر والفرار من فتنها، خاصّة لمن يتعرض للفتنة إلى حيث لا يفتن في دينه.
- أن من أكره وخرج للقتال مع الكافرين، لم يتقبل عذره لأنه كانَ عليه أن يهاجر بدل البقاء حتَّى يكره للخروج لقتال المُسلِمِين مع الكافرين، وأن من قتل منهم كانَ مصيره إلى جهنم ولم يقبل عذره.
- أن الله عذر المستضعفين الّذين لم يهاجروا لأنه لا حيلة لهم، ولا يهتدون إلى طريق للهِجرَة، ولا سبيل لديهم إليها، فهَؤُلَاءِ معذورون بعدم الهِجرَة، (وليس العذر للقتال مع الكفّار) ووعدتهم الآية بالعفو والمغفرة عن تقصيرهم بعدم الهِجرَة.
- ثمّ بشر القرآن المهاجر في سبيل الله بكفالة الله له بسعة الرزق في الدُّنيَا، وأنه إن مان فإن الله ضامن لأجره في الآخرة.

---

(١) منها حديث في سبب نزول الآية في صحيح البخاري (٤٥٩٦).« عن ابن عباس ﷺ، أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يُكَثِّرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ، عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ، يَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى بِهِ فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ، فَيَقْتُلُهُ – أَوْ يُضْرَبُ فَيُقْتَلُ – فَأَنْزَلَ اللهُّ الآية».

فأين هذه الأحوال، من هَؤُلَاءِ المتسبين لهذه الجُيُوش الظَّالمة.

هل هم مكرهون مهددون بالقتل إن لم يقتلوا المُسلِمِين؟ لا، وحتى لو كانَ ذلك، فليس هذا بعذر وعليهم حينها الهِجرَة والفرار ممن أكرههم.

ولكن الحقيقة المرة، هيَ أن أكثرهم يقدم عَلى فعل الكفر هذا بقتال المُسلِمِين مع الكافرين حرصا عَلى ما توفره له الوظيفة في الجيش أو الشّرطة أو الاستخبارات، من البيوت الفارهة، والسيَّارات الفخمة، والمرتَّبات العالية المنهوبة من ثروات المُسلِمِين، والمكوس الموضوعة عَلى ضعفائهم، ثمّ يعتذرون بأنهم في الجيش والشّرطة للدّفاع عن الوطن، وأنّهم مُكرهون عَلى قتال المُسلِمِين بحكم الوظيفة.

فهذا ليس بإكراهٍ لا شَرعاً ولا عقلاً، أيقبلُ عذرُ واحدِهم بالإكراهِ عَلى قتل مسلمٍ؟ ولا يقبل عذر المسلم المهاجرُ المُجَاهدُ في سبيل الله بقتل هَؤُلَاءِ دفاعًا عن نفسه؟ وهم الّذين قصدوه بالعدوان وجاءوه بصحبة الجنود الأمريكان ودهموا بيته عليه وعلى زوجته وأولاده.

فكما أسلفنا هذا ليس بإكراه وإنّما هو حال وصفه ﷻ بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧﴾ [النحل]

وأمّا حالُ المُكرَهِ المعذورِ شَرعاً من الّذين يُقاتلون المُسلِمِين فهو كما يلي:

- أنه أكره عَلى التَّجنيد إجباريّاً في جيشٍ يُقاتل المُسلِمِين وليس باختياره.
- أنَّه عَجَزَ فِعلاً عن الفرارِ أو الهِجرَةِ.
- يجب عليه أن يتورع في القِتَال ولا يمد سلاحَهُ لأذى المُسلِمِينَ بل يُعطِّلُ سلاحَهُ ولو قُتِل بيد الكفّار أو المُسلِمِينَ، وهو بهذه النِّيَّة شهيدٌ إن شاء الله، فإن كانَ في جُيُوش الطّواغيت وشرطتهم ممن قاتلوا المُسلِمِين، أو فيمن فعل فعلتهم، جنديٌّ تنطبقُ عليه مواصفات هذا المُكرَه فهو معذورٌ، وإلّا فلا عذرَ له.

****

خامساً: أحكام الشّريعة تقرر وجوب أو جواز قتال الصّائل عَلى دين المُسلِمِين أو أنفسهم أو أعراضهم أوأموالهم ولو كانَ مسلمًا.

قد يصر مكابرٌ، رغم الأدِلَّة الواضحة، بأنَّ هَؤُلَاءِ الجنود المقاتلين للمسلمين مع الكافرين والمرتدّين، هم مسلمون، يصلُّون ويصومون، ويشهدون أن لا إِلَهَ إِلَّا الله، وأنَّ محمّداً رسول الله، ولا يَكفُرون بقتالهم للمسلمين، فلمثل هذا حتَّى نكون عمليين وحسمًا لجدلٍ فارغٍ لا يقوم بالأدِلَّة وإنَّما بالعَوَاطِف والأهواء نقول: هب ذلك، فإنَّ للمسلم الّذي يحمل السّلاح عَلى المُسلِمِين، بغيًا، أو فسادًا في الأرض، أحكامًا بيَّنها العُلَماءُ تحت عنوان (**دفع الصّائل المسلم**)، فقد بيَّن العُلَماءُ أنَّ كلّ دين نزل من عند الله، جاء للحفاظ عَلى الضَّرورات الخمسة (الدّين – النّفس – العِرض – العَقل – المال) ولذا فيجب المحافظة عَلى هذه الضَّرورات بأيِّ وسيلةٍ مشروعةٍ، ومن هنا شرع الإِسْلَام دفع الصّائل.

والصِّيال شرعاً: كما عرفه العُلَماء هو الوثوب عَلى الشَّيء المعصوم بغير حقٍّ، والمَعصُوم هو النّفس أو العرض أو المال.

والصّائل كما عرفه العُلَماء: هو كلّ معتدٍ عَلى ما كانَ معصوماً شَرعاً سواء كانَ مسلمًا عُصِم بحقِّ الإِسْلَام أو عصمته ذمَّة المُسلِمِين، فالقتال لدفع هذا المُعتدي مشروعٌ شَرعاً بالدفع عن الحُرمات بل يصير واجبًا في كثيرٍ من الحالات، ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩٤]

أما الصّائل عَلى الدّين:

فواجب بقوله ﷺ «مَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» قَالَ ابن تَيمِيّة ﵀: [**وَأَمَّا قِتَالُ الدَّفْعِ فَهُوَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ دَفْعِ الصَّائِلِ عَنْ الْحُرْمَةِ وَالدِّينِ فَوَاجِبٌ إجْمَاعًا فَالْعَدُوُّ الصَّائِلُ الَّذِي يُفْسِدُ الدِّينَ وَالدُّنْيَا لَا شَيْءَ أَوْجَبَ بَعْدَ الْإِيمَانِ مِنْ دَفْعِهِ فَلَا يُشْتَرَطُ لَهُ شَرْطٌ بَلْ يُدْفَعُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ**].[1]

وأما الصّائل عَلى العرض:

(١) الفتاوى الكبرى: (ج٥/ ص٥٣٨).

فيجب دفعه باتفاق الفقهاء ولو أدى إلى قتله وإن كانَ مسلما، قَالَ النووي: "وأما المدافعة عن الحريم فواجبة بلا خلاف"، وقال الشَّيْخ عبدالله عزام رحمه الله: [قد يسأل سائل: أو يجوز لنا أن نقتل شرطياً يصلي ويصوم، من أجل أنه يريد أن يأخذني إلى قسم البوليس؟ فقال: (وأما رأي الفقهاء بالإجماع أنه لا يجوز لأحد أن يستسلم لإنسان يريد أن ينتهك عرضه (...) إتفق الفقهاء جميعاً عَلَى أن دفع الصّائل عن العرض واجب بالإجماع، فإذا أنت تركت الشّرطة يقتحمون بيتك في وهن من الليل، وزوجتك عارية في ثياب النوم يكشفون عنها غطائها ليبحثوا أنك نائم عندها فعرضك منتهك وأنت آثم عند ربّ العَالَمِيّن فهنا الظُّلم، والصّلاة والصّيام من مثل هذا الشّرطي لا تمنع عنه قضية القتل][1].

وأما الصّائل عَلى النّفس:

فيجب دفعه عند جمهور العُلَماء، وقد ذهب البعض للجواز دون الوجوب، ولو كانَ مسلما وفى الحديث الصَّحِيح: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[2]، وروي عنه ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[3].

قَالَ الإِمَام الجصاص بعد هذا الحديث في أحكام القرآن: [**لَا نَعْلَمُ خِلَافًا أَنَّ رَجُلًا لَوْ شَهَرَ سَيْفَهُ عَلَى رَجُلٍ لِيَقْتُلَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ أَنَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَتْلَهُ**][4].

قَالَ الشَّيْخ الشّهِيد عبدالله عزام رحمه الله: [وفى هذه الحالة– الصيال – إذا قتل الصّائل فهو في النار ولو كانَ مسلما وإذا قتل العادل فهو شهيد].

وأما الصّائل عَلى المال:

فقد ذهب جمهور علماء المُسلِمِين إلى جوازه واعتبره البعض واجبًا، **عَنْ أَبِي هُرَيْرَة** رضي الله عنه، **قَالَ**: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «فَلَا تُعْطِهِ

---

(١) الجِهَاد فقه وإجتهاد: شريط الشهداء ودفع الصائل/ قاعدة دفع الصائل ،(ج٣ / ص١٣٩).

(٢) رواه أحمد (١٦٥٢) وصححه الأرنؤوط ، وروى أبو داود نحوه (٤٧٧٢) وصحَّحه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه النسائي (٤٠٩٣،٤٠٩٦) وقال الألباني: صحيح– صحيح الجامع الصغير (٦٤٤٧).

(٤) أحكام القرآن للجصاص: (٤/ ٤٦).

مالَكَ» قالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قالَ: «قَاتِلْهُ» قالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قالَ: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ»، قالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قالَ: «هُوَ فِي النَّارِ»(١).

ويقول الإمَام ابن تيميه رحمه الله في مجموع الفتاوى(٢): [السُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ مُتَّفِقَيْنِ عَلَى أَنَّ الصَّائِلَ الْمُسْلِمَ إذَا لَمْ يَنْدَفِعْ صَوْلُهُ إلَّا بِالْقَتْلِ قُتِلَ وَإِنْ كَانَ الْمَالُ الَّذِي يَأْخُذُهُ قِيرَاطًا مِنْ دِينَارٍ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»(٣)].

قال الشّافعي رحمه الله: [وَإِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ مَنْزِلَ الرَّجُلِ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا بِسِلَاحٍ فَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ فَلَمْ يَخْرُجْ فَلَهُ أَنْ يَضْرِبَهُ وَإِنْ أَتَى الضَّرْبُ عَلَى نَفْسِهِ](٤)، أي: إذا قتَلَ المَدفوع.

هذا مختصر أحكام دفع الصّائل المسلم عَلى أحاد المُسلِمِين، فكيف به لو جاء يريد الدّين أو النّفس أو العرض أو المال أو كلّ ذلك، تحت راية وقيادة الأمريكان والمرتدّين؟!

وسنعيد إيراد هذه الأدِلَّة الشَّرعيَّة بمزيد من التفصيل بالإضافة لسواها من الأحكام الشَّرعيَّة الأساسيّة في مثل جِهَادنا لأعدائنا هذه الأيّام، في البَاب الأوّل من الفَصل الثَّامن في الجزء الثّاني من هذا الكتاب، وهو بعنوان (الفكر والمنهج والعَقِيْدَة الجهاديّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة) حيث نعرض لتفاصيل الأدِلَّة الشَّرعيَّة لبعض المسائل المنهجيّة إن شاء الله.

****

(١) رواه مسلم (١٤٠).

(٢) مجموع الفتاوى: (ج٢٨ ص٥٤٠).

(٣) متفق عليه، البخاري (٢٤٨٠) ومسلم (١٤١).

(٤) الأم للشافعي: كتاب جراح العمد، فصل التعدي ودخول المنزل (ج٦ ص٣٥).

﴿أدِلّة العقل والمنطق عَلى أن الجِهَاد المُسلّح هو الحلّ ﴾

نحن نسأل من يريد جدالنا في حقيقة أن الجِهَاد المُسلّح اليَوْم هو الحلّ الوحيد حقيقة!

إذا لم يكن الحلّ لمشاكلنا هذه وقد دهمنا العدوّ، بالمُقاوَمة المُسلّحة، فبم يكون ؟!

- هل بطقطقة المسابح في أركان الزوايا ؟!
- أم بتنقيح الأسانيد وتأليف الأبحاث الشَّرعيَّة ؟!
- أم تراه بالسهر عَلى أزرار الكمبيوتر في معارك الإنترنت ومناقشاتها الحامية - الوطيس؟! أم تراه بالمداخلات التلفونية الثائرة مع مقابلات الفضائِيَّات؟!
- أم تراها بالتصفية والتّربية وتزكية النفوس ؟! وها هو العدوّ يصفي مقوّمات وجودنا، ويربي أجيالنا حسبما يريد عَلى مر الساعات والدقائق!
- أم تراها بالصياح في المظاهرات، وما تجود به الحُكُومَات من إجازة الاحتجاجات الصامتة أو الصاخبة في الشَّوارع؟!
- أم تراها بالاختراع العظيم الّذي تَوَصَّلت إليه الصّحوة، وما جاءنا به الفقه البرلماني؟ بالاعتراض عَلى الإحتلال وعلى إزهاق الأنفس وعلى نهب الثّروات وعلى نهك الأعراض، تحت قبة البرلمان ؟!
- أم بـ (الحملة العَالَمِيّة لمكافحة العدوان)، ببيان أجوف يرسل بالفاكس للفضائِيَّات لاستنكار ما يجري من طامات في بلاد المُسلِمِين!!

الحقيقة أن حالنا مع هذه الآراء كأهل بيت كانوا ينامون مطمئنين، فدهمهم اللصوص ليلا، فبعضهم ذبح الأب، وبعضهم أثخن الأم بالجراح، وثالث يقصد الأخت لينهك العرض، ورابع منشغل بنبش الخزائن لسرقة المال، وخامس دهس الأطفال في عتمة الليل، وسادس ينهب أثاث البيت ويضرم النار في أنحائه.

والرّجال من أفراد الأسرة موزعون في بعض الغرف قد شغل كلا منهم أمره، وقد هب أخوهم الأصغر يناديهم ليهبوا للدفاع عن الدَّم المسفوك والعرض المنهوك والمال المنهوب والبيت الّذي تنهدم أركانه، ولا مجيب.

فأحدهم منهمك في قيام الليل يُؤَدِّي ورده، ومن شدة خشوعه لم يسمع ما يجري!

والثّاني منكب عَلى كتب العلم يفتش عن تحقيق سند لم يتأكد من صحته منذُ أيّام!! والثّالث منهمك في نقاش دعوى مع أحد الجيران يدعوه للصلاح!!!

والرَّابع يتابع حوارا دينيا مفتوحا عبر الإنترنت أمام شاشة الكمبيوتر!!!!

والخامس يطبع بعض الدعايات الانتخابية لدعم ترشيح بعض العُلَماء والدعاة لانتخابات البرلمان المقبلة. والشاب الصغير يصيح، وأخته تلطم الخد وتستغيث، وبعض الأطفال يرمون اللصوص المُسلّحين بالحجارة، وقد شغل إخوانهم بالدّعوة وأنواع العمل الإِسْلَاميّ!!

هذا عن إخوانهم الملتزمين، فلهم إخوة آخرون مشغولون بأمور أُخرى!

فبعضهم يسهر أمام التلفزيون يتابع برنامج ستار أكاديمي عَلى قناة فضائيّة.

وآخر يرتمي ثملاً من السُّكر في إحدى زوايا البيت!

وثالثٌ منغمسٌ في حديثٍ عاطفيٍّ عَلى الموبايل، يُرسلُ رسائلَ غراميَّة عبر قناة رُوتَانا!

أما أولاد العمومة والجيران من حولهم، فبعضهم في السهرات والسمر، وآخرون يقومون الليل عَلى الفواتير والحسابات التجاريَّة لمبيعات ذلك اليَوْم، وبعضهم يحتسي الشاي عَلى ناصية المقهى حتَّى ساعة متأخرة من الليل!

ويهبّ الشّاب اليافع ليدفع اللصوص المُسلّحين بسكّينه، والأطفال يدفعون بالحجارة، والأخت تحاول جهدها بكفها العزلاء، فهذا مبلغ الجهد أمام اللصوص المدجَّجين بالسّلاح فالدَّفع والموت والشَّهَادة أرحم من العيش في مثل هذا البيت الّذي تشهد جدرانه عَلى هذا الخزي والعار والصَّغار، هذا نموذج أحوال أمّتنا اليَوْم.

فهل يظنُّ الطَّيِّبُون جزاهم الله خيراً عَلى جهودهم في دعوة الفسَّاق إلى الهدى، أنَّهم قد سقطت عنهم الفريضة المتعيَّنة بالدَّفع؟! أم يظنُّون أنَّ دعوتهم تلك ستدفع عدوّاً غاشمـاً، أو تقيم شَرعاً مُغَيَّبـاً، أو تُغيِّر حكومةً خائنةً كافرةً فاجرةً ؟

أم هل يظنُّون بأنَّ الحملات الصّليبيّة إن ضربت بجرانها في بلادنا، وساقَت عَبيدَها من الحُكَّام إلى مزيدٍ من محاربةِ الدّينِ وإضلالِ أهلِهِ، أنَّهم سيَبقَى أَمَامَهم مجالٌ للتَّبليغ والدّعوة وعِمارَة المَسَاجِدِ ؟!

أم هل يظنُّ الدُّعاةُ إلى تصحيحِ عَقائِدِ المُسلِمِين أنَّه ستبقى لنا عقائد مع غزو الصّليبيّن لديارِنا، ومع استعلاءِ عملائِهِم مِنَ العلمانيّين والمُرتدّين؟!

وأيّ عقائدٍ ستبقى لنا بعدَ أن صَارَت أمريكا إلـٰهـًا يُعبد طوعًا وكرهـًا في بلادنا من قِبَلِ كثيرٍ مِن المُسلِمِين؟! أيّ عقائدٍ ستبقى لِأَطفالِنا وشبابِنا بعدَ أن صَارَت المُنَظَّماتُ الدّوليَّة تَفرض عَلى بلادنا مناهج التَّدريس في كافّة المَراحل، بل وتتدخَّل حتَّى في نصوص خُطب الجُمُعة في مساجدنا؟! أيّ عقائدٍ بعد أن صاروا يَضَعُونَ لَنَا سِيَاسَات التَّعامُل معَ نِسَائِنا من خِلالِ إلزَامِ حُكُومَاتنا بِمُعَاهَدَاتِ (حقوقِ المرأةِ) بِحَسبِ ثَقَافَاتِهِم الإِلحَادِيَّة الإبَاحِيَّة؟!

أيّ عقائدٍ سَتبقى معَ بَرَامج (إِعادَة صِيَاغة المُجتَمعات) الخليجيَّة والعربيَّة والإِسْلَاميّة كما أعلنها الأمريكان؟!

أم هل يظن الصّالحون المواظبون عَلى تزكية أنفسهم، أنَّ الدُّشوش والفضائيَّات ستترك من ذريَّتهم وأبنائهم من يلتفت إلى السُّلُوك والصَّلاح في ظلِّ هذه الأحوال الفاجرة؟!

أم هل يعتقدُ (الدِّيمقراطيُّون الإِسْلَاميّون)، أن في مزيد من التَّجَارب جدوى بعدما حصل في الجَزَائِر وتركيا وتونس ؟! وبعدما حصل من إنجازات الإِسْلَاميّين في برلمانات مصر والأردن وباكستان ودول الخليج والمغرب وغيرها؟!

وهل يظنُّون أنَّ وجودهم كأقليَّات إسلاميّة مسحوقة بين الأحزاب العلمانيّة المعارضة والحاكمة في البرلمان، سيغيُّر مَجَرَى التَّاريخ الّذي تكتبُه حرابُ الصّليبيّن اليَوْم ؟!

أم يعتقدون بعدما انتشرت مكاتب (CIA) و (FBI) وتدفّق مئات آلاف الجنود والجُيُوش الصّليبيّة في البلاد، وراحت أمريكا تعيِّن من تشاء من الحكّام وتعزلُ من تشاء، أنَّ بإمكانهم تحقيق الأغلبيَّة وإقامة حكم الإِسْلَامِ، بعدما رَأوهُ من العاصفة الّتي اجتثّت حكومةَ طالبان وحكومةَ العراقِ، وراحت تُعلن أنّها ستُعيد رسمَ الخريطةِ السّياسيّةِ بل والجُغرافيّة في الشّرق الأوسط؟!

وصدق الله العظيم: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج].

سبحان الله! حقيقة صار حالنا كما قَالَ الشاعر[1]:

وليسَ يَصحُ فِي الأذهَانِ شَيءٌ   إذا احتاجَ النَّهَارُ إلى دَلِيل

نحنُ نعتقدُ أنَّ تلكَ الحلولُ – جزى الله أصحابها خيراً كلَّا بنيَّته – لن تُحل مَشكِلُنا اليَوْم، ونعتقد أنَّ المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة المُسلّحة الشّاملة هيَ الحلّ، وأنَّ بإمكانِها – بإذنِ الله – دَحرَ العدوّ.

ونقولُ بملءِ أفواهِنا نعم إنَّ الأمرَ كذلك، نعم مدعومة بالأدِلّة الشَّرعيَّةِ، ونَعَم كما تَقتَضِي أدِلّة العقلِ والمنطقِ والواقعِ، فإنَّ هُنَاكَ حَقائق وَاضحة تَدعمُ ما نذهبُ إليهِ:

أولاً: إنَّ شعوبَ الأُمّةِ العربيَّةِ، ومثلها جميعُ الشّعوبِ الإِسْلَاميّةِ، قد غَسَلَت أيديَها وانقطعَ رَجاؤُها مِنْ كافّةِ المَذَاهِبِ والتّياراتِ والفلسفات والأفكار الوَافدةِ والمَحليَّةِ الّتي لا تَنطَلِقُ مِن الإِسْلَامِ كَحَلٍّ مُمكنٍ لمُوَاجَهةِ هذا الصّائل، ومن يتابع ما تكتبه الصّحف، وما يكتبه النّاس العاديون في زوايا القرّاء، أو ما يقولونه في مداخلاتهم عبر الفضائِيّات، أو ما يصيحون به في مظاهراتهم، يجد أن الجميع، وحتى الفساق من المُسلِمِين ومن أسرفوا عَلَى أنفسهم، ناهيك عن الملتزمين والمتدينين، الجميع يصرحون بجلاء بأنهم مع الجِهَاد، وأنهم يعتقدون بأنه لن يقوم لهذا العدوّ الغازي إلا رايات الجِهَاد تحت شعار (لَاإِلَـٰهَ إِلَّا الله محمّدٌ رسُولُ الله)، وحتى التَّنظِيمات العلمانيّة والشخصيات الوطنيّة والتّيارات القوميّة في فِلَسطِين كما في كلّ مكان، بدأت تتأسلم حقيقة، أو زعما، وصارت تتأقلم في إعلامها وشعاراتها مع

---

(١) الشاعر أبو الطيب المتنبي.

الإِسْلَام، إما بعودة صادقة إلى جُذُورها، وإما مجاراة للشارع الإِسْلَاميّ الّذي بدأ يشهد عودة نحو الدّين كرد طبيعي عَلى الهجمة الصّليبيّة عَلى أمة الإِسْلَام واستهدافها في عقيدتها ومكوّناتها.

وهكذا كانَ حال أمّتنا أيّام النّوازل عبر تاريخنا كله، بل هذه طبيعة الإنسان أمام الكوارث الكبرى، أن يعود إلى ربه ومعتقده راجيا النّصر والنجاة.

بل إن الأمل في الإِسْلَام، والجِهَاد تحت شعارات الإِسْلَام كحل لمُوَاجَهة طغيان أمريكا، قد صار أملا لدى كلّ أعداء أمريكا من الشّعوب المستضعفة، حتّى الجماعات اليسارية وجماعات السَّلام في العالم الصّليبيّ ذاته، والمتابع لكتابات بعض الكتاب الغربيّين يجد أن بعضهم قد بدأ يصرح في سياق ما يكتب عن طغيان أمريكا، بأنه لم يعد هناك أمل لمُوَاجَهة أمريكا إلا بالمُسلّحين المُسلِمِين، بل وصل الأمر بإحدى المظاهرات المضادة للعولمة والحَرب الّتي خرج فيها مئات الآلاف في إيطاليا أن ترفع ضمن شعاراتها صورة لـ(ابن لادن) وقد ألبسوه قبعة (جيفارا)[1] ورسموه بطريقة تشبهه! وكتبوا تحت صورته شعارات مضادة لأمريكا! وعبروا بذلك عن أن رمز الجِهَاد الإِسْلَاميّ المُسلّح اليَوْم هو الحلّ في مُوَاجَهة أمريكا!

فالكل يعلم ويؤمن اليَوْم أن الحلّ يجب أن يخرج من جعبة الإِسْلَاميّين بالجِهَاد لمُوَاجَهة طغيان النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد.

ثانيًا: إن جماهير الصّحوة الإِسْلَاميّة وكوادرها والنشطاء فيها، يشكلون اليَوْم كتلة هائلة عَلى الصعيد العددي في بلاد المُسلِمِين قاطبة وفي كلّ منها عَلى حدة، ففي كلّ مؤتمر للتبليغ يجتمع في مساجدهم أحيانا ما يربو عَلى عشرات الآلاف في المدينة الواحدة، بل يبلغ حشدهم السنوي من مختلف دول العالم في باكستان ما يزيد عَلى ما يجتمع في مكّة للحج، أكثر من مليوني مسلم.

وأما السلفيون وأتباع مدرسة أهل الحديث وجماعاتهم وتلاميذ مدرستهم، فالمتابع لمواقعهم عَلى الإنترنت وصحفهم ونشاطاتهم في البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة يجد أنهم اليَوْم - تبارك الله - يعدون بمئات الآلاف إن لم يكن بالملايين، ناهيك عن من يرتاد مساجدهم من العامّة.

---

(١) إرنستو "تشي" جيفارا (١٤ يونيو ١٩٢٨ - ٩ أكتوبر ١٩٦٧): ملحد شيوعي كوبي من أتباع ماركس ولينين كانَ رمزًا للثورة الشُّيوعيَّة في الأرجنتين وكوبا.

وأما الإخوان المُسلِمُون وفروعهم والجماعات الإِسْلَاميّة المنبثقة عنهم والحاملة لفكرهم تحت مختلف المسميات فما تزال الشريحة الأساسيّة عددا وحضورا في الصّحوة في أكثر بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، فهم يُعدون بالملايين أيضا، فضلا عن عشرات الملايين من أنصارهم والمصوتون لهم في الإنتخابات.

هذا ناهيك عن الجماعات الصوفية وأتباعها ومَشَايخها ومريديها، فضلا عن مئات الجماعات والأحزاب والكتل الإِسْلَاميّة المختلفة الّتي تدخل بمجموعها تحت مسمّى (الصّحوة الإِسْلَاميّة) والّتي تشكل بلا مبالغة عَلى كتلة بشرية ضخمة في العالم الإِسْلَاميّ، فإذا ما أضفنا إليهم المتعاطفون معهم ومع عموميات شعار الإِسْلَام لوجدنا أنّنا أمام جموع غفيرة هائلة قد نما في قلبها اليَوْم التطلع إلى مُوَاجَهة أمريكا واليَهُوْد وحلفائهم الصّليبيّين تحت شعار الجِهَاد والإِسْلَام، ولكنها ما تزال كتلة غثائية لا قيمة لها لأنها تفتقر إلى ثلاثة أشياء:

- **منهج الاعتقاد والعَقِيْدَة القتاليّة الجهاديّة.**
- **بَرَامج العمل الجاد المباشر.**
- **القدوة الميدانية من قيادات تلك الصّحوة ورموزها الجهاديّة في كلّ بلد إسلامي.**

وكل متبصر يدرك اليَوْم، أن مشكلة هذه الأُمّة، هيَ في أن أكثر علمائها قد نكصوا عَلى أعقابهم بين خائن وعاجز، وأن عموم قيادات الصّحوة فيها قد اختاروا الاستراحة وقد انعقدت غبار الحَرب يبحثون عن حلول وسط مع الجَاهِليَّة عَلى قارعة منتصف الطّريق، إنَّه الوَهن: «**حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ المْوت**» وصدق الصَّادق الأمين.

ثالثا: لقد أثبتت تجارب الشّعوب الإِسْلَاميّة وغير الإِسْلَاميّة منذُ مرحلة الإستعمار، وخاصة بعد الحَرب العَالَمِيّة الثّانية وإلى اليَوْم، قدرة الشّعوب الّتي أخذت بمنهج المُقاوَمة الشعبيَّة عَلى إرهاق المُستَعمرين وإجبارهم عَلى الرحيل.

هذا في وقت كانَ الزخم الحضاري لذلك الإستعمار الأوروبي والأمريكيّ والرُّوسي هائلا، وفي أوج عنفوانه، وكان بمقدوره الاستمرار وتحمل ضربات المُقاوَمة، ومع ذلك أسفرت كلّ تلك المقاومات عن دحر المُستَعمرين وهزيمتهم، في كلّ مكان.

وفي عالمنا العربيّ والإِسْلَاميّ من ذلك الملف تجارب رائدة، في المغرب، والجَزَائِر واليمن، والعراق، ومصر، والشّام، وأفغانستان والقفقاس والهند وإندونيسيا وغيرها.

وفي تجاربنا المعاصرة كذلك، نجد في ملفنا انتصارات الجِهَاد المجيدة في البوسنة والشِّيشَان وأفغانستان، ما يثبت القدرة عَلى الانتصار ودحر العدوّ، وأما اليَوْم ونحن نخوض الحَرب ضدّ أمريكا، فيكفي للمتابع أن يلمس بوادر التصدع والإنهيار والسُّقوط فيها من جراء عمليَّة واحدة فقط في أحداث الحادي عشر من سِبتَمبر، وقد أثبتت المواجهات مع الأمريكان في العراق وأفغانستان أخيرًا، ومن قبلها في الصّومال وفي حرب عاصفة الصَّحرَاء، أن الأمريكان عاجزون عن الحضور والمُوَاجَهة عَلى الأرض، إلا باستخدام عملائهم المرتدّين من أبناء جلدتنا، وأن أمجادهم محصورة في نشر الخراب والموت والدمار فوق رؤوس المدنيين من الجوّ فقط ، فكيف لو واجهت أمريكا مقاومة إسلاميّة عالميّة شاملة في كافّة بلاد المُسلِمِين، بل وفي كافّة بلاد الدُّنيَا، وفي عقر دارها ؟ ماذا لديها من حيلة إلا الانسحاب والفرار؟

وأما عن حلفائها الأوروبيين في النّاتو فهم أضعف منها وأهزل عسكريّاً واقتصاديّاً واجتماعيّاً، والحلف بينهم متصدّع أصلاً.

فالحضارة الغربيّة عامَّة والأمريكيّة خاصّة، حضارة هشَّة عجوز، تعصف بها الأمراض السّياسيّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والنّفسيّة، إلى حدٍّ يَعجَبُ معه المَرءُ كيف استطاعت أن تحيط بنا وتَسعى لإعادة استعمارنا، وما ذلك إلَّا لأنَّ أمَّتنا قد بلغت بسبب بُعدها عن شريعةِ الله، حَدّاً من الوهن جعلها قصعةً لأولئكَ الطَّامعينَ رغمَ هُزَالِهم!

فالمُقاوَمة المُسلّحة مفروضَة شَرعاً وواقعاً، وهي ممكنةٌ ومضمونةُ النَّتائج بإذن الله، بأدلَّة الشّريعة وشواهد الواقع والتّاريخ، ولكنَّها تحتاجُ أن تشارك بها جماهير المُسلِمِين عامَّة، وأن تقودها صَحوَة

إسلاميّة يقودها علماء وقادة قدوة روّاد، مقاومة تنهضُ بها أمَّة بكاملها، وليس عشرات الفدائيّين المُخلِصِينَ.

نحتاجُ مقاومةً تكونُ نهجَ ومعركةَ أمَّةٍ، وليست طريقَ وتضحياتِ نخبةٍ فقط.

وأما انتظار الحلول لأزَمَات هذا الواقع، من خلال الطّرق المطروحة اليَوْم في سوق الصّحوة، عبر مدارسها كلّها، من أقصى الصّوفيّة إلى أقصى السّلفيّة مرروًا بتجارب الأحزاب السّياسيّة الإِسْلَاميّة وبطروحات الإصلاح والتّربية، فيكفي في استعراض نتيجة تجاربها، وحصاد عطائها عبر أكثر من سَبعين سنة حتَّى الآن أن نستنتج أنَّها طرقٌ وحلولٌ قد بلغت حدَّ الإفلاس، ولم تقدّم حلًّا لما نحن فيه، بل لم تصل إلى نتائجها وأهدافها الذَّاتيّة.

فلا مدارس التّربية والتَّصفية والإصلاح والسُّلُوك، لا الصُّوفيَّة منها ولا السّلفيّة ولا التَّبليغيَّة، تمكَّنت من إصلاح أفراد المجتمعات، والفساد اليَوْمَ عارمٌ، والفسوقُ منتشرٌ، والعقائدُ مهزوزةٌ، والأحوالُ أسوأ اليَوْمَ من حالها يوم انطلقت تلكَ المدارسُ بكثيرٍ.

ولم تستطع الأحزاب الإِسْلَاميّة السّياسيّة الّتي قصدت الوصول إلى السّلطة من أجل إقامة حكم الشّريعة أن تصل إلّا إلى السّجونِ والمُعتَقَلاتِ، ثمّ إلى نقض المَناهج الّتي أَرسَاها المُؤسِّسُون الأوائل رَحِمَهُم الله، ثمّ وصلت إلى الارتماء عَلى أعتاب السُّلطاتِ الغَاشِمة في أدوار سياسيّة هامشيَّةٍ مُخجِلَة، هذا ناهيكَ عن المتاهة الّتي أضاعت فيها أسسَ عَقِيْدَة التّوحيد بدعوى المَصلَحةِ والتّدرُّجِ.

والحلّ واضحٌ عقلاً ومنطقًا كما هو ثابتٌ دينًا وشرعًا:

يجب أن يقامَ شرعُ الله عَلى أنقاض الجَاهِليَّة والرِّدة الحاكمة، وعلى فلول جحافل المُستَعمرين الغُزَاة.

وعندما يقوم حكمُ الله، يزعُ اللهُ بالسُّلطان ما لا يزعُ بالقرآنِ كما قَالَ سيُّدُنا عثمانُ رضي الله عنه.

ولم يقم في تاريخ البشرية حكم، ولم تؤسّس دولة، ولا نهضت حضارة قديمة ولا حديثة، إلا عَلى أسنة الحراب، وتحت ظلال السيوف، وفي تجارب المُؤمِنِين والكافرين عَلى حد سواء عبر التّاريخ أكبر برهان، ومن هالته هذه الحقيقة فليقرأ التّاريخ، فإن لم يبصرها ويفهمها فليراجع عقله، وهذه دولة

إسرائيل وحضارة أوروبّا الغربيّة المعاصرة وأمجاد أمريكا اليَوْم آخر الأدِلَّة عَلى قيام الدّول ونشوء الحضارات.

والخلاصة:

إن حكم الشّريعة ومقتضى أحكام دين الله في واقع المُسلِمِين اليّوْم وأزَمَاته الشّرعيَّة والدنيوية، تفيد أن الجِهَاد هو الحل، وأن سبيله الوحيد في قيام المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة المُسلّحة، وفي المُوَاجَهة الشّاملة مع أعدائنا المحتلين وحلفائهم المرتدّين والمُنَافِقين.

ليس من حلّ إلا في دروب الشَّهَادة، في أن يطلب شباب هذه الأُمّة الموت كي توهب لهم ولأمتهم الحياة، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [التوبة]

وعندها فقط ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٤ – ٥]

وعندها ترى ﴿ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ [النصر]

وعندها تقام الصّلاة ويحكم العدل ويؤمر بالمعروف وينهى عن المُنكر، وتصح العقائد ويتهذب السُّلُوك، لأن أولياء الله قد مكنوا في الأرض وأقاموا شرعه كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج]

وقبل أن نخوض في لبِّ هذا الكتاب لنعرض وجهة نظرنا في كيفيَّة هذا الجِهَاد وطرق المُقاوَمة ومنهجها، وهو ما نعتقد أنه مقدمة الحلّ بإذن الله، سنمر بعدد من الفصول التمهيدية وصولا إلى الفَصل الثّامن الّذي يشتمل عَلى ذلك إن شاء الله، ونستهل ذلك باستعراض تاريخ صراعنا الأزلي مع الرُّوم وجُذُوره منذُ قام الصِّرَاع بين الحقّ والبَاطِل عَلى هذه الأرض وذلك هو الفَصل التّالي وقصة مسار ذلك الصِّرَاع من أيّام قابيل إلى أيّام بوش، حيث ما زال البَاطِل يصرخ في وجه الحقّ: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ .. لأن فهم التّاريخ يشكل أساس فهم الواقع الّذي يشكل إدراكه أساس استلهام خطى المستقبل.

****

الفهرس

يتبع في الجزء الثالث...